الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة جيلالي ليابس/ سيدي بلعباس

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم: اللغة العربية وآدابها

الشعـــر الجزائري في الفترة العثمانية
الشـــاعر ابن عمـــار أنموذجا
دراســـة موضوعاتية وأسلوبية

رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي الطور الثالث

تخصص: النقد الأدبي الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة:

– خالدي ربحة

إشراف الأستاذ:

– د. جلال عبد القادر

لجنة المناقشة

▪ أ.د. بلوحي محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيـــدي بلعبـــاس	رئـــــيسا
▪ د. جلال عبد القادر	أستاذ محاضر–أ–	جامعة سـيدي بلعبـــاس	مشرفا ومقررا
▪ أ. د.غربي شميسة	أستاذة التعليم العالي	جامعة سـيدي بلعبـــاس	عضوا مناقشا
▪ د. دردار بشير	أستاذة محاضر–أ–	المركز الجامعي تسمسيلت	عضوا مناقشا
▪ د. تواتي خالد	أستاذ محاضر–أ–	المركز الجامعي تسمسيلت	عضوا مناقشا
▪ د. حلام رقية	أستاذة محاضرة –أ–	المركز الجامعي عين تموشنت	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2017– 2018

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قبل كل شيء أتقدم بالشكر إلى الله تعالى الذي وفقني في إنجاز هذا العمل المتواضع.

بكل عبارات الاحترام والتقدير، وكلمات الشكر والامتنان، أتقدم بالشكر الجزيل إلى:

"الدكتور جلال عبد القادر"

الذي كان له الفضل في الإشراف على هذه الرسالة وساعدني على إثراء هذا العمل المتواضع وعلى المساعدة الكبيرة التي قدمها لي، فقد كانت مراقبته الدائمة، وتوجيهاته الصائبة، وملاحظاته المختلفة لكل خطوة تقدمت بها في هذا البحث مهمة جدا في ظهور هذا العمل بهذا الشكل.

إلى الأستاذ الدكتور المحترم والقدير **"بلوحي محمد"**

وقد كان له الفضل المراقبة والتوجيه الصائب والمنير لهذا البحث .

إلى الأستاذ المحترم الذي ساعدني في توجهي إلى هذا الموضوع **الأستاذ الدكتور "ملاح بناجي".**

إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد.

وإلى كل الأساتذة الذين أمدوني بنصائحهم وتوجيهاتهم القيمة وتنقيح هذه المذكرة؛ أعضاء لجنة المناقشة، فلهم مني فائق الشكر والتقدير.

وأشكر كل أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الجيلالي اليابس بسيدي بلعباس.

وشكرا

إهـــــــداء

الحمد لله الذي وفقنا لهذا ولم نكن لنصل إليه لولا فضل الله علينا والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين:

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار، إلى من أحمل اسمه بكل افتخار،

إلى الذي علمني قيم الأخلاق وأهداني الأمان والحب وأمدني بنعمة العمل والحياة أبي الغالي علي ابن الشيخ.

إلى من أنارت دربي وأعانتني بالصلوات والدعوات،

إلى بسمة الحياة وسر الوجود إلى من قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم "الجنة تحت أقدام الأمهات"،

إلى من لا يمكن للكلمات أن توفي حقها أمي الحبيبة الغالية مباركة بوراس.أطال الله في عمرهما.

إلى سندي في الحياة إخوتي الأعزاء: محمد، عبد الوهاب، مولاي أعمر، عصام عبد الجليل.

إلى زهرات قلبي العزيزات، إليكن أخواتي: نورة، مليكة، بختة، تركية.

إلى أزواجهن: العربي، محمد، الشيخ، بوتخيل وكل أولادهم كبيرا وصغيرا.

إلى من أهداني اسمه وحياته وروحه، إلى رفيق دربي وصاحبي في باقي حياتي زوجي الغالي الأستاذ محمدي الشيخ وأمه الغالية غالية وكل عائلة محمدي وأخص بالذكر الأستاذة محمدي حبيبة.

ربحـــــــة

مقدمة

مقدمـــة:

لا زالت دراسة الأدب الجزائري بعامة والشعر بخاصة في العصر العثماني لم تنل حظها اللائق بها من البحث والتنقيب والدراسة والتحليل. وقد تمكنت- ولو بالجهد اليسير- في قراءة بعض الكتب التي أرخت للثقافة الجزائرية مثل (تاريخ الجزائر العام لعبد الرحمن الجيلالي، وتاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله)، وبعض المؤلفات التي أرّخت للأدب الجزائري مثل (كتاب تاريخ الأدب الجزائري لمحمد الطمار) أن تميط اللثام عن العديد من الشعراء والنصوص الشعرية، إلا أن هذا الجهد المتميز النوعي لم تتبعه دراسات وافية.

ومن أسباب اختيار الشعر الجزائري في العهد العثماني وهو رغبة مني لإحياء التراث الجزائري، والاهتمام بهذا التراث الثري، خاصة وان هذه الفترة لا تزال مجهولة لبعض الجوانب إن لم نقل أغلبها، وهذا راجع إلى فقدان الكثير من المدونات والأعمال التي تعتبر المصدر الهام خاصة في الفترة العثمانية، إلى جانب تبعثر وتشتت الكثير من المصادر في مختلف المكتبات الخاصة أو العامة داخل الجزائر وخارجها، مما يعيق ويؤخر الكثير من الأبحاث.

وعلى الرغم من أن الباحثين رأوا أن الدراسات الأدبية في العهد التركي قليلة مقارنة بالعصور التي سبقته أو تلته، ذلك لأن العهد العثماني في مختلف مجالاته السياسية والاقتصادية والثقافية والأدبية لا يزال غير مدروس، لكن في المقابل نجد بعض الإشارات إلى رقي الدراسات اللغوية والأدبية في الجزائر خلال هذا العهد. وهذا من خلال العلماء الجزائريين الذين برعوا في معظم المجالات خاصة في الدراسات الأدبية نذكر منهم ابن على وابن عمار وابن ميمون وعبد الكريم الفكون والورثلاني وابن حمادوش وأمثالهم ممن أنجبتهم الجزائر وعاشوا في العصر العثماني بالجزائر وقد تركوا بصمة مميزة في مختلف العلوم فهم مفخرة للتراث الأدبي والثقافي الجزائري، وفي نفس الوقت وصفه الكثير من الباحثين

بعصر الركود الثقافي،وهذا ما شكّل عائقا لكثير من الدارسين وشلّ حركة الدراسات التي توالت فيما بعد، هذا العائق وغيره ترتب عنه هذا المجهود المتواضع وهو حب الاستكشاف والاقتراب من التاريخ الجزائري في هذه الفترة التي وصفت بأنها مظلمة، ولكننا لا نريد أن نطلق عليه كسابقينا ونكتفي بالقول بأنه تراث مغمور ومحجوب ولا بد من نبشه والتفتيش عنه في مختلف المضان لأنه موجود ولا ينقصه سوى العناية والدراسة.

وفي هذا السياق نذكر العمل الكبير الذي قدّمه أبو القاسم سعد الله رحمه الله ممثلا في المخطوط الثمين الذي أقدم على تحقيقه، والذي نشره تحت عنوان "أشعار جزائرية".

هذا المخطوط المحقق أنار بفضله أبو القاسم سعد الله مساحة واسعة وعميقة من الشعر الجزائري في العصر العثماني، إذ قدّم لنا بواسطته مجموعة من الشعراء الذين برزوا في تلك الفترة من أمثال: (القوجلي والشباح والمنجلاتي وابن راس العين وابن ميمون وابن علي وابن عمار الجزائري)، مع طائفة كبيرة من النصوص الشعرية.

وفي أثناء قراءتي المتكررة والمتمعنة لمختلف النصوص الشعرية لصاحبها ابن عمار في كتاب "أشعار جزائرية" الذي حققه أبو القاسم سعد الله تبادرت إلى ذهني الكثير من الأسئلة، منها ما يتعلق بالمضامين والمواضيع، ومنها ما يتعلق بالأشكال والبنى والأساليب والتي شكلت الإشكالية العامة للبحث. فما هي أسرار هذا الجمال المتصاعد من أشعار ابن عمار على الرغم من انتمائها إلى العصر العثماني؟ مع العلم أن هناك نصوص شعرية لا تقل سحرا وجمالا عن مثيلاتها لابن عمار من أمثال ابن علي وابن ميمون والمنجلاتي والشباح وابن راس العين. أتقع في البنى الافرادية والتركيبية وما أنجزته من أساليب بليغة؟ أم تقع في الأساليب التصويرية المشبعة بالتخييل؟ أم يمكن متابعتها على المستوى الصوتي ومختلف إيقاعاته؟ وما سر هذا العمق الفكري الموضوعاتي؟ أيرجع إلى ما انطوى عليه من قيم شعورية، وقضايا إنسانية واسعة، وجوانب اجتماعية وسياسية متميزة؟

هذه الأسئلة وأخرى هي التي شكلت جوهر الإشكالية التي دفعتني للبحث والتنقيب، ولحل هذه الإشكالية التي تكشف عن جمال النصوص الإبداعية في الفترة العثمانية وما تميزت به من خصائص فنية، ومن خلال هذه المتعة الفنية وجهت بحثي إلى الشعر الجزائري في الفترة العثمانية واعتمدت في ذلك على ابن عمار الجزائري (ت 1205هـ) وما تعلق بشعره وموضوعاته.

وكأي بحث لا يخلو هذا من الصعوبات التي أثرت عليه، وهو نقص في المصادر والمراجع التراثية المتعلقة بالفترة العثمانية، خاصة بما يتعلق بالشاعر ابن عمار الذي لم نعثر له على بدايات حياته وأما سنة ميلاده كان بتقدير الباحثين من خلال بعض محطات حياته، وهذا ما أدى بنا إلى مقارنه معظم البحوث حول حياته من مختلف الذين درسوا حياته.

بناءا على ذلك قسمت بحثي إلى خمسة أقسام مدخل وأربعة فصول بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة.

أما المدخل فوسمته بـ "مظاهر الحياة العامة في الجزائر خلال العهد العثماني"، وكان بأربعة عناصر أولها التنظيم الإداري في الجزائر في العهد العثماني، أما العنصر الثاني فتحدثت عن التنظيم السياسي للدولة الجزائرية في نفس العهد، وأما في التالي تطرقت إلى الجانب الاقتصادي والاجتماعي، وفي الأخير تحدثت عن الحياة الدينية والثقافية والفنية في الجزائر خلال العهد العثماني.

وأما الفصل الأول الذي عنونته بـ "الشعر الجزائري في الفترة العثمانية موضوعاته وخصائصه"، فقد اعتمدت في ذلك على ثلاث مباحث، اتجهت في الأول إلى الشعر الجزائري في هذه الفترة من خلال التطرق إلى الحركة الثقافية وكذا بواعث الشعر، أما المبحث الثاني فقد أدرجت موضوعاته التي عالجها الشعراء في الفترة المدروسة، وأتممت هذا الفصل بالخصائص الفنية في الفترة نفسها فبدأت بذكر الخصائص العامة للشعر العربي ثم أوردت الخصائص الفنية للشعر الجزائري .

وفي الفصل الثاني المعنون بـ "الواقع الشعري الجزائري في الفترة العثمانية"، وكان بداية في الحديث عن أعلامه، وكذا واقع الشعر الجزائري بين المخطوطات والتحقيق والتأريخ، وختمت الفصل بدراسة ديوان" أشعار جزائرية" من تحقيق أبو القاسم سعد الله.

أما الفصل الثالث فقد أوسمته بـ"ابن عمار الجزائري دراسة موضوعاتية، فاقتربت من حياة ابن عمار ، كما أوردت المواضيع الشعرية الذاتية للشاعر، واستنتجت في آخر الفصل الخصائص العامة لشعر ابن عمار.

وفي الفصل الرابع والأخير الذي اقتربت أكثر من الشعر الجزائري وهو فصل تطبيقي حيث طبقت المنهج الأسلوبي على قصيدة ابن عمار التي وصف فيها قصر ابن عبد الطيف احد أمراء الجزائر في ذلك العصر، وبدأت هذا الفصل بتمهيد عرّفت فيه المنهج الأسلوبي، وفي مبحث ثاني عرفت فيه القصيد المدروسة، ثم تطرقت إلى مستويات التحليل الأسلوبي فيما تعلق بالمستوى الافرادي والتركيبي فيما يتعلق بالأصوات المكررة في القصيدة من حروف مهموسة ومجهورة وإظهار دلالتها في القصيدة، ثم أوردت الجمل وتنوعها في القصيدة مع بيان الأفعال ودلالتها الزمنية وما تعلق بالجملة من تقديم وتأخير وتعريف وتنكير ودلالة ذلك في القصيدة، وأما المستوى التصويري الذي يظهر الخيال والصورة وما تعلق بهما من تشبيه واستعارة وكناية، وفي المستوى الإيقاعي فقد تطرقت إلى الموسيقى الداخلية والخارجية للقصيدة مع بعض الاستنتاجات المترتبة عن هذا الفصل التطبيقي.

وفي الأخير خلصت إلى الخاتمة التي تمثل عصارة البحث، والخروج بذلك إلى مجموعة من النتائج وبعض الاقتراحات المستقبلية، وألحقت الخاتمة بملحق للقصيدة المدروسة، ثم بيبليوغرافيا البحث، وفي الأخير الفهرس التحليلي للموضوعات.

وليكتمل البحث لابد له من منهج لأنه أساس أي دراسة فكرية ذلك لأن الدارس يحقق بفضله تصوّر البحث وأبعاده ومكنوناته، فاستعنت في هذا البحث بالمنهج التاريخي في المدخل

والفصل الأول وفي المبحث الأول من الفصل الثاني والثالث، وبالمنهج الوصفي التحليلي في مقاربة القضايا الشعرية ومواضيعها وما تنطوي عليه من تجارب شعورية، وفي دراسة الأساليب النحوية والتصويرية والإيقاعية، وبالمنهج الإحصائي بخاصة في الآليات الأسلوبية ذات الصلة الشديدة بالنحو والبلاغة والعروض.

كما اعتمدت في البحث على مصادر ومراجع والتي أشرت إلى بعضها في البداية ونذكر منها مجموعة من أعمال المرحوم أبو القاسم سعد الله ككتاب تاريخ الجزائر الثقافي ، وكذا كتابه أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، وكتاب أدب الرحلة، وديوان أشعار جزائرية الذي كان من تحقيقه، وكتاب شيخ الإمام عبد الكريم الفكون ومجموعة من المقالات التي نشرها في المجلات والدوريات كبحثه حول إجازة ابن عمار للمرادي، وبحثه حول عبد الرزاق ابن حمادوش وغيرها من الأعمال الجليلة التي كانت المرجع الأساسي في هذا العمل المتواضع، ومن المصادر كذلك استعنت برحلة ابن عمار المسماة" نحلة الحبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب" التي حققها ابن أبي شنب، كما اعتمدت على بعض الكتب التي تعلقت بالفترة العثمانية ككتاب الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، وتعريف الخلف برجال السلف لأبي القاسم الحفناوي وكتاب فتح الإله لأبو راس الناصر، بالإضافة إلى بعض المعاجم اللغوية كمعجم لسان العرب لابن منظور، وذلك لشرح ما جاء صعبا من المفردات، كما اعتمدت على بعض المصادر والمراجع المتعلقة بالصوتيات والصرف والنحو والبلاغة كسر صناعة الإعراب لابن جني، والأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة للجرجاني وكذا كتب التراجم والمجلات والدوريات.

وفي الأخير أرجو أن أكون وفقت في هذا البحث وأسأل الله أن يأتي عملي هذا بفائدة وأن يكون لبنة لأعمال قادمة، ويجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم.

خالدي ربحة

البيض: يوم 27-09-2017

مدخل : مظاهر الحياة العامة في الجزائر خلال العهد العثماني

تمهيد: مراحل الحكم العثماني في الجزائر.

أولا: التنظيم الإداري في الجزائر في العهد العثماني.

ثانيا: التنظيم السياسي للدولة الجزائرية في العهد العثماني.

ثالثا: الجانب الاقتصادي والاجتماعي بالجزائر في العهد العثماني.

رابعا: الحياة الدينية والثقافية والفنية.

تمهيد: مراحل الحكم العثماني في الجزائر :

مرت دول المغرب العربي بظروف قاسية منذ القرن الخامس عشر للميلاد، فقد أنهكتها الحروب الداخلية والخارجية، خاصة بعد نكبة الأندلس وانهيار الحضارة العربية الإسلامية بتلك المنطقة المجاورة للمغرب العربي. وقد عرف القطر الجزائري مع أشقائه مراحل حضارية وثقافية ولغوية طويلة من تاريخ العالم الإسلامي العربي حاملا لواء السيادة على أرضه بثقة وإيمان وعزيمة شعبه المناضل بعيدا عن الهيمنة التركية المباشرة.

ومنذ أن برز القطر الجزائري كقوة تثير الرهبة، محافظا على أمنه واستقلاله "اشتدت أطماع الإسبان في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر، وهذا لاستغلال ثروته المعدنية والزراعية والحيوانية، ولكسر شوكته والقضاء على أسطوله القوي وقوته البحرية التي كان يحسب لها في ذلك العهد الزاهر ألف حساب." [1]

فقد لقي كلا من الإسبان والبرتغال مكانة هامة، في قوة أساطيلهم البحرية الكبيرة، فقاموا باضطهاد المسلمين في بلادهم وإجبارهم على اعتناق الديانة المسيحية، أو الخروج من بلادهم، بالإضافة إلى ذلك" تابع الأسبان مطاردتهم للفارين من المسلمين الأندلسيين إلى سواحل شمال إفريقيا."2 ولم يكتفوا بهذا، بل قاموا بعمليات انتقام واسعة ضد سكان المدن الغربية المطلة على البحر الأبيض المتوسط، هؤلاء الذين استقبلوا العرب الفارين من الاضطهاد الأوروبي في اسبانيا، إضافة إلى

[1] – أحمد محمد عاشور، صفحات تاريخية خالدة من الكفاح الجزائري المسلح، منشورات المؤسسة العامة للثقافة، ليبيا، ط1، 2009، ص 94.

[2] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي – من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري –، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ط2، ج1، ص 136.

ذلك كانت خطتهم تهدف إلى احتلال موانئ دول المغرب العربي والتحكم في خيرات شمال إفريقيا وإجبار سكان المنطقة على دفع ضرائب لهم وتمويل حروبهم الاستعمارية .[1]

وبهذا فقد شهدت خريطة الجزائر والمغرب العربي في مطلع القرن السادس عشر تغييرات سياسية جديدة تختلف عما كانت عليه في القرن الماضي، وهذه التغييرات أدت إلى تحولات اجتماعية وثقافية هامة، فقد ذهبت كتب التاريخ إلى أن بداية العهد العثماني في الجزائر كان سنة 920هـ (1516م). كما وجدت في كتاب الأتراك العثمانيون "أن الأخوين عروج وخير الدين كانا في المغرب سنة (1513م) " [2]. وقد رجّح أبو القاسم سعد الله أن بداية العهد العثماني يعود إلى ما قبل هذا التاريخ، فمن خلال البحث والتنقيب في بعض النصوص المحلية،إضافة إلى الرحالات القديمة، كرحلة بيري رايس العثمانيين فقال:"وجدنا العثمانيين على صلة بأهل المدن الساحلية الجزائرية ولاسيما رجال الدين، يتعاملون معهم ويحاربون معهم العدو المشترك ."[3]

في نفس الوقت كان العثمانيون يتعرفون على الخصائص الجغرافية والسياسية والعمرانية للمنطقة، كما كانوا يجتمعون بالأمراء الحفصيين وغيرهم ويدرسون أحوالهم حتى إذا جاءت الفرصة اغتنموها وغيروا بذلك خريطة المنطقة، ولم يكن دخول الإخوة* بربروس المسرح إلا في مرحلة لاحقة من مراحل الاتصال العثماني بمنطقة المغرب العربي، فقد لمعا اسم الإخوة باربروس في نضالهما من أجل إنقاذ بواخر المسلمين الفارين من الاضطهاد الإسباني وكانا يشتغلان في حرفة القرصنة التي جاء الحديث عنها في

[1]- ينظر: عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، ص52.

[2]- عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، ج1، ص41.

[3]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص131.

*- الإخوة باربروس: إن أصل خير الدين من أروام جزيرة (مدللي) من جزر الروم وله أخ اسمه عرّوج، وقد أسلما ودخلا في خدمة السلطان محمد الحفصي.

المدونات الفرنسية: "حيث كانت الحكومات فيما سلف تسلم أوراقا رسمية للقراصنة، فتكسبهم بذلك صبغة مشروعة، تميزهم عن لصوص البحر، وتجعلهم شبه جنود متطوعين أحرار يعملون فوق البحر."[1]، فكانوا يقومون بأسر المراكب المسيحية التجارية وأخذ كافة ما بها من البضائع وبيع ركابها، وبرزوا كقوة مضادة للقرصنة الأوروبية في البحر الأبيض المتوسط، كما كان كجيء الاخوة بربروس باستدعاء من السلطة العثماني في إسطنبول لتعيين خير الدين قائدا عاما للأسطول العثماني،" وقبل خير الدين ولاية الجزائر بناءا على توسلات ملحة وعديدة من أعيان وعلماء مدينة الجزائر يرجونه إن يقدم عليهم ويتولى إدارتها بنفسه"[2] ذلك لان الأهالي لم يكونوا يرضون بالخضوع لأحد سواه، بعدما رفضوا ولاية ابن القاضي في الجزائر، مثلما رفض أهالي تلمسان قبلهم ولاية سلطانها الزياني السلطان أبي حمو الثالث الذي تحالف مع الإسبان، وفقد استنجد بهما كذلك سكان مدينة بجاية وطلبوا منهما مساعدتهم على طرد الجيش الإسباني من بجاية، إلى أن استولى خير الدين على مدينة شرشال بإقليم الجزائر، وفي نفس الوقت استولى عرّوج على مدينة الجزائر وهزم الجيوش الإسبانية، كما قام بفتح مدينة تلمسان، لكن ذلك كلفه حياته " وقُتل بعدها بقليل بجهات تلمسان (الوادي المالح) سنة 1518م" [3] أثناء محاربة الإسبانيين الذين حاولوا استرجاع مدينة تلمسان والجزائر ولكن لم يتمكنوا .

وبعد محاولات لحكام جزائريين للتخلص من خير الدين خوفا من الاستيلاء على الجزائر تفطن لهم وقرّر التخلص من كل حاكم محلي يسعى لتقليص نفوذه في الجزائر، ثم بانتهاج سياسة جديدة

[1] – أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا 1492 – 1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، د.ت، ص 72.

[2] – خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، تر: محمد درّاج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، (1431هـ – 2010م)، ص15.

[3] – جو.هابنسترايت، رحلة العالم الألماني ج. أو.هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس، تر: ناصر الدين سعيد وني، دار الغرب الإسلامي، تونس، د.ط، 2013، ص27.

تتمثل في الحصول على تأييد السكان الجزائريين وذلك بالتودد إلى علمائها وكسب ودهم، وإقناعهم بأهمية انضمام بلدهم إلى السلطة العثمانية التي تزود جيشه بالمؤونة والسلاح لمواجهة الهجومات الإسبانية، وبهذا الأسلوب تمكن خير الدين من تقوية جيشه وبسط نفوذه.[1] وتم تعيينه ممثلا للسلطان التركي "بواسطة فرمان كان قد كتبه بيده، أرسله إليه مع حاجي حسين آغا وأرسل معه سيفا مرصعا وخلعة مذهّبة وراية الإمارة " [2] وهكذا أصبحت الجزائر تحت الحكم العثماني.

وقد بدأت هذه التغييرات السياسية في بداية القرن العاشر، وسقوط دول المغرب العربي القديمة وإماراته الصغيرة وصعود الحكم العثماني مكانها فقد بدأت الدولة العثمانية كإمارة صغيرة ثم توسعت حتى ضمت العديد من الدول العربية من مختلف القارات، كسورية ومصر وتونس وطرابلس والجزائر، ووصلت حدودها الغربية إلى وجده وفقيق. ويذهب بعض المؤرخين إلى أنه كان في إمكانهم احتلال المغرب الأقصى أيضا لولا خوف السلطان العثماني من انفصال المنطقة عنه وهكذا انتهى حكم بني زيان من غربي الجزائر والحكم الحفصي من شرقها، وبذلك رسمت خريطة جديدة بالمغرب العربي، أما القطر الجزائري اليوم هو نفسه القطر الجزائري الذي تكوّن في القرن العاشر.

إن الدولة العثمانية مرت بمراحل مختلفة وظروف متغايرة ففي البداية كان العثمانيون يحاولون توحيد المسلمين ومنع الدول المسيحية من بسط نفوذها في العالم الإسلامي، والمشكل أن الدول الغربية قد حقدت على الدولة العثمانية لأنها كانت عقبة في طريق التوسع الأوروبي طوال أربعة قرون من الزمن، فوحدت مناطق واسعة من بلاد المسلمين، وهذا أدى إلى خوف الغرب من استمرار وحدة المسلمين وتكاثفهم الذي يساعدهم على استرداد قوتهم ونفوذهم، وفي نفس الوقت كسب العثمانيون ثقة العرب بعد أن تمكنوا من القضاء على الدولة البيزنطينية التي هي امتداد لدولة روما، ولهذا يعتبر

[1] – ينظر: محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح :إحسان حقي، دار النفائس، لبنان، د.ط، د.ت، ص230.

[2] – خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، ص96 .

العثمانيون في نظر الدول العربية بمثابة أبطال ساعدوا الدول العربية الضعيفة ، على التخلص من هيمنة الأوروبيين وتفضيلهم على الغزاة المحتلين لأراضيهم .[1]

وبالنسبة للجزائر،" كان شعب مدينة الجزائر الذي ملّ من تسلط الإسبان قد أرسل وفدا إلى عروج ..." [2] فإن الظروف الصعبة التي كانت تمر بها البلاد وتفاقم الخطر الإسباني والايطالي واحتلالهما لموانئ جزائرية وفرض الجزية على سكان هذه المدن الساحلية هي العوامل الرئيسية التي دفعت الجزائريين أن يستنجدوا بالأخوين عروج وخير الدين لإنقاذهم من الاحتلال الأوروبي لمدنهم وذلك بالالتجاء إلى تركيا القوية والقادرة على تزويد المحاربين الجزائريين بالذخيرة والرجال الذين يمكنهم من صد الطغاة الأوروبيين. وبفضل تلك المساعدة، شعر أبناء الجزائر بدرجة عالية من الأمان والاطمئنان في ظل الدولة العثمانية القوية، وانطلاقا من هذه الحقائق، فإن العثمانيين يعتبرون منقذون وليسوا مستعمرون .

وهكذا بعدما استنجد الجزائريون بالعثمانيين في التخلص من الاستعمار الإسباني، فما أن استولوا على الحكم حتى كانوا لا يفكرون إلا في شيء واحد هو التمتع بخيرات الجزائر دون التفات الوطنيين والدليل على ذلك : "أنه سبق للأخوين عروج وخير الدين أن غزو بلاد الإفرنج بوجه عام والبلاد الإسبانية والفرنسية بوجه خاص، وكانت المنفعة التي حصل عليها الأخوان لهما فقط، وليس للجزائريين أي حق في هذه المكاسب." [3] والمهم بالنسبة للجزائر أنهم فضلوا الاحتلال العثماني على الاحتلال الصليبي الذي اعتبروه خطير جدا وهذا حفاظا على عقيدتهم ودينهم وغير ذلك.

[1] – ينظر: عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، ص 51.

[2] – يلماز أزوتونا، تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود سلمان، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، ط1، 1988، مج1،253.

[3] – مسعود مجاهد، تاريخ الجزائر، مطابع دار الأيتام الإسلامية، القدس، د.ط، د.ت، ج1، ص90 .

وليس من غرضنا تتبع المراحل التي مر بها هذا التحول السياسي في الجزائر ونشير بهذا الفصل على تناول الأرضية التي قامت عليها الحياة الثقافية خلال العهد الذي نطلق عليه العهد العثماني، والجو العام الذي تشكلت فيه الحياة، والعلاقات بين العثمانيين والجزائريين سياسيا واجتماعيا وثقافيا.

كانت الطبقة الحاكمة بالجزائر في المراحل الأولى قبل الوجود العثماني تسيّرها العناصر القوية والحاكمة، والتي هي من فئة " الرياس " وهي عبارة عن مجموعة من رجال البحر الأبيض المتوسط، أو المدن الساحلية، فقد اختاروا البحر ميدانا لحياتهم ومصدر رزقهم، وفي بعض الأحيان تعيش على أعمال الغزو البحري والجهاد ضد الأوروبيين والمسيحيين، الذين كانوا يحاولون تقاسم الخيرات التي كانت تنقلها السفن عبر البحر الأبيض المتوسط، وكان خير الدين وأخوه ينتميان إلى هذه الفئة .

وقد مرت مراحل الحكم العثماني بالجزائر بأربع مراحل مختلفة، وكل مرحلة تميزت بأسلوب معين في تسيير شؤون البلاد . وتتمثل هذه المراحل[1] أو العصور فيما يلي :

1- عصر الباي لار بايات : 1514 -1587 م (920 – 995 هـ).

2- عصر الباشوات : 1587 – 1659 م (995 – 1065 هـ).

3- عصر الأغاوات : 1659 – 1671 م (1065 – 1081 هـ).

4- عصر الدايات : 1671 – 1830 م (1081 – 1246 هـ).

[1] – عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، ص 57.

1 – عصر البايلر بايات (أمير الأمراء) 1514 –1587 م :

يعتبر هذا العصر من أرقى عصور الحكم العثماني بالجزائر، وذلك بفضل التعاون المزدوج في القيادة والحكم بين فئة الرياس وأبناء الجزائر. والبايلر بايات وهو "لقب يخول لصاحبه أن يصدر الأوامر إلى باشا تونس وطرابلس والجزائر."[1] وهي مهمة ضخمة واجهها الحكام خاصة في يتعلق برد الهجوم الإسباني لاحتلال مدينة الجزائر التي أصبحت عاصمة للمغرب الأوسط، والبايلر بايات "هم رسميون يعينون من طرف السلطان العثماني مباشرة يكونون عرضة للتعويض."[2] وحسب ما دوّنه ابن المفتي في كتابه **تقييدات**.. فإن عدد الباشلار الذين حكموا جزائر الغرب هو أربعة وخمسون، والأول هو إسحاق باشا وتولى عروج سنة 921هـ (1515م) وتولى خير الدين سنة 923هـ (1517م)، ثم تلاه بعد ذلك حسن آغا خليفة خير الدين سنة 944هـ(1531م) وفتح مستغانم سنة 946هـ(1539م) وبسكرة سنة947هـ(1540م)، وتوالى الحكام، فمنهم من تولى مرتين ومنهم من اكتفى بولاية واحدة، وفي هذه الفترة أصبحت معلم الحضارة تتطور شيئا فشيئا من عدة نواحي خاصة البناء والعمران، ففي ولاية علي باشا بدأ بنيان برج باب الواد، وكان هو واقفا عليه بنفسه ومعه أهل الصنعة والمعرفة نحو العشرة أنفس نصارى ومسلمين. [3] فقد أورد ابن المفتي اغلب الحكام الذين حكموا جزائر الغرب في تقييداته بالمدة الزمنية وما ميز هؤلاء أثناء حكمهم.

وعرفت البلاد في هذه المرحلة ازدهارا واسعا من مختلف المجالات التعليمية والاقتصادية والعمرانية وهذا بالتعاون الثنائي بين فئة "الرياس" والجزائريين في قيادة الحكم . وما زاد في تنمية البلاد وازدهارها

[1] – مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، د.ط، 1964م، ج3، ص73.

[2] – وليم سبَنسَر، الجزائر في عهد رياس البحر، تر: عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، د.ط، 2006، ص77 .

[3] – ينظر: ابن المفتي حسين، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، تح: فارس كعوان، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009، ص41.

مهاجروا الأندلس الذين يمتلكون الخبرة والمهارة في ترقية المهن والبناء العمراني فزاد في تقوية الاقتصاد الجزائري. وقد تميزت هذه الفترة من تاريخ الجزائر بحقائق يمكن أن نوجزها فيما يلي :

دام عهد الباي لالارباياات مدة 70 سنة، ويأتي قرار تعيين الحاكم في الجزائر من طرف السلطان العثماني، كما كانت السلطة في يد "رياس" البحر أو جنود البحرية، وما ميز هذه الفترة من أحداث هو تحرير برج قنار من الإسبان، وتحرير بجاية من الاحتلال الاسباني سنة 1555م وإنهاء الوجود الإسباني في تونس عام 1574م، وشهدت الجزائر ازدهارا واسعا في هذه الفترة، وما ميز هذه الفترة هو استقرار الحياة السياسية فيها نتيجة تحالف الجميع ضد العدو المشترك، أو كل من يترصد بالمنطقة.[1] وبهذا الجميع كان مجندا للحفاظ على أمن واستقرار البلاد.

2- عصر الباشوات 1587 – 1659 م:

من الأسباب التي أدت إلى توتر العلاقات الداخلية والخارجية في الجزائر هو سياسة العثمانيين في هذه المنطقة، "إذ أقدموا في عام 1587م على استبدال نظام البايلربايات بنظام الباشوات، كما قسموا المنطقة إلى ثلاث ولايات مستقلة، يعين على رأس كل واحدة منها حاكما. وقد كان هذا التقسيم سببا في إجهاض الوحدة المغاربية (الجزائر وتونس وطرابلس)، التي بدأت معالمها ترتسم في الأفق" [2] حيث كان الحاكم واحد في هذه البلدان والقيادة في الجزائر، وانقسمت إلى الولايات المذكورة فلكل ولاية حاكمها.

[1] – ينظر: عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، ص57 .

[2] – أرزقي شويتام، العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية خلال الفترة العثمانية، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر 2، 1433هـ-2011، العدد: 13، ص79 .

تعتبر هذه الفترة مرحلة جديدة في تاريخ الجزائر وذلك، نتيجة الحكم الاستبدادي الذي كان قائما من طرف السلطة الحاكمة، مما أدى إلى العنف وتوتر العلاقات داخل النظام، ولأن السلطان العثماني أراد أن يخفف حدة النزاع بين فئة الرياس وفئة البولداش وخاصة أن الفئة الأخيرة كانت مستاءة من تمتع فئة الرياس وجنود البحرية بلقب الباي لار بايات، أو(أمير الأمراء) .

ولذلك قرر السلطان العثماني إلغاء هذه الرتبة وتعويضها برتبة أخرى هي رتبة الباشا، ونتيجة لهذا التغيير، أصبح السلطان العثماني يقوم بتعيين باشا لمدة ثلاث سنوات يقوم بإرساله من تركيا ويستدعيه بعد انتهاء فترة تعيينه، "حيث كان منصب باشا الجزائر يشتري بالمال في اسطنبول ويأتي صاحبه أصلا لمدة سنة، ولكنها كانت تمدد إلى ثلاث أو أربع سنوات. ولذلك كان طابع الحكم هو الاستغلال أيضا." [1] على أن يقوم بإرسال باشا آخر من هناك، لكن المشكل هو أن كل باشا معين في الجزائر لمدة قصيرة لا تتجاوز ثلاث سنوات كان يتصرف إلى السلب والنهب وجمع الثروة قبل عودته إلى القسطنطينية، وهذا ما دفع بالبوليداش أو رجال الجيش البري أن يثوروا على الباشوات ويضعفوا نظام الحكم في الجزائر مرة أخرى.

وكل ما تميزت به هذه المرحلة هو تعيين باشا تركي في كل من الجزائر، وتونس، وطرابلس بعد أن كان هناك حاكم واحد للمنطقة يوجد مقر حكمه بالجزائر؛ إضافة إلى ذلك بدأت تظهر الخلافات والتناقضات بين جنود البحرية الجزائرية (الرياس) وبين جنود البحرية العثمانية وخاصة عندما حاول الأتراك أن يخضعوا المصالح الجزائرية لمصالح الإمبراطورية العثمانية.

وقد برزت قوة الرياس أو قوة رجال البحرية الجزائرية إلى درجة أن دول أوروبا أصبحت تخشى الجزائر وتسعى لإقامة علاقات تعاون معها، وعندما تعثرت المفاوضات قامت الدول المسيحية بشن

[1] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، ص137 .

حملة عسكرية على الجزائر في شهر سبتمبر من عام 1701م. وخلال التصادم والتنافر الذي حصل في هذه الفترة بين جنود البحرية وجنود القوات البرية (البوليداش)، بعدما عمل رجال البحرية للحصول على غنائم كبيرة من جراء غاراتهم البحرية الناجحة على أساطيل القوات الأوربية، وهذا الصراع هو الذي تسبب في إضعاف الحكم العثماني بالجزائر.[1]

3- عصر الأغوات 1659 – 1671 م :

يعتبر هذا العهد من أقصر العهود وفيها تمرد قادة الجيش البري (البوليداش) على خلع الباشا وطلبوا من السلطان أن يكون الحكم الحقيقي في أيديهم، أما الباشوات فيبقى لهم حكم رمزي فقط باعتبارهم ممثلين سامين للسلطان، وتم تعويض هذا القائد بقائد آخر من فئتهم أطلق عليه اسم الآغا، وكان هذا الانقلاب على الباشا المعين من طرف الحكومة العثمانية في تركيا والمدعوم من طرف فئة الرياس .

وخوفا الوقوع في نفس المشاكل في قضية الحكم والتشبث بالسلطة فقد تقرر أن يكون الحكم ديمقراطيا، أي يستعين الحاكم بالديوان العالي الذي كان يضم في البداية أعضاء الفرق العسكرية البرية، ثم توسعت العضوية فيه بحيث أصبح يضم ممثلين، عن الفئة الرياس وبعض كبار الموظفين ومفتي الجزائر.

وتمشيا مع هذه الخطة، فان الجيش البري هو الذي أصبح يعين الأغا حاكما على الجزائر لمدة سنتين، يترقى بعدها إلى رتبة أغا شرف ويحل محله أغا آخر. "وقد رضي السلطان بهذا الوضع مكرها، فكان يكتفي بإصدار (الفرمان) لتثبيت تعيين الأغا" [2] وهكذا استفحل الصراع بين الأغوات من جهة وبين الرياس من جهة أخرى، مما أدى إلى انتشار الفوضى وانعدام الأمن، واستياء تركيا من انفصال

[1]- ينظر: عمار بوحوش ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، ص 58 .

[2]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 138.

حكام الجزائر عنها وقطع كل المساعدات عنهم، وفي عام 1671م انهار نظام الأغوات وحل محله نظام الدايات.[1] فقد تميزت هذه المرحلة بضعف السلطة العثمانية وغياب سيادتها على الجزائر واستفحال الصراعات المحلية سواء بين ضباط الجيش البري أو ضباط الجيش البحري، وتذمر أبناء الشعب من الفساد السياسي وانتشار الفوضى في البلاد، مما أدى إلى قلب نظام الحكم والانفصال عن العثمانيين والحد من سلطة الرياس، ولكنهم فشلوا في إنشاء نظام سياسي ديمقراطي ناجح .كما كان الانقلاب على الباشوات عبارة عن انتقام من طائفة أو فئة الرياس التي كانت كلمتها مسموعة في عهد الباشوات.

4- عصر الدايات : 1671 – 1830 :

لقد استفاد حكام الجزائر من تجارب الحكم السابقة في هذا البلد بحيث حاولوا ترضية السلطان العثماني وتقوية مركز الحاكم (الداي) وذلك عن طريق تعيينه في منصبه مدى الحياة، بناء على اقتراح من الديوان العالي وتعيين رسمي من طرف السلطان العثماني، وبهذا فان الجزائر قد أصبحت دولة مستقلة عن تركيا وخاصة أن الداي أصبح ينتخب من طرف الديوان العالي(المجلس)، والسلطان العثماني لا يلعب أي دور في اختيار داي الجزائر وينحصر دوره في إصدار مرسوم (أو فرمان) لتثبيت اختيار الديوان العالي بالجزائر، "وفي حالة شغور المنصب أي عند وفاة الحاكم؛ حاول السلطان العثماني من خلال ما وجد في كتب التاريخ من سنة 1711م أن يقوم بتعيين حاكم على الجزائر بعدما شغر المنصب، قام داي الجزائر علي شاوش بطرده وتنصيب نفسه بدلا منه "[2].

[1] – ينظر : عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، ص 60.

[2] – عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، ص 60.

وعليه، فان تركيا قد احتفظت لنفسها بسلطات شكلية في الجزائر تمثلت بصفة خاصة في الدعاء للسلطان العثماني في صلاة الجمعة، والاعتراف بمراسيم التعيين والتعاون في مجال الحروب بحيث تقوم الجزائر بتقديم المساعدة العسكرية للبحرية التركية في حالة تعرض تركيا لأي اعتداء خارجي .

وقد لاحظت من خلال هذه الفترة، التي يمكن أن نسميها بعصر القوة العسكرية، فالحكم فيها إلا لأصحاب النفوذ العسكري. وقد ذهب أبو القاسم سعد الله " أن النظام السياسي العام كان نظاما جمهوريا عسكريا مغلقا. فهو جمهوري لأن منصب الحاكم انتخابي وليس وراثيا، وهو عسكري لأن الحاكم من العسكريين، وهو مغلق لأنه نظام لا يسمح في إلا للوجق بممارسة السلطة." [1] والحاكم هو الذي يختار وزراءه بحرية تامة ويشكل مجلس الدولة بأسلوبه الخاص. لكن إنصافا للحقيقة ينبغي أن نقول بأن نفوذ الجيش البحري (الرياس) وازدياد نفوذ الدايات لم يخدم أبناء الجزائر ولم يستجيب لمطالبهم، ولهذا فإن هذه القوات العسكرية والسياسية قد توجهت لخدمة مصالحها وتحقيق الغنائم لقادتها، ونظروا إلى الجزائريين نظرة الغالب للمغلوب .

ومع كل هذا ينبغي أن نؤكد على حقيقة أساسية وهي أن الدولة الجزائرية في عهد الدايات قد تمتعت بحرية العمل في المجال السياسي وبنت جيشا قويا وعندها ميزانية مستقلة لا تقل أهمية عن ميزانيات الدول القوية في تلك الفترة. وقد كان الداي يعقد المعاهدات باسم الجزائر ويبعث بقناصل الجزائر إلى الدول الكبرى ويوافق على اعتماد القناصل في الجزائر بدون مشاورة تركيا، ويعلن الحرب، ويستعمل العملة الخاصة بالجزائر، وهذه العوامل كلها تبين استقلالية القرار الجزائري .

وما ميز الأحداث في عهد الدايات تحول جنود البحرية من جنود مناضلين ومقاتلين ضد القوات المسيحية المناهضة للإسلام، إلى رجال يبحثون عن الغنائم لأنفسهم وللحكام، فقد اهتم

[1]– أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، ص 138 .

حكام الجزائر في القرن السابع عشر والثامن عشر بجمع الثروة من العمليات الحربية في البحر، ولم يهتموا بتطور الدخل من الثروة الفلاحية وتوفير الغذاء للسكان، وهذا نتيجة لاعتمادهم على الحروب والصراعات الداخلية بين فئات الجيش، فقد لقي العديد من الحكام مصرعهم على يد المجموعات المعادية لهم بحيث أصبحت قضية اغتيال المسؤولين عملية عادية.

أما ما ميز هذه المرحلة تمكن حكام الجزائر من القضاء نهائيا على الوجود الإسباني في الجزائر وخاصة في سنة 1792م[1] حيث تمكن قادة الجزائر من طرد الجيش الإسباني من وهران والمرسى الكبير.

[1] – ينظر: مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، ص240.

أولا :التنظيم الإداري في الجزائر في العهد العثماني :

إن الدولة الجزائرية في العهد العثماني كانت عبارة عن جمهورية عسكرية تربطها بتركيا علاقات دينية واتفاقات شكلية. وقد اعتبر حكام الجزائر أنفسهم حلفاء للسلطان العثماني، ويتعاملون مع قادة الدول الأوروبية بصفة مباشرة ويبرمون الاتفاقيات التجارية معهم ويتفاوضون مع جميع الدول انطلاقا من مبدأ الدفاع عن مصالح الجزائر، وباختصار، فإن السلطة المركزية بالجزائر العاصمة هي التي كانت توجه دفة الأمور السياسية بالبلاد. حسب التقسيم الإداري الموجود في عهد الدايات، فان الجزائر كانت مقسمة إلى أربعة مقاطعات إدارية تتمثل في فيما يلي :[1]

1– **دار السلطان: أو السنجق المركزي** وهي عبارة عن مقاطعة إدارية توجد في الجزائر العاصمة ونواحيها، يوجد بها مقر نائب السلطان العثماني والداي. وتمتد هذه المقاطعة من مدينة دلس شرقا إلى مدينة شرشال غربا، ويحدها من الجنوب بايلك التيطري.

2– بايليك الشرق : ويعتبر من أكبر الولايات الموجودة في الجزائر حيث أنه يمتد من الحدود التونسية شرقا حتى بلاد القبائل الكبرى غربا، ويحده من الشمال البحر الأبيض المتوسط ومن الجنوب الصحراء، وكانت مدينة قسنطينة عاصمة هذه المقاطعة .

3– بايليك الغرب: الذي نقل إلى مدينة معسكر سنة 1710م، وكان في بادئ الأمر في مازونة منذ تأسيسه 1701م. وعندما استرجعت مدينة وهران من الأسبان في سنة 1791م صارت هي عاصمة هذه المقاطعة .[2] وكانت هذه المقاطعة تمتد من الحدود المغربية غربا إلى ولاية التيطري شرقا،

[1] – ينظر: عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، ص 63.

[2]– ينظر: عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، (1409هـ -1989م)، ص 141.

ومن البحر شمالا إلى الصحراء جنوبا. وتأتي في الدرجة الثانية من ناحية المساحة ن أي بعد ولاية قسنطينة .

4- بايليك التيطري: كانت عاصمته مدينة المدية، وهو أصغر ولايات القطر، يحده من الشمال سهل متيجة، ومن الجنوب الصحراء.

ثانيا: التنظيم السياسي للدولة الجزائرية في العهد العثماني :

قامت القيادة السياسية بتحرير جميع المناطق التي كانت تحتلها قوات الدول المسيحية وتعيين المسؤولين المحليين في جميع المقاطعات الإدارية التي تشتمل عليها الدولة الجزائرية. وباختصار فان التنظيم السياسي للدولة الجزائرية في الفترة الأخيرة من العهد العثماني (عهد الدايات) كان كالآتي :[1]

1. الداي : هو رئيس الدولة (الحاكم الأعلى) وهو القائد العام للجيش في البلاد. وبصفته المسؤول الأول عن سياسة الجزائر، فقد كان يمارس كل صلاحيات رئيس السلطة السياسية المتمثلة في:تطبيق القوانين المدنية والعسكرية، توقيع المعاهدات، استقبال السفراء المعتمدين لدى الجزائر، اختبار وزراء وحكام المقاطعات أو الولايات، والإشراف بنفسه على مراقبة إيرادات الدولة وخزينتها .

وفي العادة يتم انتخاب الداي من طرف أعضاء الديوان العالي الذي يتكون من رؤساء الوحدات العسكرية وبعض كبار المسؤولين في الدولة. وقد كان عدد أعضاء الديوان العالي يتراوح بين 80 و300 عضو، وحين يختلف أعضاء الديوان العالي يرفعون العلم الأحمر، وإذا اتفقوا على انتخاب داي جديد فإنهم يرفعون العلم الأخضر، ويلاحظ هنا أن الداي كان يتقاضى راتبه على أساس رتبته العسكرية في الجيش بصفته "أغا". وكان يتولى بنفسه الأشراف على تسيير مؤسسات تجارية وذلك بقصد جلب أموال لخزينة الدولة وفي حالة وفاته أو عزله، فان هذه الأموال التي يحصل عليها الداي تحول إلى خزينة الدولة .

2 . الديوان (مجلس الوزراء) : كان ديوان الداي هو المساعد الأيمن لرئيس الدولة لأنه يضم الشخصيات المقربة إليه والتي يعتمد عليها في تنفيذ سياسة الحكومة التي يقودها الداي، والديوان في الحقيقة هو بمثابة مجلس الوزراء في يومنا هذا، ويتكون من 35 شخصية مدنية وعسكرية تشرف على

[1] – ينظر: عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، ص 64.

تسيير شؤون الدولة في المسائل المالية والعدالة والأمن. وبالإضافة إلى القاضي والمفتي وغيرهما من الشخصيات المرموقة التي كانت تعمل في إطار الديوان، فان الداي كان يستعين بالعناصر القوية التي كانت تساعده في أداء مهامه وتتمثل هذه العناصر في:المسؤول عن الأمور المالية الذي كان يسمى **الخزناجي** حيث كان مسؤولا عن خزينة الدولة، ولا يمكن أن تفتح الخزينة إلا بحضوره لأنه هو الوحيد الذي يحتفظ بمفاتيح الخزينة العامة.[1]

وقائد الجيش البري والذي يسمى **بالأغا** وهو المسؤول عن الأولوية خارج مدينة الجزائر وعن القبائل والمحافظة على الأمن في تلك المناطق ويتكون من فرق الانكشارية ووحدات الخيالة العرب والمتطوعون، ومن بين العناصر كذلك المشرف على أملاك الدولة وسائر الحيوانات في الايالة من بيع وشراء وكان يسمى **خوجة الخيل أو ناظر الخيل**[2]؛ إضافة إلى مسؤولين آخرين كان الداي يعتمد عليهم في تسيير شؤون البلاد منهم **بيت المالجي** و**وكيل الخرج والباش كاتب** ؛ فالأول هو المسؤول عن جميع المسائل المتعلقة بالوراثة وتحديد نصيب خزينة الدولة من الوراثة أو من الأملاك التي تصادر، والثاني هو المكلف بالشؤون الخارجية مع الدول الأجنبية عن كل ما له علاقة بالبواخر والتسليح والذخيرة والتحصينات؛ أما الباش كاتب هو الأمين العام للحكومة حيث يتولى تسجيل وصياغة جميع القرارات التي يتخذها الديوان، وفي موضع آخر "سمي برئيس الكتبة ويسمى المقطجي وهو الذي يشرف على سجل المحاسبات الخاصة بالدولة وسجل القوانين العسكرية الذي يحتوي على الأسماء والألقاب والدرجات المختلفة بالنسبة لكل فرد ويوجد تحت تصرف هذا الكاتب ثلاث أشخاص مكلفين بالسجلات." [3]

---

[1]- ينظر: عمار بوحوش ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، ص ص (65 – 66) .

[2]- ينظر: عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ، تر : محمود علي عامر ، دار النهضة العربية، بيروت، ط1 ، (1409هـ -1989م)، ص 139 .

[3]- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة ، تح: محمد العربي الزبيري ، منشورات ANEP ، الجزائر ، د.ط ، 2006 ، ص 91 .

وبالإضافة إلى كبار هؤلاء المسؤولين في الدولة الذين يعتمد عليهم الداي في تنفيذ سياسة البلاد، كان هناك موظفون سامون يقومون بأعمال محدد تدل على حسن التنظيم السياسي الموجود في الدولة الجزائرية. [1]

[1] – ينظر: عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962 ، ص 64 .

ثالثا : الجانب الاقتصادي و الاجتماعي بالجزائر في العهد العثماني :

عرفت الجزائر في العهد العثماني، أربعة أنواع من أنظمة الحكم، حيث بدأت بحكم البايلر ثم الباشوات فالآغوات وانتهت بنظام الدايات، وكل نظام من هذه الأنظمة تميّز بميزة خاصة به. فعرف العهد الأخير من نظام الدايات مكانة لا بأس بها من الناحية الاقتصادية " فكانت وارداتها التجارية واسعة جدا وصناعاتها المحلية ذات شهرة ذائعة في أغلب جبهات العالم، وأما مزارعها غنية منتشرة تفيض على الأمة بالخير والبركات" [1]، حيث كانت تسد في أغلبيتها حاجيات السكان فارتكزت على الصناعات اليدوية مثل النسيج والأحذية والدباغة والسروج التي كانت من اختصاص الأندلسيين "الذين تألقوا في صناعتها فنالت إعجاب الشرقيين وغيرهم من سكان الدول الأخرى."[2] والخشب والزجاج ومواد البناء والسفن والخزف والسلاح والبارود والمواد الغذائية الخ.

هذا بالإضافة إلى صيد السمك، وكانت جل النشاطات الاقتصادية متمركزة بالمدن الكبرى مثل الجزائر والمدية وهران وتلمسان وقسنطينة وعنابة.

فمثلا في مدينة قسنطينة كان يوجد بها 33 مصنعا لدباغة الجلود و176 معملا للأحذية، وفي تلمسان كان يوجد 500 مصنعا لصناعة النسيج والخشب والجلد والحديد، وكانت الصناعة المحلية منظمة تنظيما دقيقا بحيث الحرفيون منخرطين في نقابات حسب التخصص، فنجد الدباغين والنجارين الحدادين الخ.

ولعبت الهجرة الأندلسية بالجزائر دورا ايجابيا في تحريك النمو الاقتصادي، فقد جلبوا معهم العديد من الحرف المتطورة في ذلك الوقت سواء في الميدان العمراني الفلاحي أو الصناعي، فأنشئوا

[1] – أحمد توفيق المدني ، هذه هي الجزائر ، مكتبة النهضة المصرية ، د.ط ، د.ت ، ص 72 .

[2] – حمدان خوجة، المرآة، ص 66 .

مصانع للنجارة والحدادة والجلود والمجوهرات والنسيج والخياطة والصرف والحرير والزرابي والشاشية والقندورة والبرانيس ذات جودة عالية تكفي لسد حاجيات السكان، والباقي يصدر لدول تونس والمغرب.[1]

أما سكان الريف وهم الأغلبية يمثلون 94% من مجموع السكان يشتغلون بالفلاحة وتربية المواشي من بقر وغنم ودواجن وإبل وبعض الأعمال اليدوية، وكانت الأراضي الفلاحية شديدة الخصوبة تدر منتوجات كثيرة ومتنوعة من خضر وفواكه، هذا بالإضافة إلى المنتوجات الزراعية الصناعية من قطن وتين وزيتون.

لكن السياسة الجبائية التركية المرتفعة قلصت نوعا ما النشاط الفلاحي خاصة عندما نقصت المغانم البحرية في السنوات الأخيرة من العهد التركي بالجزائر بسبب فقدانها السيطرة على البحر المتوسط، وأهم مورد فلاحي كان مخصصا للتصدير هي الحبوب من قمح وشعير، وكانت كل هذه المنتوجات تلبي حاجيات السكان والباقي يصدر إلى الخارج. أما الأراضي التي كانت تنتج هذه الخيرات فكانت مقسمة إلى أراضي العرش وهي ملك للقبيلة، أما المناطق المجاورة للمدن فهي تابعة للإقطاعية البورجوازية المحلية تقوم على خدمتها جماعة من الفلاحين مما تكسب أصحابها أرباحا طائلة[2]، أما البساتين المحيطة بالمدن فهي لكبار الإداريين ورجال الدين وكبار التجار، وهناك أراضي داخلية موزعة على أوقاف المسلمين والمخازن وأراضي فردية للأسر.

[1] – ينظر: عمورة عمار، موجز في تاريخ الجزائر، دار ريحانة، الجزائر ، ط1، 2002 ، ص 106 .

[2] – ينظر: علي خلاّصي، قصبة مدينة الجزائر، دار الحضارة، الجزائر ، ط1، 2007 ، ص 30 .

ومن الصادرات الجزائرية نحو الدول الأجنبية الأوروبية نذكر القمح والشعير والمواشي والزيت والعسل والعنب والتين والتمور والصوف الشموع والجلود، وتستورد القهوة والسكر والشاي والورق، وتتم هذه العمليات التجارية تحت رقابة الدولة ومقابل دفع حقوق الجمارك .

وكانت للدول الأوروبية بالجزائر قناصل ترعى المصالح التجارية لدولتها،وتمول مصادر دخل الخزينة العامة للدولة من طرف ضرائب الزكاة والعشر والغرامة والفوائد ورسوم الحكر المفروضة على أراضي البايلك وجزية اليهود ورسوم الجمارك والأسواق والتركات التي تؤول إلى بيت المال في حالة انعدام ورثة شرعيين وغنائم القرصنة، وتنفق هذه الأموال في تسيير شؤون الدولة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.[1]

أما من الناحية الاجتماعية فإن الاستقرار الداخلي لدولة الجزائر وهويتها التركية قد شجعا تطور الروابط الثقافية والاجتماعية مع الأجزاء الشرقية للإمبراطورية العثمانية فقد شكلت هذه الدولة حصنا إسلاميا في مواجهة العالم المسيحي، وحسب التنظيم الاجتماعي السائد بالبلاد في نهاية حكم الدايات، كان المجتمع الجزائري متكونا من الأتراك وهم من الطبقة الحاكمة – **الطبقة الارستقراطية** وتضم في صفوفها الموظفين السامين من السياسيين والإداريين والجنود وهي الفئة المسيطرة على الجزائر حتى نهاية الحكم العثماني بالجزائر في سنة 1830. " وبالرغم من قلة عدد أفراد هذه الجالية التي لم يتجاوز عدد أفرادها سنة 1830م بـ 20.000 نسمة" [2] فإنها كانت قوية وذات نفوذ واسع في البلاد، ويحرص أفرادها على إبقاء المناصب الحكومية بين أيديهم، وعزل السكان الأصليين للبلاد عنهم حتى لا ينافسوهم في السلطة والنفوذ. " فقد جاء الأتراك بوسائل حضارية شرقية إلى الجزائر من مآكل

[1] – ينظر: عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962 ، ص 72.

[2] – المرجع نفسه، ص 73.

وملابس ومشارب وألقاب وصنائع وتقاليد"[1]، كما تميزوا بالافتخار بأعمالهم العسكرية والاعتزاز بلغتهم الأصلية والعزوف عن خدمة الأرض. وكان معظم الأتراك يفضلون كسب عيشهم من المرتبات التي يحصلون عليها من خزينة الدولة أو من إيجار المحلات التي تحمل أسمائهم أم من إيجار البساتين التي يملكونها في المناطق التي يقيمون بها.

وقد بقيت العلاقة بين الأتراك وسكان الجزائر تتصف بالجفاء والعداء والنفور حتى يوم مغادرة الأتراك لأرض الجزائر ..و أما **فئة الكراغلة** وهي فئة جديدة من المولدين العثمانيين (من أمهات جزائريات)،" وقد بلغ عددهم في نهاية القرن الثامن عشر بمدينة الجزائر حوالي 6.000 نسمة "[2] كما تزايد عددهم بشكل ملحوظ في مدينة تلمسان، وبالرغم من انتمائهم إلى آباء من أصل تركي، لم يحصلوا على امتيازات أو يشاركوا في الحكم فقد اعتبروهم كراغلة غير أصليين أو أبناء عبيد، ولم يكن لهم الحق في الانتساب إلى الجيش أو الحصول على مناصب إدارية بحكم أنهم قد يتحالفون مع أبناء الجزائر الأصليين.

والمهاجرون الأندلسيون وكانوا يشكلون قوة تجارية هائلة بالجزائر حيث ساهموا في تنمية التجارة وإنشاء صناعات رفيعة بالبلاد. وقد ارتفع عددهم بالجزائر بعد أن قامت إسبانيا بطردهم بصفة جماعية سنة 1610، " وأشهر المدن التي حلوا بها هي: شرشال وتنس ومستغانم والمدية والجزائر ودلس وبجاية وعنابة."[3] وبما أنه لم يكن في إمكانهم الالتحاق بالجيش والوظائف العليا بالدولة، فقد توجه معظمهم إلى التجارة والصناعة حيث أظهروا مهاراتهم وكفاءاتهم بفضل الأموال التي جلبوها معهم من الأندلس وخبرتهم الكبيرة في ميادين صناعة الأسلحة والبارود والنجارة والخياطة وصناعة الخزف، وقد

[1] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ،ص 143.

[2] – عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962 ، ص 73.

[3] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص142.

اشتهروا أكثر من غيرهم في تجارة الجملة وتمويل السفن بالبضائع، كما اشتهروا بإنتاج الحرير في مدينة القليعة، وزراعة قطن جديد في مستغانم؛ " فأسهموا في الحياة الاجتماعية بإدخال عنصرين رئيسيين، الأول مضاعفة الكفاح ضد الأسبان و الثاني نشر أنماط حضارتهم بين الجزائريين" [1].

أما **أبناء البلد الأصليين**، وهي فئة تشمل سكان المدن وسكان البادية، وتضم العلماء والتجار وأصحاب الحرف والكتاب والإداريين، فنجد بعضهم يشتغلون بالزراعة أو التجارة أو الصناعة، وهذه الفئة رغم دورها الاجتماعي والاقتصادي وحتى العسكري، لكنها محرومة من التطلع السياسي، فهذا حق فقط للأتراك، في حين أن هذه الفئة بفضل نفوذها سواء كان عن طريق الثراء أو عن طريق العلم، كان لها تأثير على السياسة بشكل عام، فإبعادها عن الحكم في البلاد هو ما جعل هذا الجفاء والعداء بين الجانبين. كما تميز بني مزاب بتواجدهم في الحمامات العمومية والمجازر والمطاحن. فهم عمال يأتون من الريف إلى العاصمة أو غيرها من المدن الكبرى. أما الزنوج فكانوا يشتغلون كغسالين وخبازين وخدم .

ونجد كذلك **فئة اليهود** فبالرغم من وجود عدة فئات أجنبية مسيحية فإن الجماعة النشيطة التي ارتفع شأنها في الجزائر هي جماعة اليهود لأن اليهود كانوا يتعاملون مع الداي وقادة الجيش (الرياس) ويقومون بشراء وبيع البضائع أو الغنائم التي يحصل عليها رجال الجيش. كما اشتهر اليهود بعمليات السمسرة والقيام بدور الوساطة في كل العمليات التجارية، وكان لبعض العائلات اليهودية نفوذ كبير على الحياة الاقتصادية وخاصة التجارية.[2]

[1] – المصدر السابق، ج1، ص 142.

[2] – ينظر : عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، ص 74.

أما الجانب الصحي فقد شهد المجتمع الجزائري عدة أمراض انتشرت انتشارا خطيرا بالمغرب العربي، "ومنها مرض الطاعون الذي قضى على مئات الآلاف، فضرب مدن دلس، عنابة، قسنطينة، تلمسان، حيث تبين من خلال المؤرخين أن سبب تنقله هو عدد من الحجاج" [1]، إضافة إلى انتشار أمراض أخرى منها الكوليرا، الجذري، الرمد، السل...، ومن العوامل التي أدت إلى تدهور الحالة الصحية، هو انتشار المستنقعات بالمدن الكبرى والساحلية، مما يعود على عدم اهتمام الحكام العثمانيين بالرعاية الصحية .

[1] – ينظر: علي خلاّصي، قصبة مدينة الجزائر، دار الحضارة، الجزائر، ط1، 2007، ص 36 .

رابعا : الحياة الدينية والثقافية والفنية :

كان أغلب الشعب الجزائري على المذهب المالكي، أما " الأتراك فقد ادخلوا المذهب الحنفي إلى جانب الكراغلة وبعض الحضر وجاؤوا بطرق صوفية لم تكن معروفة أو لم تكن منتشرة داخل الشعب الجزائري، ومن جهة أخرى أثروا في العمران كالمساجد والأضرحة، وفي الموسيقى والخط، والمنشآت العسكرية والبحرية وفي اللغة والملابس"[1]، وفي موضع آخر ذكر أبو القاسم سعد الله أن الطرق الصوفية هي ظاهرة انتشرت في الحضارة الإسلامية وهذا قبل مجيء العثمانيين إلى الجزائر، هذا وقد شاع التصوف في الجزائر بفضل مدرسة عبد الرحمن الثعالبي ومحمد بن يوسف السنوسي وأحمد رزوق وغيرهم، ومن الطرق الصوفية التي شاعت في الجزائر قبل العثمانيين الطريقة الشاذلية والقادرية." إلى جانبهم توجد أقلية يهودية لا تتعدى 1% من مجموع السكان لها معابدها الخاصة وتمارس شعائرها الدينية بكل حرية وتمتلك مدارس تعلم فيها اللغة العبرية، وتحتكم إلى قضاة خاصين وهم الأحبار" [2]، ورغم العدد القليل من المسيحيين إلا أنه كانت توجد كنائس بالجزائر وكانوا يتحاكمون إلى القنصليات المسيحية الموجودة في الجزائر.

كان يوجد في مدينة الجزائر لوحدها "عندما دخل الفرنسيون 106 مسجدا منها 92 ينتمون إلى المذهب المالكي و14 إلى المذهب الحنفي، هذا إلى جانب المؤسسات الدينية كالزوايا والكتاتيب التي يعلم فيها القرآن والعلوم الإسلامية، وكانت كلها تعيش من موارد الأوقاف".[3] حيث كانت العائلات الجزائرية تعتمد بالدرجة الأولى في تعليم أبنائها في هذه المؤسسات من مساجد وكتاتيب فلم تخلو القرى والمداشر من هذه المؤسسات التعليمية.

---

[1] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص143.

[2] – عمورة عمار، موجز في تاريخ الجزائر، دار ريحانة، الجزائر، ط1، 2002، ص 109 .

[3] – عمورة عمار، موجز في تاريخ الجزائر، ص 109.

أما مدينة جيجل، فقد ساروا على طريقة آبائهم في سلوكاتهم اليومية وممارستهم للشعائر الدينية وفي تقديس قمم الجبال، فالمستوى الفكري الذي كان يسود المنطقة في نهاية العهد العثماني، وجدناه فكرا خرافيا يسيطر عليه رجال الطرق الصوفية، ذلك أنه يؤمن بكل شيء فمثلا "عرش بني معمر وبني صالح يقدسون قمة جبل سدات ويسمونه "لالاسدات"، فكانت تنظم لتلك القمم الزيارات وتذبح لها الذبائح ومن القمم المعروفة أيضا يوجد قمة سيدي وشاك غيرها "[1] هي عادات قديمة ورثها الأهالي من أسلافهم ونلاحظ أنها ليومنا هذا مازالت قائمة في بعض المناطق.

وكانت اللغة الرسمية للأيالة هي التركية العصمانلية*، كما وجدت بعض الكلمات التركية وتداولت إلى يومنا هذا، وهي لغة للحديث أكثر منها للكتابة "وقد بقيت العربية اللغة الشائعة الاستعمال لأنها كانت تجمع العرب والأتراك والمهاجرون."[2] ولا نعرف أن الحكام العثمانيين كانوا يتقنون العربية العامية فكيف إذا كان الحديث عن العربية الأدبية التي لا يحسنونها ولا يتذوقونها؟، وخلق هذا الجو هوة علمية واسعة بين المسلمين والأوروبيين حال دون إطلاع الجزائريين على ما كان يجري في أوربا من اختراعات وتطورات علمية تقنية.

فمن أهم الظواهر البارزة في المجتمع الجزائري، أنهم " كانوا يسابقون غيرهم في أعمال الخير، ووقف الأوقاف على المساجد والمدارس والمنشآت العامة." [3]، فعنايتهم الخاصة بالمساجد كان لها التأثير الجيد في هذا المجال، فقد وجدت بالقرى وفي أحياء المدن لأنها ملتقى يجتمع فيه الناس للعبادة والتشاور والعلم بعلوم الدين، كما كانت وسيلة لتنشيط الحياة الاجتماعية والعلمية، فكما يقول أبو القاسم سعد

[1] – علي خنوق، تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، منشورات الأنيس، الجزائر، ط1، 2007، ص84 .

*- العصمانلية : هي عبارة عن مزيج من الكلمات العربية والفارسية والتركية

[2] – وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، ص 102 .

[3] – أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، ص 73 .

الله المسجد هو قلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة، لموضعه الاستراتيجي داخل المنطقة السكانية فقد انتشرت حوله المنازل والكتاتيب وحتى الأسواق، كما أنه كان رابطة بين سكان القرية والمدينة، فقد يجمعهم في ذلك الشراكة في البناء أو في أداء الوظائف. وكانت عملية التشييد والبناء مقتصرة على الأغنياء، أما أعيان القرية فكانت مهمتهم في المساهمة بمد يد العون سواء عن طريق الصيانة أو عن طريق جمع التبرعات، أما إذا كان البناء من طرف حاكم أو باشا فقد يقوم ببنائه من ماله الخاص وهذا ليعبر عن إحسانه ورغبته في تأدية واجب ديني، فهي خاصية تشجع الأهالي على الإحسان ونشر القيم الخلقية التي يحث عليها ديننا الحنيف.[1]

ومع اختلاف الإحصاءات عن عدد المساجد في الجزائر والمدن الرئيسية، في العهد العثماني، هذا لأن بعضها كان قبل هذه الفترة والآخر شيّد أثنائها، وكما ذكرت بعض المصادر أن الجامع الكبير بالجزائر كان قبل الفترة العثمانية، فقد ذكر لنا هايدو الإسباني من خلال تأريخ سعد الله أن مدينة الجزائر كانت تعد حوالي مائة مسجد وهذا في آخر القرن السادس عشر من الميلاد، أما في مدينة قسنطينة وفي عهد صالح باي، هذا الأخير الذي اعتنى بإحياء المساجد وترميمها وتشييدها بلغت خمسة وسبعين مسجدا وجامعا، إضافة إلى سبعة مساجد خارج المدينة، وفي مصدر آخر عن الورثلاني الذي زار المدينة ذكر أن بعضها كان متقن البناء، ومن المدن التي انتشرت بها المساجد نذكر كذلك عنابة التي كان بها حوالي سبعة وثلاثون مسجدا أشهرها جامع سيدي أبي مروان. [2]

كما لعبت المدارس الدينية (الزوايا) دورا مهما ليس فقط في الميدان الديني والتعليمي بل تعداه إلى الميدان الاقتصادي والاجتماعي، فكانت تملك أراضي فلاحية واسعة ودكاكين وفنادق وبساتين ومساكن ليس فقط في مدينة الجزائر ولكن في كل أنحاء الوطن، وينفق عوائدها في الأعمال الخيرية

[1] – ينظر : أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 248 .

[2] – للتعرف على إحصاء دقيق للمساجد في باقي الولايات الرئيسية، ينظر أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 .

ومرتبات الأئمة والمعلمين ومساعدة الطلبة وتشييد المدارس والمساجد وصيانتها، وتديرها مؤسسة دينية يشرف عليها أئمة كبار مستقلة عن الحكم التركي ذات الكفاءة العالية في ميدان التسيير. [1]

ويتجلى درها في الحركة الثقافية، خاصة الجانب التعليمي من خلال نشاطاتها المختلفة كتلقين العلوم الدينية واللغوية والأدبية، وتوجيه الطلبة نحو المدارس المجاورة كمدرسة القرويين بفاس، وجامع الزيتونة بتونس للاستزادة والتكوين، وهناك من يتعداه إلى مصر بالأزهر الشريف، وبهجرتهم التقوا بعلمائها وتحصلوا العلوم على أيديهم، وكانوا ينالون حظوة كبيرة عند عودتهم، فيقومون بعدة مهام كالتدريس والقضاء والإفتاء ونشر كل ما تعلموه من معارف وعلوم، واهم ما ميز العهد العثماني انتشار الزوايا والطرق الصوفية والقباب والأضرحة والأماكن المخصصة للزيارات في أنحاء البلاد سواء في المدن أو في الأرياف، فكانت كل مدينة إلا ولها ولي صالح يمنح لها البركة ويبعد عنها الشر .

ولأهميتها ازداد عددها في البلاد، حتى فاق عدد المساجد والمدارس، فتلمسان كانت بها أكثر من ثلاث عشرة زاوية، ومدينة الجزائر فقد تعدت بها الاثنتا عشر زاوية واثنان وثلاثون قبة، ومدينة قسنطينة فقد شهدت في عهد صالح باي أكثر من ثلاث عشرة زاوية [2]. وكانت أملاك الأوقاف تتمتع بحصانة قوية بحيث لا يستطيع الحكام مهما كانت رتبتهم المساس بها، وبفضل أموال الأوقاف والزوايا في الأرياف انتشر التعليم في مختلف أنحاء الجزائر بحيث كان معظم الجزائريين يحسنون القراءة والكتابة، وهذا ما شهد عليه الفرنسيون عند احتلالهم للجزائر .

إلى جانب الزوايا، وجدت كذلك المدارس القرآنية (الكتاتيب)، فهي عبارة عن حجرة أو حجرتين مجاورة للمسجد أو حتى بعيدة عنه أو غرفة في منزل، وتجدها كذلك في الزوايا، هذه الأماكن

[1] – ينظر : عمورة عمار، موجز في تاريخ الجزائر، دار ريحانة، الجزائر، ط1، 2002، ص 109 .
[2] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 267 .

تخصص في تعليم القرآن والقراءة والكتابة، والخاصية التي تميزها أنها تكتفي فقط بتحفيظ القرآن وقراءته وكتابته ولا تضيف إليه من العلوم الأخرى شيئا، وقد عرفت انتشارا واسعا في كامل أنحاء البلاد من مدن وقرى وأرياف. [1]

فكانت الكتاتيب أقل وحدة للتعليم الابتدائي، وكان يطلق عليه في العاصمة باسم " مسيد "، وكثيرا منها كان يحمل اسم الحي الواقع فيه، ومنها ما كان يحمل اسم الشارع أو اسم الزاوية لأن الكتاب تجدها كذلك في الزوايا، مثل كتاب زاوية الجامع الكبير، كما أن بنائها وفتحها يشترك فيها كل طبقات المجتمع من باشوات وبايات وموظفون سامون إضافة إلى الأهالي، ولان الكل معني بإنشاء هذه الكتاتيب كان من الأسباب الرئيسية التي جعلتها تنتشر في كامل أنحاء البلاد، وباختصار فإن هذه المؤسسة التعليمية المهمة هي التي غذت عقول الأطفال في مراحله الأولى للتعليم .

والمواد التي كانت تدرس في المرحلة الأولى للصغار القراءة والكتابة والقرآن، ولما ينتقلون إلى المعاهد يدرسون العلوم الدينية واللغة العربية والمنطق والحساب وعلم الفلك وعلم الجداول لتحديد مواقيت الصلاة ثم الطب والرسم وغيرها، وعندما يصل الطلبة إلى مستوى معين يمكنهم الرحيل بمفردهم إلى القاهرة أو المشرق العربي لمواصلة دراساتهم .

وجاء في حديث أبو القاسم سعد الله أن أبو راس الناصر عند حديثه عن مدرسة التعليم الثانوي والعالي بأنها هي التي: "تبنى لدراسة العلم ، أي تعليمه و تعلمه ".[2]ونذكر منها مدرسة القشاش بالجزائر تعود إلى سنة 1162، فقد كان فيها أستاذا مكلفا لتدريس الشريعة الإسلامية والتوحيد،

[1] – ينظر: مؤيد محمود حمد المشهداني، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518–1830، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، جامعة تكريت، 2013م – 1434هـ، 16، مج5، ص 435.

[2] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 280 .

بالإضافة إلى عشرة أساتذة لتدريس مختلف العلوم الأخرى، بالإضافة إلى مدرسة الأندلسيين ومدرسة شيخ البلاد اللتان اتصفتا بالتدريس العالي.

وبهذا فإن النشاط الثقافي قد استمر طوال العهد العثماني، ولم يقتصر على المدن بل تعداه إلى الأرياف الجزائرية، وهذا ما شهد عليه احد القادة الفرنسيين في عام 1834م، فقال "إن العرب كانوا يتقنون كلهم القراءة والكتابة، وفي كل قرية كانت توجد مدرستان. أما عدد المدارس، فقد كان يناهز ألفي مدرسة، كما توجد معاهد في الجزائر العاصمة، وقسنطينة، ومازونة، وتلمسان، ووهران. إن التعليم في الزوايا الكبرى كان زاهرا. وكان لكل طريقة دينية عدة مدارس منتشرة في القطر " [1].

أما المكتبات في العهد العثماني، فقد عرفت رواجا كبيرا من خلال كثرة الكتب والمكتبات، فقد كانت الكتب في الجزائر تنتج محليا عن طريق التأليف والنسخ، كما كانت تجلب من الخارج خاصة من الأندلس ومصر واسطنبول والحجاز، وتونس والمغرب، كما كانت مدينة تلمسان أكثر المدن الجزائرية في وفرة الكتب سواء منها المحلية أو الخارجية فقد كانت عاصمة علمية مزدهرة، كذلك كانت بجاية وقسنطينة، وكان للكتب أهمية بالغة عند العلماء والمهتمين بهذا المجال يخشون على الكتب أكثر مما يخشونه على أنفسهم وللحفاظ عليها إذا وقعت غارة عجلوا بتهريبها إلى أماكن خفية، وهذا ما وجدناه في رسالة الثعالبي لأحد تلامذته حين نصحه بتهريب كتبه إلى مكان غير معروف، دون أن يبعدها عن المكان الذي كانت فيه، ويقول في نص الرسالة: "..فاعلم رحمك الله أن نقلها من الحزم ولكن إلى ما قرب منكم من الأماكن.." [2]، كما كانت توجد بمدينة وهران زاوية تضم مجموعة من الكتب العلمية والآلات الجهادية، ويقصد بالأخيرة فإنها تضم متحفا تاريخيا، ومن الأسباب التي أدت إلى هجرة الكتب مع أهلها من الأندلس هو الضغط الذي مارسه الأسبان على أهل الأندلس، كما شهدت

[1] – أرزقي شويتام، العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية خلال الفترة العثمانية، مجلة الدراسات التاريخية، ع13، ص 88.

[2] – أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار البصائر، الجزائر، د.ط، 2007 ، ج1، ص 208 .

عبارات الفرنسيين الباحثين الذين جمعوا المخطوطات من مكتبات المدن الجزائرية، أنهم اندهشوا من كثرة الكتب التي وجدوها، وزاد اندهاشهم في جمالها تنوعها، فنجد الفرنسي شارل فيرو الذي كتب عن المؤسسات الدينية في قسنطينة الذي قال عن مكتبة شيخ الإسلام، والتي قال عنها بأنها كانت غنية لا بالكتب الخاصة بالجزائر فقط بل حتى بالكتب المتعلقة بالبلاد الإسلامية " [1]، ويتضح لنا تنوع وكثرة العلوم التي كان يتذوقها أهل العلم، ومدى أهمية الكتاب عند الجزائريين.

ففي مدينة الجزائر كان يوجد عند نهاية العهد التركي حوالي مائة مدرسة، ولكن هذا لا يعني أن الحركة الثقافية كانت على المستوى الرفيع الذي عرفته الجزائر سابقا في عهد الحماديين والزيانيين، بحيث كانت أقرب إلى الثقافة التقليدية لا تساير العصر الحديث وهذا لقلة إنجاب الجزائر لعلماء بارزين سواء في الميدان الفقهي أو الأدبي أو العلمي لان جهد الأتراك كان منصبا على الميدان العسكري. " ومن جانب آخر أدت الظروف الحرجة التي كانت تمر بها الجزائر في مطلع القرن السادس عشر إلى هجرة عدد كبير من العلماء الجزائريين إلى المغرب الأقصى، ويعود أصل معظمهم إلى مدينة تلمسان، وكان وراء تلك الهجرة الاضطرابات التي عرفتها المنطقة الغربية من البلاد، إذ دخل العثمانيون في صراع مع الزيانيين" [2]، الذين تحالفوا مع الاسبان ومع توتر الأوضاع في المنطقة حاول العلماء الجزائريين البحث عن جو يسوده الهدوء والاستقرار، لأداء رسالتهم العلمية على أكمل وجه، فانتقلوا إلى الدول المجاورة كالمغرب وتونس وحتى المشرق العربي. ومن هؤلاء نذكر: " أحمد بن يحي الونشريسي إلى فاس لأسباب سياسية ونفس السبب أدى بهجرة المفكر محمد بن عبد الكريم المغيلي إلى الهجرة من تلمسان إلى

[1] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، ص 286 .

[2] – أرزقي شويتام ، العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية خلال الفترة العثمانية ، مجلة الدراسات التاريخية، ع 13 ، ص 85 .

السودان القديم، وهناك آخرون هاجروا إلى المشرق حتى وافتهم المنية هناك من أمثال أبي الفضل محمد المشدالي البجائي وأحمد بوعصيدة البجائي وأحمد بن يونس القسنطيني" [1] وآخرون.

وقد نبغ في هذا العهد رجال أفذاذ، تألق اسمهم في بلدان العالم الإسلامي، نذكر منهم "عيسى بن محمد الثعالبي، ويحي بن صالح المليانى، وسعيد المقري، وأحمد ابن عمار الجزائري، وعمر ابن محمد المنجلاتي، وطائفة عظيمة من شيوخ الإسلام وعظماء المدرسين الذين أفادوا الأمة بعلمهم وبعملهم." [2] وسبق ذكر مجموعة من العلماء، وسأذكر كلما حانت الفرصة لذلك.

لقد ترك الأتراك أثارا عمرانية كبيرة لا زالت شاهدة اليوم على وجودهم من بينها مدينة القصبة* والتي تعتبر من أكبر المباني في الجزائر "فقد ضمت مجموعة من المباني تظهر ككتلة بيضاء موحدة، وعند الاقتراب تجد مجموعة من الشرفات وفتحات المدفعية تحوي عددا كبيرا من المدافع، فهي بذلك تتخذ مظهرا عمرانيا شديد الشبه بالمدينة الصغيرة."[3] وجامع كتشاوة المشهور ومسجد على بتشين الذي شيد من طرف هذا الأخير عام 1622، وكان يضم في السابق كل الدكاكين الموجودة أسفله، وهو أحد قادة طائفة الرياس البحرية، هذا بالإضافة إلى قصور الدايات الواقعة في القصبة وحسين داي وكلها موجودة بمدينة الجزائر، هذا ولم يكن تشييد العمران في الجزائر فقط بل طال جميع المدن الكبرى الجزائرية كقسنطينة وعنابة والمدية ووهران " وأصبحت القصبة متحفا من المتاحف المفتوحة العلمية المحمية من طرف منظمة اليونيسكو التابعة للأمم المتحدة "[4].

---

[1] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، ص 44 .

[2] – أحمد توفيق المدني ، هذه هي الجزائر ، ص 74 .

* - إذا أردت التعرف الدقيق على القصبة، ينظر الكتاب المذكور لعلي خلاصي .

[3] – ينظر: علي خلاّصي، قصبة مدينة الجزائر، دار الحضارة ، الجزائر ، ط1 ، 2007 ، ص 57 .

[4] – عمورة عمار، موجز في تاريخ الجزائر، دار ريحانة، الجزائر، ط1، 2002، ص 110.

هذا ولم تكن الجزائر قبل العثمانيين خالية من العمران، فقد ذكر حمدان خوجة في كتابه المرآة بأن "سلطان المغرب قد قام ببناء مسجدا سنة 460هـ، كما شيد معهدا لتدريس العلوم وبعض المرافق للراحة، فإن هذا المسجد مازال موجودا إلى يومنا هذا ويسمى بالجامع الكبير، كما تعد القصبة من الآثار القديمة، فكانت تتكون في ذلك الوقت من عدة منازل تحيط بجامعها والباقي كان خلاء يعقد فيه البدو والبرابرة أسواقهم، فهذه الأماكن أطلق عليها أسماء خاصة منها سوق الجمعة وهذا يكون في يوم الجمعة وسوق الكتان الذي تباع فيه الأقمشة وغيرها"[1]، وعدد آخر من الزوايا والربط، بالإضافة إلى الحصون والدكاكين والمخازن والأسواق ونحو ذلك من العمران، وكانت أيضا موطنا لعدد من العلماء أمثال عبد الرحمن السطاح، واحمد بن هلال العروضي وعبد الله بن السكات ومحمد القلعي وابن البركات الباروني وعبد الرحمن الثعالبي وأحمد الجزائري صاحب المنظومة الشهيرة "بالجزائرية"[2] وهو الذي كتب عن الجزائر في بعض أشعاره والتي تدل على أنها كانت مدينة هنيئة العيش وافرة أسباب الراحة والعافية.

كما أنَ العادات الاجتماعية التي مارسها أهل المدن تختلف عن عادات أهل الريف، فهذه الأخيرة كانت متنوعة وتقوم على توجيهات أصحاب الطرق الصوفية في اغلب الأحيان، أما عادات أهل المدن كانت موحدة تتأثر بما كان يجري في الأندلس وفي حواضر المشرق الإسلامي، وهي تستمد أصولها من التاريخ الإسلامي والحضارة العربية.

وقد وصف ابن حمادوش بعض عادات مدينة الجزائر ليلة القدر منها ختْم صحيح البخاري وغيرهما من المناسبات الدينية، كما بين مقارنة بين عادات المولد النبوي في الجزائر والمغرب [3].

[1] – حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تح : محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، د.ط، 2006، ص 70.

[2] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص165.

[3] – ابن حمادوش، الرحلة، نقلا عن : أبو القاسم سعد الله، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ج1، ص 159.

كما أن المفتي أحمد ابن عمار قد ترك وصفا لعادات أهل مدينة الجزائر بمناسبة المولد النبوي "كإيقاد الشموع وإنشاد التواشيح والتزيين والتطيَب وغيرها من أنواع المباحات"[1] وبعد ذلك حلَ بمدينة الجزائر أديب مغربي فوصفها أوصافا أدبية تدل على ما وصلت إليه مدينة الجزائر من عظمة وبهاء، فهي عند ابن زاكور ذات جمال باهر حين قال: "غصَ ببهجتها كل عدو كافر، لذلك يتربصون بها الدوائر... ويرسلون عليها صواعق لم تعهد في الزمن الغابر."[2] فقد عاين رواءها الذهبي وبحرها الأزرق، ففيها الحدائق الغناء والقصور الجميلة، وهي بيضاء في الصباح، ذهبية في المساء، أما عن علمائها وفضلائها فقد وصفهم بالأعلام الأجلاء والأئمة الفضلاء الذين تفتخر بهم الأمة العربية والإسلامية. ونفس الأوصاف والإعجاب نجدها في كتابات عبد الرحمن الجامعي المغربي أيضا، ومصطفى بن رمضان العنابي ومحمد بن ميمون وأحمد ابن عمار، وجميعهم من القرن الثاني عشر (18م).

وكان سكان مدينة الجزائر في العهد العثماني من مختلف الأجناس بالإضافة إلى أهلها الأصليين، وكان أيضا فيها مختلف الأديان واللغات فأصبحت مفتوحة للتيارات الخارجية إلى حد كبير وكانت تضم عددا من المؤسسات الدينية والعمرانية من ذلك المساجد والزوايا والقباب والثكنات.

كما ذكر أبو القاسم أنَ جميع الكتابات تؤكد أن مدينة الجزائر كانت من أشهر المدن أمنا لساكنيها فكانت شوارعها ضيقة نسبيا للأسباب تتعلق بالأمن من جهة و بالطبيعة من جهة أخرى، وقد تغنى بعض الأدباء بطبيعة وقصور وجمال مدينة الجزائر وطال الحديث عن أهمية باقي المدن الجزائرية كمدينة قسنطينة التي عدَت ثاني مدينة في القطر أهمية وحجما بعد العاصمة في العهد العثماني، فكانوا يقصدونها للتجارة والعلم والعمل فهي تضم منشآت عمرانية كثيرة من ذلك الثكنات والمساجد والقصور والمدارس، وقد أشار الرحالة الورثلاني في القرن الثاني عشر (18م) أنَ مدينة قسنطينة تضم

[1]- ابن عمار، نحلة اللبيب، ص96. وينظر أيضا أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص159 .

[2]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص171.

خمسة مساجد جمعة وعاب على ولاتها عدم اهتمامهم بالأوقاف والمدارس[1] فقد اكتسبت نتيجة ذلك شهرة علمية في العالم الإسلامي كما طال الحديث عن أهمية باقي المدن الجزائرية ولكل مدينة أهميتها ورصيدها وشهرتها [2].

أما من ناحية الفنون الزخرفية، فهي من بين المميزات التي أثرت على الهندسة المعمارية، هذا لأنها طبعت العمارة التقليدية في الجزائر عامة والقصبة على وجه الخصوص، فتجد الجدران الداخلية والسقوف المغطاة بالزخارف المتنوعة الأشكال والألوان، والتي تجلب إليها أعين كل من مرّ بها، ثم تجد الأعمدة الدائرية المكساة بالرخام أو الحجر الكلسي، والتي استعملت بهدف زخرفي جمالي إضافة إلى أهميتها من الناحية المعمارية فهي وسيلة من وسائل الدعم الأساسية، ثم توزيع النوافذ والخزائن عن طريق التناظر ما يشكل لوحة عمرانية جميلة. [3]

ثم نجد النافورات الجميلة التي استعملها المعماريون كشكل هندسي جميل مرصع بالرخام فقد وجدت بالقصبة أربع نافورات كانت تزين حائق القصور، كذلك من المناظر الخلابة التي زينت القصور والحدائق العيون التي سماها على خلاص بشرايين الحياة في المباني، فقد وجدت مجموعة كبيرة منها في القصبة والتي زينت واجهاتها بإطار من الرخام يرتكز على أعمدة مضاعفة. [4]

ويمكننا القول أنّ طريقة البناء في الجزائر هي طريقة تقليدية، فهي في الأساس تعتمد على الطريقة التقليدية المحلية، والتي وجدت بالمدن الداخلية والمباني الشعبية بالمدن الكبرى، أما التأثيرات الأندلسية فوجدت في الهندسة الداخلية للمباني الكبرى كالقصور والمساجد وبعض المنازل وتتمثل في

[1]- ينظر : أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص ص 174- 175.

[2]- للتعرف على أهمية باقي المدن الجزائرية أنظر أبو القاسم سعد الله في تاريخ الجزائر الثقافي الجزء الأول .

[3]- ينظر: علي خلاّصي، قصبة مدينة الجزائر، ص 98 .

[4]- ينظر: المرجع نفسه، ص 110.

الزخارف، والأقواس والأبواب وتبليط الأرضيات والقباب، وهناك تأثيرات أخرى منها التركية التي تظهر في المآذن وتكسية الجدران، والزخارف الرمزية، إضافة إلى مؤثرات جاءت عن طريق النشاط التجاري من دول أوروبية، فهذا كله صنع لوحة رائعة طبعت المنشآت العمرانية بالجزائر.

الفصل الأول: الشعر الجزائري في العهد العثماني / موضوعاته وخصائصه

أولا: الشعر الجزائري في الفترة العثمانية.

ثانيا: موضوعات الشعر الجزائري في العهد العثماني.

ثالثا: الخصائص الفنية للشعر الجزائري في الفترة العثمانية.

أولا – الشعر الجزائري في الفترة العثمانية :

الشعر فن من الفنون الجميلة، يصدر عن طريق الوجدان، فهو يترجم كل ما يدور في ذات الشاعر من أحاسيس داخلية وخارجية، فهو يعبر عن نفسه وعن الآخرين ليظهر أحاسيس وعواطف مختلفة تتطابق أحيانا مع المتلقي ظاهرا كان أم خفيا، كالأفراح والأحزان وكل الاضطرابات، التي تصدر من المواقف المختلفة من المجال الخارجي، وكلها تظهر من خلال اختلاف الأغراض الشعرية التي يكون فيها الشعر متجددا.

لقد سعت محاولات نقدية كثيرة إلى دراسة الشعر العربي بعامة والجزائري بخاصة قديمة وحديثة، وتباينت مناهجها، واختلفت طرائقها، وتعددت دعواها وتفاوتت اجتهاداتها وهذا كله يعود بالخير على الثقافة الأدبية، لأنها حصدت غنائم هذه البحوث والجهود، ومازال هذا المتن يحتاج إلى دراسات كثيرة لكي يتم الوقوف على جوانبه المختلفة.[1] فالموروث الثقافي الجزائري خاصة القديم يزخر بمختلف الأنواع الأدبية شعرية كانت أم نثرية هذا بفضل علمائنا الأجلاء الذين اجتهدوا بأفكارهم وبحوثهم في مختلف المجالات الأدبية والاجتماعية والسياسية وحتى من خلال خطبهم وآرائهم التي كانت المرجع الأساسي للدارسين والباحثين.

1– الحركة الثقافية في الجزائر أثناء الحكم العثماني :

إن المتتبع للفترة العثمانية بالجزائر، يجد قلة الكتابات التاريخية المحلية المتعلقة بهذه الفترة، رغم طول مدتها وغناها بالأحداث التاريخية والسياسية الهامة فيقول فارس كعوان:" في اعتقادنا أن ذلك يرجع إلى عدد من العوامل أبرزها قلة الاهتمام بالتاريخ من كتّاب ذلك العصر وعدم اعتناء غالبية الحكام الأتراك

[1]– ينظر: أحمد يوسف، السلالة الشعرية في الجزائر –علامات الخفوت سيماء اليتم–، مكتبة الرثاء، الجزائر، د.ت، 2004، ص10.

بتشجيع الكتاب على التدوين التاريخي." [1] وهذا ما أكده الورثلاني، ويعود هذا إما لكون غالبيتهم ممّن لا يفهمون العربية أو لكونهم من العسكر وبالتالي فهم لا يقدّرون قيمة الكتابات التاريخية. فقد انصب اهتمامهم على الحياة السياسية والعسكرية مما انعكس على الواقع الثقافي والأدبي .

أما الكتابات الأدبية والشعرية، فقد وجدت في العهد العثماني كتابات وأشعار وحتى دواوين لكنها وللأسف لا نعرف أن واحدا منها قد نشر أو جمع وحقق، فأعمال كل من المنداسي وابن علي وابن عمار والمقري والمنجلاتي وابن سحنون وابن الشاهد وغيرهم مازالت في طي الكتمان، فكل ما نعرفه عن هؤلاء الكتاب والشعراء هو بعض الأبيات أو القصائد في بعض المصادر التاريخية أو الفقهية أو تفرقت بين الوثائق والمخطوطات، فهذه الظاهرة للشعر وأهله تؤكد ما ذهب إليه ابن خلدون من أهل المغرب العربي في أنهم أضاعوا رواية أشعارهم وأخبارهم فأضاعوا بذلك أنسابهم و أحسابهم ، هذا الرأي كان حافزا لعدد من الشعراء والكتاب على تدوين الشعر، ومن هؤلاء احمد ابن سحنون* في **الأزهار الشقيقة** ، وأبو راس الناصر في **الدرة الأنيقة** [2].

أما ابن حمادوش فإن له ديوان بناه على الغزل والنسيب والمراثي ومدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومن خلال دراسة لأبي القاسم سعد الله فقد وجد لديه شعرا يضم أغراضا أخرى كالفخر والحنين إلى الوطن والأهل، كما يضم الوصف ومدح الأمراء وغير ذلك. ورغم أن كتابي **نفح الطيب** و**أزهار الرياض** قد ضما كمية من الأشعار للمقري، فقد كان له أيضا كناشا يحمل اسمه "يضم أدبا

[1] – ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، من تقييدات ابن المفتي حول باشوات الجزائر وعلمائها، تح: فارس كعوان، بيت الحكمة، العلمة، ط1، 2009، ص 6.

* - أحمد ابن سحنون : هو من أبرز شعراء الفترة العثمانية فقد كان رجل علم وأدب وله قصائد شعرية طويلة عالجت مختلف الأغراض الشعرية، وشرح عدة قصائد لغيره من الشعراء كشرحه لقصيدة المنداسي " العقيقة " وسمي هذا الشرح بـ " الأزهار الشقيقة المتضوعة بعرف العقيقة " .

[2] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 239 .

أندلسيا وغيره"، ولسعيد المنداسي مجموعة قصائد في أغراض مختلفة ما تزال مخطوطة، وينسب إلى سليمان ابن علي التلمساني ديوان مازلنا لا نعرف محتواه، ولكنه ما يزال مخطوطا في إيران. وقد ذكر ابن زاكور المغربي أن لمحمد بن عبد المؤمن الجزائري ديوان شعر ورسائل، وتضم دواوين ابن علي وابن عمار والمنجلاتي وابن سحنون أشعارا كثيرة في مختلف الأغراض أهمها المدح والوصف والغزل والمدائح النبوية، وفي كتاب "منشور الهداية" لعبد الكريم الفكون وكتاب "البستان " لابن مريم* أخبار عن شعراء تلمسان وقسنطينة عرفوا بجودة الشعر وكثرته لا نعرف عنه شيئا.[1] فالموروث الأدبي الجزائري في الفترة العثمانية كان معتبرا، قيما زاخرا لو عثر على ما فقد منه من أشعار ودواوين وكتابات وغير ذلك من الأعمال الجليلة المفقودة، فعلى الباحثين والدارسين تكاثف الجهود للعثور عليه لدراسته وتحليله وتحقيقه.

2 – بواعث الشعر الجزائري في الفترة العثمانية :

من بواعث الشعر التي كان لها تأثير على الشعراء في قول الشعر هي مختلفة باختلاف مجالاتها، وهذا راجع للتحولات السياسية التي عاشتها الجزائر أثناء الحكم العثماني، فقد تأثر الشعراء من كل هذه التحولات، فنجد الباعث الديني، والسياسي، والاجتماعي، إضافة إلى أوضاع الشاعر النفسية التي أفرغها من خلال أشعاره المختلفة .

ومن بواعث الشعر نجد **الباعث الديني**، فقد كان الشعراء يسجلون مشاعرهم في المواسم الدينية المعروفة كالحج والمولد النبوي الشريف بنظم الموشحات والقصائد، ولم يكن حكام الجزائر يعرفون الشعر ولا يشجعون عليه، فقد كان الشعر شعر مدح أو شعر بلاطات، أما من الناحية **السياسة** فالنزاع بين اسبانيا والجزائر كان باعثا لعدد من الشعراء على الدعوة والحث على الجهاد وتمجيد النصر،

* - ابن مريم : أبي عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني منشا ووفاة ، من أشهر مؤلفاته في تراجم العلماء والسادات " البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان ".

[1] – ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 240 .

وكما اختلفت أسباب قول الشعر فنجد **الطبيعة** وعزها وبهاء المدن وجمالها باعثا قويا على قول الشعر وظهر ذلك من خلال وصف الرياض وكل ما تعلق بها من أزهار وألوان إضافة إلى وصف الأماكن الطبيعية كالجبال والسهول والأنهار والحيوانات وغير ذلك، ثم إن كثرة الهجرة إلى البلدان المجاورة أو حتى إلى المشرق، كان باعثا على قول شعر الحنين إلى الوطن والأهل، وحتى المرأة، ثم نجد **بواعث اجتماعية** منها تبادل التهاني والتقاريظ بالشعر، والتماجن، فظهر شعر يعكس الحياة الاجتماعية في تلك الفترة فقد أدخلوا في شعرهم موضوع المرأة فمنهم من استعمل الرموز فيما استعمل البعض الآخر التصريح، هذا من خلال تأثرهم بالمجتمعات الأوربية الأخرى يضاف إلى ذلك عدد من الأغراض الشعرية كالألغاز والتخميس والتشبيب وغيرها وسنتعرف إلى هذه الأغراض بالتفصيل مع بعض الأمثلة.

من القضايا التي شغلت العديد من الكتاب والعلماء ظهور الشعر الملحون والابتعاد عن الشعر العربي الفصيح، ذلك أن الشعراء غلب عليهم لغة العجم فابتعدوا عن الشعر الفصيح أو الموزون، فقد اتخذ الناس الشعر الملحون أداة للمدح والهجاء والدين والغزل مما أدى إلى عدة شكاوي على هذا النوع من الشعر وما آل إليه من تخلف وندرة الجيد منه وهذا ما قاله ابن سحنون في حديثه: " اعلم يا أخي أن الألسنة غلبت عليها العجمة، وارتفع منها سر الحكمة ن فصار الناس إنما يتغنون بالملحون، وبه يهجون ويمدحون، ولهم في ذلك فنون رقيقة."[1] فقد بين من خلال قوله أن الألسنة غلبت عليها العجمة، وأصبح الوسيلة الأساسية التي يستعملها الشاعر في المدح أو الهجاء وأنك تجد في هذا النوع من الشعر كل الأغراض الشعرية التي عالجها الشعر الموزون، كما يبين ابن سحنون أن هذا الشعر لا يظهر مقصد الأديب وخارج عن أحاسيسه وعواطفه، هذا لأن الشعر يقال فقط لأغراض شخصية، فقلة البلاغة واختلال معانيه ومبانيه أدى إلى اختلال التوازن بينه وبين الشعر الفصيح؛ ويتضح لنا أن

[1] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 242 .

ابن سحنون يفضل الشعر الفصيح ولا يجد أية لذة في الملحون وابتعاده عن البلاغة والأدب ولا علاقة له بالخيال والفن .

في المقابل فقد اتخذ الكثير من الشعراء الشعر الملحون كوسيلة في الحث على الجهاد والدفاع عن الوطن وذلك لطغيان روح التصوف والتدين على فئة العلماء، بل على المجتمع ككل حتى ولو كان مكسور الوزن ضعيف النسج، فقد استشهد به عبد الرحمن الجامعي المغربي لكثرته وانتشاره الواسع، ثم قال أبو راس "بأنه لا بأس من إيراد الشعر الملحون لأنه قد أصبح لسان الكثير من الناس." [1] يتبارون به في مجالسهم وأماكن تجمعهم، فلا يخلو مجلس إلا به فتمكنوا منه وتألقوا به في حديثهم .

ومن خلال ما جاء على لسان علمائنا الأجلاء في حديثهم عن الشعر وفضله؛ نجد أبو راس الناصر في تعريفه للشعر بأنه: "ميزان الأدب... وزينة الألباب، ومورد الحكمة، وفصل الخطاب، وسبيل مسلوك، وله موقع عند الخلفاء والملوك." [2] وهو بهذا يمدح الشعر على العموم، فهو زينة الأدب ويدخل في باب الحكمة، ثم انه قال أن فضل الشعر يزيد عندما يكون في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم)، أما المنداسي الذي نظم أشعارا كثيرة في مختلف الأغراض الشعرية، في حين حكم الورثلاني على منع الأشعار التي تتخذ غرض التغزل بالنساء موضوعا لها والتي تظهر في بعض الأحيان تسمية المحبوبة من النساء "وقد اشتهر بشعر الموشحات والهزل والمجون محمد بن راس العين المتوفي حوالي سنة 1060هـ"[3]، وفي المقابل رغّب على شعر الوعظ والذكر ومدح الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ثم انه جوز كسر الأوزان الشعرية واعتبر أن الإصرار على استقامتها هو مذهب المتأخرين عندما علق على قصيدة لأحد الأولياء الصالحين أنها و" إن خصها بعض الأوزان الشعرية إنما هو مذهب المتقدمين، على انه إن

[1] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 243 .

[2] – المصدر نفسه، ج2، ص 243 .

[3] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي – عصر الدول والإمارات –، دار المعارف، القاهرة، ط1، د.ت، ج 10، ص119 .

استقامت حالة الإنسان، وكانت همته عالية متعلقة بالله تعالى لا يضره مخالفة القوانين الأدبية ولا غلبة العجمة ولا قلة العلم ." [1] فقد أجاز كسر الأوزان الشعرية لأنها مذهب من مذاهب المتقدين خاص إذا تعلق الكلام بالمثل السليمة إلى حث عليها ديننا الحنيف. ونجد الورثلاني يفضل التصوف والتدين في الشعر حتى وإن غاب الفن والجمال والبلاغة، فالفن عنده هو الصلاح والاستقامة الخلقية وليس الشعر واستقامة الوزن.

ومن بواعث الشعر أيضا **الرحلات** التي قام بها العلماء والطلبة الجزائريين لغرض طلب العلم، والإطلاع على البلدان المجاورة وغيرها والأخذ من علمائها، وممارسة أعمال أخرى كالتجارة لكسب المال إذا تطلب الأمر،" وقد انتشر هذا الجنس الأدبي وتطور في الجزائر إلا في بداية القرن الثامن عشر للميلاد" [2] وقد كان تأثير هذه الرحلات إيجابيا في خلق أعمال متجددة، هذا والتطلع على حضارات وثقافات الأمم الأخرى وخاصة العلماء والكتاب في التعرف على لغات ولهجات مختلفة، ثم لأن هذه الرحلات تعتبر " نصوص تاريخية ولأهميتها الكبيرة ولما تحتوي عليه من معلومات اجتماعية واقتصادية وجغرافية وسياسية ولغوية عن المناطق التي تحدثت عنها " [3] وبهذا فإن هذه النصوص هي نصوص مفتوحة على عدة خطابات، وهي ليست فنا مستقلا بذاته، لأنه يتقاطع مع عدة فنون منها الرواية والسيرة والجغرافيا والتاريخ وغيرها ...

ومن هذه الرحلات رحلات حجازية كتبها أصحابها بعد أدائهم لفريضة الحج، وهذه الرحلات منها ما هو نثري ومنها ما هو شعري ولم تكن كلها نثرية فهناك بعض الرحلات اكتفى أصحابها بنظم

---

[1] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 244 .

[2] – دلندة الأرقش وآخرون، المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، مركز النشر الجامعي ميديا كوم، تونس، د.ط، 2003، ص291 .

[3] – أبو القاسم سعد الله، مجموع رحلات، تح: أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة، 2011م، ص 82 .

رحلتهم في قصيدة شعرية، ثم إن الجزائريين الذين توجهوا إلى البقاع المقدسة وقلوبهم إليها تتشوق لزيارتها، شوق أنساهم عناء السفر وآلام الطريق، في حين كان هناك جزائريون يكتبون رحلات حجازية خيالية دون أن يرحلوا بأجسامهم، فكتبوا قصائد طوال يمدحون فيها الرسول صلى الله عليه وسلم ويصفون أجواءها وأحوالها .

وكان السبب الرئيس للجوء الجزائريين للرحلات إلى مناطق مختلفة من العالم العربي وحتى الأوربي هو تقلص الحياة العلمية في البلاد، وعدم الاهتمام بالعلماء والمثقفين، إضافة إلى حاجة بعض الطلبة إلى التزود بتعليم عالي غير متوفر في بلادهم، كما أن تدهور الأوضاع السياسية والاجتماعية كان سببا في هجرة بعض العلماء والمثقفين، فبعضهم عاد إلى الوطن بعد أن أطال الإقامة أو جاور بالحرمين الشريفين منهم المفتي احمد ابن عمار حمودة المقايسي ومحمد بن العنابي، والبعض الآخر استقر به المقام ولم يعود من هؤلاء أحمد المقري صاحب (نفح الطيب)، وعيسى الثعالبي ويحي الشاوي، وهذه الهجرة في قول أبو القاسم سعد الله التي سماها بهجرة العقول قد أثرت على الحياة الثقافية في الجزائر.[1] حيث ابتعدوا على بلدهم وعاشوا في بلدان أخرى تعرفوا فيها على تقاليد وأفكار مغايرة فاندمجوا بعلمائها وتغيرت أحوالهم، وقد أثّرت هذه العقول ثقافات أخرى غير ثقافتهم وموروثهم.

من الرحلات المنظومة القصيدة الطويلة التي نظمها شاعر الفصيح والملحون سعيد المنداسي والتي عرفت (بالعقيقة) وقد نظمها سنة 1088هـ (1677م)، وكان موضوعها مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ووصف البقاع المقدسة وآثار الحجاز ومنازله وذكرياته الدينية التي مرت عبر الأزمان، ومنها تعددت الشروحات والتعاليق المختلفة حتى ظهرت كرحالات مختلفة ومستقلة، وأضافت تلك الأعمال الأدبية رصيدا في الموروث الثقافي الجزائري. من هذه الشروح شرح محمد أبو راس الناصر الذي

[1] – ينظر: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 1، ص 178 .

سماه (الدرة الأنيقة)، وشرح آخر يسمى (الأزهار لشقيقة المتضوعة بعرف العقيقة) [*] ، وقد طبعت العقيقة وترجمت إلى الفرنسية [**] وتقع في 303 بيتا، تتضمن الكثير من البديع والتفنن في البلاغة وخاصيتها الأساسية أنها مكتوبة بالشعر الملحون .[1]

ومن الرحلات الشعرية كذلك نذكر "قصيدة عبد الله بن عمر البسكري، وقصيدة محمد بن محمد بن منصور العامري التلمساني (ت 1748)، وقصيدة عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي (ت 1652م)" [2]، كذلك نجد رحلة محمد بن مسايب الشعرية أيضا خلال القرن الثاني عشر للهجرة، سجل فيها مراحل تنقلاته من مدينة تلمسان إلى مكة المكرمة فوصف عواطفه نحو الرسول الكريم كما وصف الأماكن التي مر بها، وهذه الرحلة أيضا كتبت بالشعر الملحون فقد اشتهر ابن مسايب بهذا النوع من الشعر متناولا مختلف الموضوعات، وقد قام أبي شنب بترجمته إلى الفرنسية، وهناك شاعرين آخرين اشتهرا بنظم الرحلات الشعرية بالملحون وهما ابن التريكي والزناقي، كما جاء في رحلة ابن عمار "أن المفتي ابن علي والعالم أحمد المنجلاتي يعتبران طراز وحدهما في المدائح النبوية ولا يستوي معهما في ذلك سوى البوصيري" [3]، ويضاف إلى هذه المجموعة من الرحلات رحلات حجازية منها رحلة ابن عمار الجزائري المساة **نحلة اللبيب باخبار الرحلة إلى الحبيب** والتي أورد فيها الكثير من القصائد الموشحات المختلفة الأغراض في رحلته سواء لنفسه أو لغيره، من جزائريين كابن علي واحمد المنجلاتي وغير جزائريين ممن أعجب بشعرهم كلسان الدين بن الخطيب والفتح بن خاقان وغيرهم، كما نذكر رحلة تلميذه أبو راس الناصر التي سماها **فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته** والتي دوّن

---

[*] - شرح الأزهار الشقيقة المتضوعة بعرف العقيقة : هو شرح أدبي بلاغي كبير توجد نسخة منه في دار الكتب المصرية.

[**] - قام بترجمتها ونشر نصها العربي والفرنسي الجنرال فور بيقي .

[1] – ينظر : أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 177 .

[2] – دلندة الأرقش وآخرون، المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، ص 291 .

[3] – أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، ص 178 .

فيها العديد من الأخبار المتعلقة بمشايخه وبالحياة العلمية والدينية في المشرق العربي ومغربه، وفي رحلة حجازية أخرى هي للحسين بن محمد الورثلاني المساة **بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار** فقد تميزت عن غيرها من الرحلات لما حوته من أخبار ومعلومات تاريخية وملاحظات مختلفة عن الأماكن التي مر بها كما أورد أخبار عن التصوف بالمشرق والمغرب العربي كما دوّن آرائه وأقواله وحواراته مع العلماء الذين التقى معهم أثناء رحلته.[1] وبهذا فإن هذه الرحلات المختلفة كانت سببا في إنتاج الكثير من القصائد الشعرية المختلفة الألوان والأغراض كالوصف والمدح أثرت تأثيرا إيجابيا على الإنتاج الشعري، هذا الأخير الذي أنتجت شروحات له ودراسات قيمة بلاغية وأدبية، حيث أبدع علمائها وأدبائها في الشرح والتنقيب والتفسير وخلقت نصوصا جديدة ، إضافة إلى الترجمات سواء من العربية إلى لغات أخرى أو العكس، ثم إن الرحلات المختلفة عكست لنا الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعلمية الخاصة بتلك الأماكن أو البلدان وكثر الحديث خاصة على الرحلات الحجازية وتنوعت لغة الوصف بين الشعر والنثر في الحديث عن ملاحظاتهم ومشاهداتهم بلغة واقعية، وبالتقائهم بعلماء تلك البلدان، مستفيدين من تجاربهم وعلمهم، وقد يذكر في الرحلة كل ما يتعلق بهذا العالم الرحال فيتحدث عن نفسة وعن تآليفه وشيوخه الذين التقى بهم سواء في الجزائر أو غيرها من البلدان التي رحل إليها أو التقى بهم في طريق رحلته، ثم إنهم في بعض الأحيان يستحضرون ذكرياتهم التاريخية، فرحلة ابن عمار مثلا الذي قال عنها أبو القاسم سعد الله هي بمثابة خزانة أدب يجمع فيها النوادر والأشعار والأخبار المتفرقة سواء عن مولد الرسول والأشواق إلى البقاع المقدسة والطاهرة، وبهذا فإن هذه الرحلات كانت باعثا قويا لتآليف كثيرة جمعت بين النثر والشعر الموزون والملحون أضيفت إلى الرصيد والموروث الثقافي الجزائري .

[1] – دلندة الأرقش وآخرون، المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، ص 292 .

ثانيا– موضوعات الشعر الجزائري في العهد العثماني :

أ – الشعر الديني:

كان من أشهر وأهم الأغراض الشعرية التي اتخذها الشعراء، مدح الرسول عليه الصلاة والسلام، وإحياء مولده من كل سنة والتباري على قول الشعر فيه إذ قال أبو عبد الله التنسي في كتابه نظم الدر والعقبان في بيان شرف بني زيان: " عن أبي حمو موسى كان يقيم ليلة مولد المصطفى عليه الصلاة والسلام ويدعو لها في احتفال كبير يحشد فيه الناس خاصة وعامة، وما شئت من نمارق مصفوفة ومجالس مبثوثة وبسط موشَّاة، ووسائد بالذهب مغشاة،.. وبعقب ذلك يبدأ المنشدون بأمداح المصطفى صلى الله عليه وسلم "[1] وقد شمل أيضا الشعر الصوفي الذي يتجه في أغلبه إلى أغراض دينية في التوجه إلى الله في أوقات الشدة والتي يحتاج فيها المرء للتقرب إلى الله ومدح رسوله الكريم وذكر الأماكن المقدسة كبيت الله الحرام والمدينة المنورة وذكر الصحابة، فالمدائح النبوية التي تتجه إلى الشعر الديني من أقدم الأغراض الشعرية التي كانت سائدة، كما تحتفظ الوثائق بقصيدة نادرة في مدح المدينة المنورة (طيبة) قالها الشاعر الصوفي أبو محمد عبد الله بن عمر البسكري، فقد أبدع الكتاب من تداولها والنسج على منوالها لجودتها وصدقها، فذكرها ابن عمار في الرحلة وابن سحنون في (الأزهار الشقيقة)، منها هذه الأبيات :

دارُ الحَبِيبُ أَحَقُّ أَنْ تَهْـوَاهَا وَ تَحِنُّ مِنْ طَرَبٍ إِلَى ذِكْرَاهَا

وَعَلَى الجُفُونِ مَتَى هَمَمْتَ بِزَوْرَةٍ يَا اِبْنَ الكِرَامِ عَلَيْكَ أَنْ تَغْشَاهَا

[1] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي – عصر الدول والإمارات –، ج 10، ص211.

فَلَأَنْتَ أَنْتَ إِذَا حَلَلْتَ بِطَيْبَـةٍ* وَظَلَلْتَ تَرْتَعُ فِي ظِلَالِ رُبَاهَا

مَعْنَى الجَمَالِ مُنىَ الخَوَاطِرُ وَالَّتِي سَلَبَتْ عُقُولَ العَاشِقِينَ حُلَاهَا [1]

ويقول العلامة أبا الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي عن رحلته الحجازية :

هَنِيئًا لِمَنْ حَجَّ بَيْتَ الهُدَىْ وَحَطَّ عَنِ النَّفْسِ أَوْزَارَهَا

وَأَنَّ السَّعَـادَةَ مَضْمُونَةٌ لِمَنْ حَجَّ طَيْبَةً أَوْ زَارَهَا [2]

فالشوق إلى زيارة البقاع المقدسة والحنين إليها، والتمتع بمدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) هي من الأغراض القديمة التي كانت سائدة ومنتشرة في ذلك العهد، فنذكر أبو عبد الله بن محمد بن أبي جمعة التلاليسي، وهو إضافة إلى براعته في الطب ومهارته في العلاج كان أديبا يتقن نظم الشعر الجيد ويحسن قرضه، وينظم الشعر في كل المناسبات والأحداث التي تصادفه من قصائد رشيقة وموشحات رائعة، منها موشح قاله يوم الاحتفال بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم سنة سبع وستين وسبعمائة (1365م):

لِي مَدْمَعٌ هَتَّانٌ يَنْهَلُ مِثْلَ الدُّرَرِ

قَدْ صَبَّرَ الأَجْفَانَ مَا أَنْ لَهَا مِنْ أَثَرِ

* * *

حَقٌّ لَهُ يَجْرِي دَمًا عَلَى طُولِ الدَوَامِ

---

* - طيبة : المدينة المنورة .

[1] – ابن عمار الجزائري، الرحلة، ص 09 .

[2] – المصدر نفسه، ص 08 .

مُنْجِدٌ فِي اليُسْرِ نَاسٍ إِلَى خَيْرِ الأَنَامِ

وَعَاقَنِي وِزْرِيْ يَا صَاحِ عَنْ ذَاكَ المَقَامِ [1]

ونذكر كذلك سعيد المنداسي التلمساني وكان يجمع بين الشعر الشعبي والفصيح وقد نشر له الأستاذ رابح بونار في ديوانه أربع قصائد نبوية وقوله في المديح النبوي :

هَلْ رَأَيْتُمْ أَوْ سَمِعْتُمْ حُسْنًا فِي الوَرَىْ مِنْ حُسْنِهِ الحُسْنُ اِكْتَمَلْ

أَحْمَدُ المَبْعُوثُ فِينَا رَحْمَةً خَيْرُ مَنْ قَامَ بِحَقٍ وَ كَفَلْ

آيَةُ اللهِ أَمِينٌ صَادِقٌ وَحَبِيبُ اللهِ بَرٌّ مُنْتَضِـــلْ

قَدْ تَحَلَّى – إِذَا تَجَلَّى– بَدْرُهُ بَالَبَهَا مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلْ [2]

ومن الشعراء الذين اشتهروا في النظم في هذا الغرض نجد عبد الكريم الفكون، فقد نظم ديوانا شعريا خصه في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) وفي حياته عموما، وكان الفكون يقود ركب الحج الجزائري لمدة طويلة، أما ابن حمادوش وابن عمار قد تحدث عن عادة أهل مدينة الجزائر في المولد النبوي وليلة القدر وعند ختم صحيح البخاري، فقد ذكرا أن الجزائر كانت تحتفل بهذه المناسبة احتفالا كبيرا، يتلى فيها صحيح البخاري طوال الليل وتضاء الشموع الضخمة ويطوف القراء وغيرهم الشوارع وهم حاملون المصابيح، كما تعدّ النساء الأطعمة التقليدية المناسبة لتلك الليلة، وترافق هذه الأجواء الموسيقى مع إنشاد الشعر الديني والموشحات، وهذه هي المظاهر الاجتماعية والدينية التي وصفها ابن

[1] – عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط2، (1385هـ - 1965 م)، ج2، ص256 .

[2] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي – عصر الدول والإمارات –، ج 10، ص 215 .

حمادوش في هذه الليلة المباركة، فقد ركز ابن عمار على ما كان يفعله الشعراء عند دخول شهر ربيع الأول فقد كانوا ينظمون القصائد والموشحات النبوية، ثم يطبعونها بالألحان، ويفضلون لها أصوات مطربة تنظم لها محافل كبيرة ومجامع يحضرها الفضلاء والعلماء والرؤساء، إضافة إلى ذلك كانوا يلبسون أفضل الملابس ويتطيبون تقديرا للمولد النبوي الشريف .[1]

وكان ابن عمار من بين ثلاثة شعراء مشهورين بنظم الموشحات والقصائد المديحية في هذه المناسبة، ففي سنة 1166 هـ أنشأ هو موشحا عند حلول شهر ربيع الأول وتاقت نفسه للحج، فقال في بدايته :

يَانَسِيمًا بَاتَ مِنْ زَهْرِ الرُّبَا يَقْتَفِي الرُّكْبَانْ

اِحْمِلنْ مِنِي سَلَامًا طَيِبًا لِأُهَيْلَ البَانْ

إِنَّ لِي قَلْبًا إِلَيْهَا شَيِّقًا شَفَّهُ وَجْدُ

وَ فُؤَادِي يَجْتَبِيهَا حَرَقًا وَضَنَى يَعْدُو

وَدُمُوعُ العَيْنَ تَهْمَى سُحُبًا قَطْرَهَا هَتَّانْ

وَالكَرَى عَنْ مُقْلَتِي قَدْ غَضِبَا وَجَفَا الأَجْفَانْ [2]

وأضاف ابن عمار بقوله: "ولي من هذا النمط وغيره من التوشيح والقريض قصائد شتى في مدحه صلى الله عليه وسلم ضمنتها بطن ديوان." [3]، فله ديوان في المدائح النبوية بعضه موشحات وبعضه قصائد قريض، كما يقول، وهو يعني بالقريض الشعر الموزون والمقفى.

[1] –ينظر : أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 247 .

[2] – ابن عمار، الرحلة، ص 16 .

[3] – المصدر نفسه ، ص 27 .

ورغم أن ابن عمار قد لاحظ أن الشعر القريض الذي يتناول المدائح النبوية قليل في عصره، فإنه قد ذكر أن أحمد المنجلاتي قد برع فيه وفي الموشحات أيضا. فقد اعتبره ابن عمار من الثلاثة الأوائل وهم البوصيري وابن الفارض

في نظم القصائد النبوية . فقد أشاد به واعتبره" مجلى هذه الحلبة، ومقدم الجماعة ونائل الجعبة، وإمام الصناعة وركاب صعابها ومذللها، ومسيل شعابها ومسهلها، عاشق الجناب المحمدي ومادحه بلا معارض، ومثلث طريقتي البصيري وابن الفارض" [1]، ثم أثبت له في الرحلة بعض مولدياته التي قال عنها إنها تطرب وتروق، وتبهر الشمس عند الشروق ومثل بذلك موشح المنجلاتي الذي عنونه بـ (نلت المرام) :

بِاللهِ حَادِي القِطَارْ قِفْ لِي بِتِلْكَ الدِيَارْ وَاقْرَ السَّلَامْ

سَلَّمْ عَلَى عُرْبِ نَجْدِ وَاذْكُرْ صَبَابَةَ وَجْدِي كَيْفَ يُلاَمْ

مَنْ بَادَرَتْهُ الدُّمُوعْ شَوْقًا لِتِلْكَ الرُّبُوعْ مَعَ المَقَامْ [2]

ثم ذكر ابن عمار قصيدة أخرى للمنجلاتي في المديح وذكر مولد الرسول الكريم فقال :

الرَّكْبُ نَحْوَ الحَبِيبِ قَدْ سَارَا يَوَدُّ شَوْقًا إِلَيْهِ لَوْ طَارَا

قَلْبِي لِلْمَعْنَى الكَئِيبِ قَدْ حَنَا إِلَى التَلَاقِي وَطَالَ مَا أَنَا

إِذَا سَمِعْتَ الحَمَامُ قَدْ غَنَّا أَوْ هَبَّ ذَاكَ النَّسِيمُ أَبْكَارًا [3]

[1] – ابن عمار، الرحلة، ص27 .

[2] – المصدر نفسه ، ص 28 .

[3] – نفسه، ص31 .

حيث قال عن المانجلاتي أنه من عشاق الشمائل المحمدية وإن له (ديوانا) في المدائح النبوية "تزوي بالأزهار الندية "، ثم جاء على ذكر ابن علي الذي كان من الشعراء البارزين وأن له أيضا قصائد في المديح النبوي وموشحات فقال عنه : " علم الأعلام اللاعب لسانه بأطواق الكلام، سحبان البلاغة وقس البراعة ومالك أزمة المعاني، وفارس الأدب المفرد . " [1] ومن ما قال ابن علي :

يَدْعُو الوَرَى لِلْهُدَى كَنْزُ العُلَى أَحْمَدَا خَيْرُ الأَنَامْ

المُصْطَفَى قَبْلَ آدَمِ مِنْ مَجْدِهِ قَدْ تَقَادَمَ طَهَ الإِمَامْ

لَهُ المَقَامُ الرَّفِيعُ وَهُوَ شَفِيعُ الجَمِيعَ يَوْمَ القِيَامْ [2]

وله موشح نبوي آخر على غرار موشح المنجلاتي وفيه يقول :

بِاللهِ طَاوِي القِفَارْ عَرِّجْ بِذَاكَ المَزَارْ حَيْثُ الكِرَامْ

عَرِّجْ بِرَبْعِ المَعَالْ وَابْرِدْ بِذَاكَ الوِصَالْ حَرَّ الغَرَامْ

حَسْبَ المَشُوقَ الكَئِيبْ أَنْ شَمْلَهُ بِالْحَبِيبْ لَهُ اِلْتِئَامْ

نَأَتْ عَلَيْنَا الدِّيَارْ وَفِي الفُؤَادِ جِمَارْ لَهَا اِنْضِرَامْ [3]

وقد علق شوقي ضيف عن الأبيات بقوله: " فابن علي يقول بالله يا قاطع القفار عرج نحو مزار الأحبة الكرام، عرج نحو منزل المعالي وبرد بهذا الوصال النار المضطربة في الفؤاد وحسبي أن اجتمع شملي

[1] – ابن عمار، الرحلة، ص 35 .

[2] – المصدر نفسه، ص36 .

[3] – نفسه، ص 35 .

بالحبيب. ولقد بعدت عنا الديار ، وفي الفؤاد قطع من الوجد الملتهب تضطرم نارا حامية ." [1] والشاعر هنا يتشوق إلى البقاع المقدسة، وتزداد نار شوقه كلما رحل إليها من أصحابه أو جيرانه وفؤاده يكاد يلتهب من نار الشوق حتى يجتمع مع حبيبه المصطفى وبهذه الأراضي المقدسة.

ومن شعراء المديح النبوي أيضا الأكحل بن خلوف وأبو عبد الله محمد المغوفل، فكلاهما قد اشتهر في هذا المجال، وقد برع الأكحل بن خلوف وذاع صيته حتى أصبحت قصائده تغنى وتروى على مختلف العصور. وكلاهما كانا من رجال التصوف وقد ذكر ابو القاسم سعد الله أن أبو راس أشاد بالأول فقال إنه قد اشتهر بمدح النبي صلى الله عليه وسلم شهرة ابن عروس بتونس. أما المغوفل فقد قال إنه : " أحد أعجوبات الدهر في عمله وورعه وكراماته، يشهد لعلمه قصيدة مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيها سبعون بيتا وليس فيها حرف يستحق النطق، بل كلها عواطل من النقط، وكفى به حجة " [2].

ومن الذين برعوا كذلك في هذا الباب نذكر أن أحد شعراء مدينة مستغانم قد نظم قصيدة هائية في المديح النبوي تعرف أحيانا (بهائية المستغانمي) والقصيدة طويلة تبدأ بالغزل وتنتهي بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم وفي الأبيات الغزلية حدها عشرون بيتا، وهي مقسمة إلى عناوين مثل باب التغزل وحسن التنزل، وباب رجوع وانصراف وإقرار واعتراف، وباب التعداد وحسن الإمداد، الخ . فمن وصف الرسول وأخلاقه وأيامه وصحابته والاستعانة به، وقد انتهى الشاعر فيها بنظم الأيام السبعة والشهور الهجرية، وله هذين البيتين في ذكر مدينته:

[1] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي – عصر الدول والإمارات –، ج 10، ص215 .
[2] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2 ، ص 249 .

لَطِيفَةُ النَّسْجِ مِنْ لُطْفِ الإِلَهِ بَدَتْ بِمُسْتَغَانَمِ مُذْ حَلَتْ بِعَقْوَاهَا

فَاللهُ يَرْزُقُهَا أَمْنًا وَيَحْفَظُهَا حِفْظًا وَيَكْلَؤُهَا دَأَبْ وَيَرْعَهَا [1]

من جهة أخرى ذكر ابن مريم عددا من الشعراء الذين اشتهروا بالمدح النبوي، ومنهم عبد الرحمان بن موسى المتوفى سنة 1011. والواقع أن معظم الشعراء والأدباء المعروفين قد نظموا في المدائح النبوية، والفرق بين شاعر وآخر هو في الجودة وصدق العبارة .

وفي موضوع آخر هو التوسل إلى الله برسوله (صلى الله عليه وسلم) وهو يدخل في هذا الباب، وقد انتشر خاصة عند المتصوفة على العموم، كما شاع أيضا عند الفقهاء، وحتى عند الشعراء، ويوجد للفكون جانب من هذه القصائد منها (سلاح الذيل في دفع الباغي المستطيل) و (شافية الأمراض لمن التجأ إلى الله بلا اعتراض)، وللمفتي محمد بن الشاهد قصيدة في هذا المعنى :

بِأَسْمَائِكَ الحُسْنَى فَتَحْتُ تَوَسُلِيْ وَمِنْكَ رَجَوْتُ العَفْوَ أَسْمَى مَطَالِبِي

إِلَهِي غَرَفْنَا مِنْ بِحَارِ عُيُوبِنَا ذُنُوبُنَا بِأَوْزَارِ عَلَتْ كُلَّ جَانِبْ [2]

كما جاء في كتاب محمد بن سليمان (كعبة الطائفين) شعرا لنفسه في نفس المعنى، ويعتقد سعد الله أن الوثائق مازالت تحتفظ بالكثير من هذا الشعر الذي يخص فيه العبد مخاطبة ربه بطريقة مباشرة أو من خلال الرسل والأنبياء في حالة الشدة والكرب .

[1] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 249 .

[2] – أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1983، ص 111 . وفي تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 250 .

وفي الأخير يمكن أن نوجز معاني قصيدة المديح النبوي، فهي تبدأ بمدح الرسول عليه الصلاة والسلام بذكر محاسنه الحسية، فمنهم من يبالغ فيها مبالغة يميزها الذوق السليم، وشمائله الخلقية، ومعجزاته، ثم التشوق إلى زيارة قبر الرسول، والتوسل إليه أن يكون شفيع لقائل القصيدة يوم القيامة، وأن يعين على تجاوز كربه في الدنيا، ثم يختمها بالصلاة على النبي والترحم عليه .[1]

ومن المواضيع التي عرفت انتشارا كبيرا في الشعر الديني، الشعر الصوفي من ذلك قصيدة (حزب العارفين) الملحونة التي نظمها موسى بن علي اللاتي، والتي شرحها محمد بن سليمان في كتابه (كعبة الطائفين)، فهذه القصيدة تتمحور حول أهل الصلاح من الأولياء والصالحين، وعن أهل الطلاح من الأشرار والفاسدين، كما اشتهر بشعر التصوف محمد ساسي البوني، فذكره عبد الكريم الفكون في كتابه (منشور الهداية) أنه ينشد كثيرا من الأشعار والأزجال في الحضرة الصوفية والمواكب الدينية. كما نجد قصيدة محمد بن محمد الموفق المشهور بابن حوا المسماة (الريحانة المروحة على القلوب المقترحة) في هذا المنوال فقد كان من أهل الخير الصلاح، وكان مهتما بحياة الأولياء والصلحاء كما فعل ابن مريم والمغوفل والمازوني؛ إضافة إلى هؤلاء نجد في رواية ابن مريم أن محمد بن عبد الجبار المسعودي الفجيجي الذي بلغ درجة كبيرة في التصوف وكان شاعرا ماهرا في الشعر وكانت له منظومات في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وكان صديقا حميما لأحمد بن يوسف المليانى المتصوف .[2]

وبهذا فإن الشعر الديني بتنوع أغراضة وتوجهاته كان كثيرا في هذا العهد، فقد برع فيه الشعراء وتألقوا فيه وهذا لارتباطه الوثيق بالدين الإسلامي وربطوه حتى بالعادات والتقاليد العامة، وهو بهذا مرآة لثقافة أمته.

[1]- الطاهر أحمد مكي، مقدمة في الأدب الإسلامي المقارن، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط1، 1994، ص 335 .

[2]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 252 .

ب – الشعر السياسي:

لقد ارتبط الشعر بالسياسة في الجزائر خلال العهد العثماني فقط في مناسبات محدودة، ونخص بالذكر في الدفاع عن الوطن ضد الأجانب خاصة الإسبان، ثم كانت بعض المحاولات الشعرية تختص بمدح بعض الأمراء لأهداف خاصة بهم، وبعض المواقف من الأتراك مدحا أحيانا وذما في أحيان أخرى. ومن خلال معرفتنا أن الأمراء لا يتذوقون الشعر، وهذا ما أدى لعدم تشجيعهم لقوله، ولاضطراب الحكم في تلك الفترة، ذلك أن بقائهم في الحكم فقط لظروف طارئة فهم لا يبقون فيه إلا فترات قصيرة وتكون في غالب الأحيان مليئة بالصراعات والمشاكل السياسية، والشعر السياسي يكون عادة في ظروف هادئة يطيل فيها الحاكم مدة حكمه ليتعرف الناس عليه وعلى أطباعه وميولاته ومواقفه لينتجوا بذلك شعرا يمدحوه فيه أو يذموه، وفي نقطة أخرى يجب على الأمراء والحكام تذوق الشعر ومعرفته ليشجعوه، ولكنهم لم يعرفوه ولم يهتموا به وبالثقافة فاهتمامهم كان منصبا فقط على الحياة السياسية والصراعات الداخلية والخارجية .

ومع هذه المشاكل السياسية خاصة ضد الحكم الاسباني، هذا وكان من "أساليب الحكم العثماني الاعتماد على المرابطين والعلماء وقت الشدة باعتبارهم كانوا يمثلون الرأي العام ويؤثرون بالنصح والإرشاد والموعظة وقد عرف عن يوسف باشا أنه كان من الحكام الذين يقربون العلماء ويعفون المرابطين والأشراف عن دفع الضرائب. " [1]المفروضة على عامة الناس، فقد قيل الكثير في شعر التحريض على الجهاد، فمن الذين مدحوا حسن بن خير الدين باشا على فتح حصن مرسى وهران وهروب الإسبان إلى الجزء الأسفل منه، الشاعر عبد الرحمان بن موسى* في قصيدته التي مطلعها :

[1] – أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 47 .

* - عبد الرحمن بن محمد بن بن موسى: علّامة في الفقه والوثائق وعلم الحديث والنحو وشاعر ماهر وغيرها من العلوم كاللغة والحساب والقرائض توفي 1011هـ، وله عدة منظومات .

هَنِيئًا لَكَ بَاشَا الجَزَائِرِ وَ الغَرْبِ بِفَتْحِ أَسَاسَ الكُفْرَ وَ مَرْسَى قَرَى الكَلْبِ

سَتَفْتَحُ وَهْرَانَا وَ مَرْسَاهَا التِّي أَضْوَتْ بِذَا الإِقْلِيمِ طَرَا بِلاَ رَيْبِ

فَثِقْ بِالإِلَهِ وَاسْتَعِنْ بِهِ وَاصْبِرَنْ يَنَلْكَ المُرَادُ يَا أَمِيرِي وَمَطْلَبِي[1]

ويقصد بالكلب شارل الخامس ملك إسبانيا الذي ساق إلى الجزائر حملة كبيرة، فسحقها الباشا حسن، في الفتح الأول وهنا كان دور الشعراء في الحث على الجهاد .

وعبد الرحمن بن موسى من الشعراء المؤيدين للعثمانيين لجهادهم ضد الإسبان، وله الكثير من الأشعار من نفس المناسبة، فقد وصف حسن باشا بأنه باشا الجزائر وإقليم وهران، ولبقاء الأسبان وعدم خروجهم نهائيا ظل وجودهم يثير مشاعر الشعراء، والشعر الذي قيل في هذا الصدد كثير فقد ذكره الجامعي وابن ميمون وابن سحنون وغيرهم في فتح وهران، إذ يقول سعد الله لو جمعناه لجاء في ديوان كبير .[2]

ولعدم خروج الإسبان من وهران نهائيا، كان دافعا لاهتمام الشعراء بالأحداث التي كانت تجتازها البلاد، فألفوا تآليف كثيرة ذات قيمة أدبية وتاريخية في الموروث الثقافي الجزائري خصوصا بعد انتصارهم على الإسبان، فاستحدثوا بذلك أوصافا كثيرة عن سوء أحوال المسلمين تحت حكم الإسبان، فاستثارت العواطف الدينية والنفسية، ومن هؤلاء الشعراء الشاعر محمد بن محمد بن علي المعروف بابن آقوجيل، وله في ذلك قصيدة مؤثرة بدأها بتهنيئ الباشا بتوليه الحكم في الجزائر ثم التفت إلى الغرض الجهادي ضد العدو ومن ذلك قوله :

[1] – ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تح: محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية : الجزائر، د.ط، 1326هـ – 1908 م، ص 132 .

[2] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 256 .

جَهِزْ جُيُوشًا كَالْأُسُودِ وَ سَرِحْنَ تِلْكَ الجَوَارِي فِي عُبَابِ بِحُورْ

أَضْرِمْ عَلَى الكُفَّارِ نَارَ الحَرْبِ لَا تُقْلِعْ وَلَا تُمْهِلْهُمْ بِفُتُورْ

وَبِقُرْبِنَا وَهْرَانَ ضَرْسُ مُؤْلِمٍ سَهِّلْ اِقْتِلاَعَ فِي اِعْتِنَاءٍ يَسِيرْ

كَمْ قَدْ أَذَتْ مِنْ مُسْلِمِينَ وَكَمْ سَبَّتْ مِنْهُمْ بِقَهْرِ أَسِيرَةٍ وَ أَسِيرْ [1]

ونشير أن مدة حكم حسين باشا لم تدم طويلا، وتولى مكانه محمد بكداش باشا سنة 1118هـ، فهذا لم يمنع الشعراء في قول الشعر الكثير فيه، هذا لأن أسلوبه في الحكم كان يعتمد على المرابطين والعلماء وقت الشدة باعتبارهم أنهم كانوا يمثلون الرأي العام ويؤثرون بالنصح والإرشاد والموعظة والنفوذ الروحي على العامة. وقد عرف عن محمد بكداش الذي تولى الحكم في الجزائر سنة 1118هـ بما امتازت به سيرته في عهده فقد استرجعت فيه مدينة وهران، وكان من مثقفي باشوات الجزائر، فقد اهتم أبوه قبله بالتصوف، فكان ينتمي إلى طريقة قاسم بن محمد ساسي البوني، ونذكر رسالة له إلى محمد بن قاسم البوني التي يقول فيها : " ..مولانا المحب الأمثل، الأعز الأكمل، نهج الأفاضل وروضة الأماثل، كنز العلوم السنية، وجوهرة الألفاظ الذهبية، جمال الإسلام وعمدة الأنام، شمس سماء الكمال ..." [2] ، ثم أتبع مقدمته بهذه الأبيات :

أَحِبَتَنَا نِلْتُمْ مِنَ الفَضْلِ رُتْبَةً وَكَمْ كَلَّتْ الأَحْبَارُ، وَاللهُ، دُونَهَا

فَمَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ كَرِيمٍ تَفَضُلاً وَكَمْ طَمَعَ الأَلْبَابَ أَنْ يُدْرِكُونَهَا (كذا)

[1] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2 ، ص 256 . القصيدة موجودة في (التحفة المرضية) لابن ميمون ، 112-117 ، مخطوط باريس. كان ابن آل قوجيل حيا سنة 1142 ، فقد تولى أيضا القضاء في عهد بكداش باشا .

[2] – أبو القاسم سعد الله ، أربع رسائل بين باشوات الجزائر وعلماء عنابة، مجلة الثقافة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، جوان 1979 م، ع51، ص 26 .

فَجُودُوا إِذَا مَا اللَّيْلُ أَرْخَى سُدُولَهُ بِهِمَّتِكُمْ نَصْحًا لَنَا تَبْذُلُونَهَا

لَعَلَّ إِلَهَ العَرْشِ جَلَّ جَلاَلَهُ سَيُدْخِلُنَا فِي رُتْبَةٍ تَحْمَدُونَهَا [1]

ومحمد بن إبراهيم ساسي البوني كان مرابطا وعالما بارزا في عنابة خلال النصف الأول من القرن الحادي عشر (17م) . وقد تحدث عنه معاصره عبد الكريم الفكون القسنطيني في كتابه (منشور الهداية)، ومن الشعراء الذين تقربوا اليه كذلك ومدحوه احمد بن قاسم البوني، ويحي بن احمد بن أبي راشد، وابن علي، ومحمد بن احمد الحلفاوي، مفتي تلمسان [2]

وقد كثر الشعراء الذين تغنوا بالباشا وتغنيهم أيضا بالجزائر، فهذا الجهاد هو الذي حرك مشاعرهم الوطنية فنجد الشاعر ابن أبي راشد يشير إلى الجزائر وهو يتحدث عن الباشا في هذا البيت :

تَاهَتْ بِهِ أَرْضُ الجَزَائِرِ وَ اِغْتَدَتْ زَهَوْا بِهِ عَنْ غَيْرِهَا تَخْتَالُ [3]

كما نجد محمد المستغانمي الذي نظم قصيدة في بكداش والتي عنونها (الكوكب الناثر في مدح أمير الجزائر)، أما عن مدينة الجزائر البكداشية التي تغنى بها الجامعي عندما قال :

فَدَعْنِي مِنْ غَرْنَاطَةِ وَ رُبُوعِهَا وَ شَنِيلَ فَالْحُسْنُ اِنْتَهَى لِلْجَزَائِرِ

فَمَا تُفَضِّلُ الحَمْرَاءُ بَيْضَاءَ غَادَةً مُقْرِطَةٌ بِالْبَدْرِ ذَاتُ غَدَائِرِ [4]

[1] – أبو القاسم سعد الله ، أربع رسائل بين باشوات الجزائر وعلماء عنابة، ص 27 . ويذكر سعد الله أنه لا يعتقد أن هذه الأبيات من إنشاء محمد بكداش رغم ما قيل عنه انه كان ينظم الشعر.

[2] – ينظر : أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 257.

[3] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 258 .

[4] – المصدر نفسه، ج2، ص 258 .

وبعد نهاية حكم بكداش الذي لم يبق في الحكم إلا حوالي أربع سنوات، ثم تأتي حادثة أخرى وكما قال سعد الله حادث أطلق أقلام الشعراء هو فتح وهران الثاني على يد الباي محمد الكبير سنة 1205 هـ، وقد جمع هذا الباي عدد كبير من الأدباء والكتاب يسجلون أحداثه اليومية وينوهون بأعماله فينسخون الكتب ويسجلون له، فأوفر لهم كل ما يحتاجون إليه وبهذا نشطت الحركة الأدبية في عهده، وخاصة الشعر، فقد سجل لنا أحمد بن سحنون في (الثغر الجمالي) نماذج من الشعر الذي قيل فيه، حيث كان ابن سحنون من أوائل الشعراء البارزين الذين التفوا حوله، فله فيها قصيدة عندما تولى الحكم وأخرى في جهاده وسيرته قبل الفتح، كما تطرق إلى غرض مدحه بالكرم، وبدأها بالغزل فقال :

حَنَانِيكَ مَاذَا الصَدُّ مَاذَا التَجَانُبُ وَ قَلْبِي مِنْ شَوْقِي وَجْهُكَ ذَائِبُ

وَ إِنْ كَانَ ذَنْبِي فِي هَوَاكِ مَحَبَّتِي فَمَا أَنَا مِنْ ذَنْبِي مَدَى الدَّهْرِ تَائِبُ[1]

وابن سحنون عرف بولعه بالغزل في مطالع قصائده، ونجده كذلك مدح عثمان بن محمد الكبير بقصيدة بدأت بقوله :

أَلَمُ المَحَبَّةُ لِلْحَشَاشَةِ مُوجِعُ وَ الصَّبْرُ لِصبر المُرَوِّعِ مَرْجِعُ

لَوْلاَ التَصَبُّرُ وَ التَبَصُّرُ فِي الهَوَى لَرَأَيْتَ سَلْوَى فِي الأَسَى يَتَرَوَّعُ [2]

ومن شعراء الباي أيضا أبو راس و أحمد القرومي ومحمد بن الطيب المازري وغيرهم، واشتهر أبو راس بشعره بعد ابن سحنون، وذكر سعد الله أن شعره كان تاريخيا وفقهيا على العموم .

[1] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 259.

[2] – المصدر نفسه، ج2، ص 259 .

وقد وفد على الباي أحمد بن محمد بن علال القرومي في مدينة معسكر، وسجل رحلته في قصيدة حسنة تدل على أن الشعر لو وجد مناخا طيبا لزاد نماءا وازدهار فقال :

لَمَّا اِلْتَقَيْتُ بِوَافِدِ الحُسْنِ البَهِي يَزْجِى المَطَايَا مَغْرِبًا فِي عَسْكَرِ

خَاطَبْتُهُ أَيْنَ المَسِيرُ فَإِنَّنِي أَبْصَرْتُ مَا أَدْهَى وَ أَدْهَشَ مَنْظَرِي[1]

وهو بهذه القصيدة يخاطب الباي، ويجيد في مدحه على أعماله الجيدة في ظل حكمه ثم تخلص إلى وصف الجامع الذي شيده في معسكر فقال :

وَتَرَى المُدَرِّسَ قَدْ عَلَا كُرْسِيُهُ يُلْقِى عَلَى العُلَمَاءِ حُبَّ الجَوْهَرِ

تَحْوِيهِ مَدْرَسَةٌ غَدَتْ آثَارُهَا تُحْيِيهِ بِالْعِلْمِ الشَّرِيفِ الأَشْعَرِي

تَمْحِى رُسُومَ الجَهْلِ مِنْ أَلْوَاحِهِ تَحْمِي شَمَائِلَهُ مِنْ الزُورِ السَّرِى [2]

وهذا دليل على أنه إضافة إلى حكمه الجهادي ضد العدو، كانت سياسته تقوم على التشييد والبناء العمراني الأصيل، ثم إنه قد اعتنى بالمعالم العلمية وتشجيع الحركة الثقافية بالجزائر أثناء عهده .

وقد بين الشعراء من خلال مدحهم للعثمانيين، وخاصة الحكام الذين سقطت على أيدهم دولة الإسبان، فنوهوا بفضلهم على الإسلام وجهادهم في سبيله، والحفاظ على دولة عظيمة تحت راية الإسلام فوحدوا بذلك البلاد والقضاء على الفتن الداخلية، وهذا المدح في رأي سعد لله يدل على أن بعض الشعراء كانوا يتعاطفون مع الوجود العثماني وينظرون إليه نظرة إيجابية .

[1] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 261 .

[2] – المصدر نفسه، ج2، ص 261 .

ومن الشعر السياسي الديني نذكر قصيدة الشاعر محمد آقوجيل، التي ذكر عدد الشهداء وأنواعهم حيث بلغت عشرون بيتا عدد فيها نماذج الشهداء، وكانوا حسب رأيه عشرون نوعا حيث يقول :

إِنْ تُرِدْ حَصْرَ عِدَادَ الشُّهَدَا فَعَلَى العِشْرِينَ فَاقُوْا عَدَدًا

فَقَتِيلٌ كَانَ فِي مَعْرَكَةٍ ضَاقَ طَعْمَ المَوْتِ مِنْ أَيْدِي العِدَا [1]

وهو يبين أن هناك من الشهداء من قتل أثناء المعركة، ومنهم من مات تحت التعذيب من طرف العدو، إلى أن أكمل أنواعهم العشرون.

وفي المقابل هناك من وقف ضد الحكام العثمانيين الذين تميزوا بتهاونهم أثناء حكمهم السياسي الفاسد، فهذا ابن علي الذي اتهمهم بالتهاون في أمر الجهاد، وأخذ الرشوة وحب المال والانقياد إلى شتى الملذات وهو يقول :

وَكُلُّ رَئِيسٍ يُرتَجَى لِخُطُوبِهَا تَشَاغَـلَ فِي لَذَّاتِـهِ وَهُوَ نَائِمُ

وَرُبَّ أَمِيرٍ أَزْمَعَ السَيْرَ نَحْوَهَا فَيَرْجِعُ لِمـَا كَاثَرَتْهُ الدَّرَاهِمُ

رَضُوا بِالرَّشَى فِي الدِّينِ حِينَ تَخَلَّفُوا وَقَدْ رَسَخَتْ فِي الأَرْضِ تِلْكَ الأَرَاقِمُ [2]

ثم هناك بعض الشعراء الجزائريين الذين مدحوا بعض الأمراء المسلمين في الدول المجاورة لإعجابهم بهم أو تودداً لهم كأمراء المغرب وتونس وغيرهم، ومن هؤلاء عبد الرزاق ابن حمادوش الذي

[1] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 263 .

[2] – ديوان أشعار جزائرية، ص 23 .

مدح السلطان المغربي عبد الله مرتين الأولى سنة 1145 والثانية سنة 1156، فقد نظم القصيدتين عندما أراد الدخول عليه وقد كان مطلع الأولى :

قَطَعْتُ بِحَارًا مُوهِلَاتٌ وَ دُونَهَا قِفَارٌ لَا تَأْوِيهَا الوُحُوشُ مَعَ الطَّيْرِ[1]

وهو هنا يبن للسلطان العقبات والمشاق التي واجهته أثناء رحلته من الجزائر الى المغرب، وأما ما قاله في مطلع القصيدة الثانية :

أَمَوْلَايَ عَبْدُ اللهِ بِشْرُكَ الهَنَا بِكُلِّ الذِّي تَبْغِي مِنَ الفَتْحِ وَ النَّصْرِ

وفي وجه آخر وجدنا محمد بن مالك الجزائري الذي مدح أحمد باي تونس، وقد كان ابن مالك من قضاة الجزائر في العهد العثماني، وكان يشتغل بالسياسة والأدب والدين، وقد بدأ قصيدته فيه بالغزل والخمر ثم تخلص إلى المدح :

يَا مَالِكِي كُنْ شَافِعِي لَدَيَّ أَمِيرٌ حَنَفِي

يَبْسُطُ قَبْضَ اليَدِ فِي صَلَاتِهِ لِمُعْتَفِي

دَمُ أَحْمَدُ النَّاسَ لَنَا وُجِدَ بِوَصْلٍ وَاعْطِفِ

تُونُسُ بِالْأُنْسِ بِهِ تَهُشُ لِلْمُسْتَعْطِفِ[2]

وقد سبق ابن مالك إلى تونس أحمد ابن عمار، فقد مدح ابن عمار الباي بالنثر وجعل فيه كتابا وفي اعتقاد سعد الله انه ضمنه شيء من الشعر كعادته .

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2 ، ص 264 .

[2]- المصدر نفسه، ج2، ص 264 .

وفي المقابل وقف بعض الشعراء موقفا مضادا للعثمانين، وكان غرض الهجاء ثائرا ضدهم ومن الشاعر سعيد المنداسي وهو من شعراء القرن الحادي عشر، والذي ثارت فيه تلمسان ضد الأتراك عدة مرات، وكان المنداسي من شعراء المدائح النبوية كما كان متمكنا في اللغة والأدب، هذا لأنه لم يعجبه حكم الأتراك في الجزائر خاصة في المجال العلمي والثقافي الذي لقي ضعفا كبيرا فلاشيء يخصب مواهب الشعراء ويبعث الحياة في نفوسهم، وقد كانت الدول المجاورة وخاصة المغرب مقصد العلماء الجزائريين للدراسة، وملجأ الهاربين من تعسف الحكام العثمانيين ونجده يقول :

فَمَا دَبَّ فَوْقَ الأَرْضِ كَالتُرْكِ مُجْرِمٌ وَلَا وَلَدَتْ حَوَاءٌ كَالتُرْكِ إِنْسَانًا [1]

ونجده استعمل أوصافا حادة، واتهمهم بارتكاب الجرائم والفواحش والشره في حب المال، كما أنه تحدث عن حجم المعاناة التي كانت تعانيها مدينة تلمسان في عهدهم، لكنه وجد عدم قبول من الحكام ومواليهم، ويذكر سعد الله "ط .. لا غرابة بعد ذلك أن يموت المنداسي في سجلماسة هاربا من الأتراك، بسبب قصيدته التي تعتبر من أقذع ما قيل فيهم ." [2]، وإضافة إلى المنداسي شاعر آخر هو سيدي دح السنوسي بن عبد القادر وهي قصيدة سياسية تناقلها الناس عن طريق الرواية وهذا في وقت اشتد النزاع بين السلطة العثمانية وأصحاب الطرق الصوفية .

وبهذا فإن الشعر السياسي الجزائري في الفترة العثمانية، تنوعت فيه التجارب كما تنوعت فيه الأحداث والوقائع، وفي المقابل ظلت طموحات الشعراء محدودة وهي بهذا مقيدة، لضعف تشجيعة وعدم الاهتمام به، من طرف أصحاب السلطة .

[1] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج2، ص 265 .

[2] – المصدر نفسه، ج2، ص 265 .

ج – الشعر الاجتماعي :

يقصد بالشعر الاجتماعي شعر الاخوانيات الذي يتبادل فيه العلماء فيما بينهم في مناسبات معينة، ويكون شعر الرثاء والتقريظ والمدح لفئات مختلفة من المجتمع غير الأمراء ورجال الدين، ومعنى ذلك أنه يعكس الأوضاع العامة للمجتمع . ومن خلال الأوضاع العامة التي كان يعيشها المجتمع الجزائري في العهد العثماني، وهي أوضاع سيئة على العموم، فمظاهر الفقر والحرمان والاستبداد والاستحواذ على السلطة، وإهمال السكان الأصليين أدى إلى تقوية العلاقات الإنسانية والشخصية خاصة بين الشعراء والكتاب، كما حرك مشاعرهم الصادقة والقوية والتي أخذت أقلامهم تنتج الكثير من الأحوال الاجتماعية والمشاكل والهموم التي عانى منها الجزائريين في ظل حكم العثمانيين، ولأن الطابع الإسلامي هو المميز للحياة الثقافية والاجتماعية، فان روح التسامح التي اشتهر بها الإسلام هي التي كانت سائدة بينهم .

وإذا كان الشعر الاجتماعي في جملته محدود الأغراض في هذا العهد للظروف التي كان يعيشها المجتمع، فإن العلاقات الفردية كانت تلعب الدور المهم في تحريك المشاعر، لتعبر عن ذلك الإحساس بأحسن الأشعار، وقد كثرت هذه الأشعار بين العلماء والأدباء الذين عبروا عن الحالات النفسية وما يتخللها من شكوى واضطراب وطموحات وفخر .[1]

وكانت علاقات كثيرة بين العلماء والأدباء الجزائريين وبينهم بين علماء وأدباء المشرق والمغرب، كما وجدناهم تبادلوا معهم الإجازات والشعر والرسائل، ومن هؤلاء نذكر أحمد الورززي (ت1179هـ – 1765م) " وقد اثبت ابن حمادوش عنه انه كان معتزليا فقد درس عنه في تطوان والجزائر و أجازه

[1]- ينظر : أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 270 .

في المدينة الأولى" [1]، كما نذكر الجامعي وابن زاكور وأحمد الغزال وغيرهم، فقد ذكر أحمد ابن عمار زيارة العالم الورززي أنه زار الجزائر وأورد أن شيخه ابن علي قد قال فيه قصيدة بارعة يذكر أنه من خلال القصيدة كان يتردد على الجزائر كلما سمحت له الفرصة، والذي قال فيها :

خَلِيلَيَ عَادَ الأُنْسَ وَ العُودَ أَحْمدُ فَقَدْ زَارَنَا يَشُخُ المَشَائِخُ أَحْمَدُ

رَأَيْنَا مَحْيَاهُ السَّعِيدَ وَ يَا لَهُ مَحْيَا بـدَتْ أَنْوَارُهُ تَتَوَقَّدُ

فَأَشْهَدُ أَنَّ الشَّمْسَ قَدْ طَلَعَتْ لَنَا مِنَ المَغْرِبِ الأَقْصَى وَ لَا أَتَرَدَّدُ

وَقَدْ فُتِحَتْ أَبْوَابُ تَوْبَتِنَا بِهَا وَذَا عَكْسَ مَا قَدْ كَانَ لِلشَّمْسِ يَعْهَدُ

فَمَا لَكَ قَدْ أَصْبَحْتَ (مَالِكُ) عِلْمِهِ وَ فِي خُلْدِي أَنْتَ الإِمَامُ المُجَدِّدُ [2]

ونجد شعرا كثيرا لمحمد القوجلي في مدح أستاذه علي بن عبد الواحد الأنصاري والذي قال فيه عدة قصائد ونذكر منها :

مَسَرَّاتُ إِخْوَانُ الصَّفَاءِ تَدُومُ وَطَائِرُنَا المَيْمُونَ جَاءَ يَحُومُ

فَأَقْبِلْ بِالْبُشْرَى وَ أَعْلِنْ بِالْمُنَى وَإِنَّ غَمَامَ العَصْرُ فِينَا مُقِيمُ

إِمَامٌ حَوَى عِلْمًا وَ فَضْلًا وَسُؤْدُدًا وَأَصْلاً سَمَا فِي المَعْلُوَاتِ صَمِيمُ

إِمَامٌ بَهَتَ حَيًّا عُلُومٍ تَضَعْضَعَتْ جَوَانِبُهَا فَاخْتَلَّ مِنْهَا رُسُومُ [3]

---

[1] – أبو القاسم سعد الله ، عبد الرزاق ابن حمادوش، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، سوريا، 1395هـ – 1975م، ج2، مج50، ص 341 .

[2] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 272 .

[3] – ديوان أشعار جزائرية، ص115 .

فقد شبهه بالطائر الجميل والميمون الذي يأتي دائما بالكلام المنير المبشر بالخير والقول الحسن بعلمه الكثير والمتنوع، فكان عالم كرّس حياته للعلم والعطاء .

وفي شعر المجون الذي اشتهر به محمد بن أحمد بن راس العين ،فهو يقول في هذه الأبيات:

اِسْقِينَا تِبَاغَةً تَجْلَا فِي حَلَى السَّبْسِي

شُرْبُهَا فِي الدُّجَا مَعَ الإِخْوَانِ جَـالِبَ الأُنْسِ

اِسْقِينَا وَ دَعْ كَلَامَ اللَّاحِ فَهُوَ عِنْدِي مَحَالِ

لاَ تُعَطِّلْ شَرَابَهَا يَا صَاحِ فَهْيَ عِنْدِي حَلَالِ [1]

ويتبين من خلال هذه الأبيات أن الشاعر كان يتعاطى المحرمات واعتبرها حلالا في نظره فهي تأنسه في لياليه وتنسيه همومه وأحزانه، ويتغاضى بذلك عن كونها محرمة، وأعتقد لجوء الشاعر إلى شعر المجون أنه يحاول بواسطته نسيان ما كان يعانيه هو وغيره من عدم المبالاة والمشاكل الاجتماعية والإنسانية في ذلك العهد .

وأما في الغزل قال :

لَا تَخْشَ فِي الحُبِّ مِنْ مَلَامَةٍ وَلَا تُفِقْ مِنْ هَوَى الغَرَامِ

فَالْحُبُّ زِينُ ذَوِي الكَرَامَةِ وَ لَمْ يَزَلْ عَادَةُ الكِرَامِ

فَانْظُرْ حَبِيبِي لِلْجَوِّ صَافِي قُمْ تَغْتَنِمْ لَذَّةَ العَقَّارِ *

[1] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 267 .

* - العقار : من أسماء الخمر .

وأَخْضَرُ البَحْرِ فِي اِنْعِطَافٍ وَ مَوْجُهُ أَبْيَضُ الأَزَارِ [1]

ثم نجد الشاعر ابن علي مولوع بالغزل العذري، فرغم انشغاله بعدة وظائف خاصة وظيفة الفتوى، إلا أنه برع في هذا الغرض وناول ابن عمار ديوانا له في الغزل وهو يقول:

يَمِينًا لَقَدْ عَزَّتْ عَلَيَّ المَطَالِبُ وَلِي أَبَدًا مِنْ سِحْرِ عَيْنَيْكَ طَالِبُ

فَسُبْحَانَ مَنْ سَوَّاكَ فِي الحُسْنِ صُورَةً لَهَا اِعْتَرَفَتْ بِالْحُسْنِ حُورٌ كواعبُ*

مَرَاشِفٌ مِنْ شَكْلِ العَقِيقِ مَصُوغَةٌ وَمُبَسِّمُ دُرٍّ لِلْعَقِيقِ** مناسِبُ

وَهَلْ يَسْتَوِي المِصْبَاحُ وَ الشَّمْسُ فِي السِّنَا وَهَلْ يَسْتَوِي بَدْرُ السَّمَا وَالكَوَاكِبُ [2]

وأما الرثاء الذي كان يظهر من خلاله تلك الروابط القوية والمتينة بين الشعراء والأدباء وقد أبدعوا في القصائد وأجادوا خاصة عند وقوع مصاب بأحد العلماء أو الشيوخ، وذكر أبو القاسم سعد الله أن غرض الرثاء قليل بالنسبة إلى ما قيل في المدح، وكل المراثي التي كانت تتداول فقط عند فقدان شيخ جليل أو عالم أو أديب، رغم كل الاضطرابات التي كانت تحدث للحكام فهي لا تعنيهم لأن أغلب نهايات الحكام العثمانيين كانت تنتهي بمأساة، فنذكر مثلا أن صالح باي الذي كانت له شعبية كبيرة لكنه مات مقتولا ومغضوبا عليه وقد وُجدت أبيات فوق ضريحه ولم يكتب الشاعر اسمه تحتها خوفا من الانتقام ومن هذه الأبيات قال الشاعر:

[1] – ديوان أشعار مجهولة، ص 144 .

* - الكواعب : جمع كاعب، الفتاة الشابة .

** - العقيق : حجر كريم أحمر تتخذ منه الفصوص.

[2] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي – عصر الدول والإمارات –، ج 10، ص182 .

ضَرِيحٌ لَاحَ (في) أَوَجِّ السَّعَادَةِ كَمَا عَقَدَ الجَوَاهِرَ (في) النِضَادَةِ

بَايُ الزَّمَانُ أَخُو المَعَالِي بِهِ قَدْ رَاحَ (صَالِحُهُ) رَشَادِهِ

أَمِيرٌ عَاشَ فِي الدُنْيَا سَعِيدًا وَعِنْدَ المَوْتُ قَدْ حَازَ الشَّهَادَةِ

فَكَمْ مِنَنْ لَهُ فِي اللهِ جَلَّتْ وَكَمْ أَجْرَى لِطَاعَتِه جَوَادِهِ

وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَوْزًا فَأَفْنَى الفُنُشَ وَ اِسْتَوْفَى جِهَادِهِ

مَدَارِسٌ قَدْ بَنَى للهِ فَضْلًا وَكَـمْ لِلْخَيْرِ بَلَغَهُ مُرَادِهِ

بِشَهْرِ مُحَرَّمُ قَدْ مَاتَ أَرْخَ أَمِيرٍ حَازَ مِفْتَاحَ السَّعَادَةِ [1]

ويذكر الشاعر أن الباي صالح كان صالحا في حكمه، مجيدا في عمله فغدر به وهو في أوج حياته سعادته، وهو يعتبره بذلك مات شهيدا من أجل الدفاع عن دينه، وكان مجاهد محبا لخدمة الإسلام والمسلمين فقضى على العدو المغتصب، ومحببا لفعل الخير وبهذا فقد حاز على السعادة في آخرته .

ثم وأثناء حصار وهران الثاني 1205 هـ قتل قاضي معسكر الطاهر بن حوا، الذي كان يقود الطلبة وقد كان لمقتله أثر كبير في نفس الشاعر أحمد بن سحنون فرثاه بقصيدة مطلعها :

عَزِّ نَفْسَكَ عَنْ صُرُوفِ الزَّمَانِ كُلُّ شَيْءٍ عَلَى البَسِيطَةِ فَنٌ [2]

[1] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج2 ، ص 279 .

[2] – المصدر نفسه، ج2، ص 279 .

وهو هنا بارع في رثائه وحبه الكبير لشيخه فحتى وفاته وقبره فوق الأرض فن في نظر الشاعر لعلمه الوفير وخدمته له.

ومن الشعراء الذين كان الرثاء له نصيب في كتاباتهم نذكر عبد الكريم الفكون وسعيد قدورة الذي قال في شيخه محمد بن علي آبهلول المجاجي بعد مقتله :

أَحَقًا قَتَلْتَ الأَلْمَعِي مُحَمَّدًا عَلَى قَوْلِ حَقٍ لَا عَلَى قَوْلِ بَاطِلٍ *

قَتَلْتَ اِمْرَءًا مِنْ شَأْنِهِ العِلْمَ وَ التُقَى فَيَا خَيْرَ مَقْتُولٍ وَ يَا شَرَّ قَاتِلِ

فَإِنَّكَ مِنْ أَشْرَارِ قَوْمٍ خَوَارِجُ بَنِي نَائِلٍ لَا فُزْتَ يَوْمًا بِنَائِلِ [1]

من خلال هذه الأبيات نجد الشاعر يشكو من الدهر الذي أذل العلماء بحكم الجهال وتطاولهم عليهم، وبكى شيخه على لسان الأرامل واليتامى والضعفاء، كما بكى العلم والتقيا، فقد ذكر أن الطلبة كانوا يشدون الرحال ليدرسوا في زاويته وهو يخاطب قاتل شيخه وتوعده بسوء المغبة، وان هذا القاتل من الخوارج .

نعود إلى القوجلي الذي يرثي أبا العباس السيد أحمد الزروق بن السيد عمار ابن داوود رحمهم الله :

مَا لِلْأَمَانِي أَخْلَفَتْ مِيعَادًا مَا لِلْمَسَرَّةِ أَعْقَبَتْ أَنْكَادًا

مَا لِلَّيَالِي كُلَّمَا قُلْنَا لَقَدْ أَبَدَتْ صَلاَحًا تَسْتَحِيلُ فَسَادًا

* - يشير بذلك إلى فتوى الشيخ بعدم زواج القاتل بإحدى النساء ، وهذا سبب قتله .

[1] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2 ، ص 280.

مَا لِلْمَنَايَا تَصْطَفِي أَخْيَارَنَا مَا لِلدَّوَاهِي فَرَّقَتْ أَنْدَادًا

مَا لِلْمُحِبِّ يَبِينُ عَنْهُ جَبِينُهُ هَذِى الرِزْيَةُ قَطَعَتْ أَكْبَادًا [1]

فقد أخلفت أمانيه الميعاد، كما جاء النكد والحزن بعدما كانت أياما مليئة بالسعادة والمسرات، وهذه المنية التي تختار فقط الرجال الصالحين والأخيار دون الطالحين والأشرار، فوفاة شيخه حرق قلبه وقطّع كبده، وهذه الصورة حقا صادقة نابع من صميمه وما أروع الرثاء عندما يكون صادقا .

وفي وصف المنشآت العمرانية في العهد العثماني، كان حظها في قصائد الشعراء وفير فقد أبدعوا التصوير ووصف المؤسسات التي أقامها بعض الولاة، هذا على الرغم من قلة العاملين لنشر العلم والعمران فكيف إذا كان العكس ؟ وقد عرفنا أن همهم كان منكبا فقط على السلطة، فالمدارس والمساجد التي أقامها محمد الكبير وصالح باي لقيت تنويها لدى الشعراء، ونذكر هنا بما شيده محمد الكبير منه الجامع البير بمعسكر والمدرسة المحمدية الملحقة، ثم المحكمة، وأشادوا حتى بيته ووصفوها وصفا حيا، فيقوول ابن سحنون في الجامع الكبير :

أُنْظُرْ رَعَاكَ اِلَهُ الخَلْقِ وَ اِعْتَبِرْ لِمَسْجِدٍ رَائِقٍ قَدْ لَاحَ لِلْبَشَرِ [2]

وفي نفس الجامع و المدرسة يقول أحمد القرومي في قصيدته :

وَ تَرَى المُدَرِسَ قَدْ عَلَا كُرْسِيُهُ يُلْقِى عَلَى العُلَمَاءِ حُبَّ الجَوْهَرِ

تَحْوِيهِ مَدْرَسَةٌ غَدَتْ آثَارَهَا تُحْيِيهِ بِالْعِلْمِ الشَرِيفِ الأَشْعَرِي

تَمْحِي رُسُومَ الجَهْلِ مِنْ أَلْوَاحِهِ تَحْمِي شَمَائِلَهُ مِنَ الزُورِ السَرِي [3]

---

[1] – ديوان أشعار جزائرية ، ص 118 .

[2] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج2 ، ص 283 .

[3] – المصدر نفسه، ج2، ص 283.

وهو هنا يشيد بالعلماء الذين تنكب مشاغلهم كلها نحو فضيلة واحدة هي العلم وتنويره لمن يجهله سواء كان إمام مسجد أو مدرس للعلوم الفقهية والإسلامية وغيرها من العلوم الأخرى أو معلما في مدرسة قرآنية .

وقد أبدع الشعراء في وصف المؤسسات العامة كالمحاكم والمعالم والمدارس والمنازل والقصور إلى غير ذلك من المنشآت العمرانية التي بنيت خلال العهد العماني وقد ذكر أبو القاسم سعد الله أن هذا الشعر هو شعر تسجيلي نقشت أبياته على المعلم فلا يعتمد فيه الشاعر على عاطفته وأحاسيسه فهو لا يكتبه الشاعر للتذوق أو الحفظ بل لأن الشعراء كانوا يبدعون في أي شيء يجدون فيه صلاحا وخيرا للأمة، ولكن يبقى الشعر التسجيلي قليل لقلة المنشآت العمرانية الرسمية في هذا العهد .[1]

وفي موضوع اجتماعي آخر نذكر أن للألغاز كذلك حظا عند الشعراء في وقت انعدمت فيه وسائل الترفيه والتسلية، فكان التلغيز إحدى هذه الوسائل، والألغاز هي لاختبار الذكاء وسرعة الإجابة، فالشاعر لا يلجأ في التلغيز إلى القصيدة الطويلة، فيعبر عن حادثته فقط ببعض الأبيات، وهذه الألغاز لا تتجدد في بعض الأحيان وتؤخذ النماذج من الكتب الأدبية ثم يبعث به صاحب اللغز إلى أصدقائه ليجيبوا عليه وقليلا ما تكون صائبة، ومن الذين اهتموا بهذا النوع من الشعر تأليف الألغاز الذي ألفه أحمد بن قاسم البوني، وذكر عبد الرزاق بن حمادوش نماذج من الألغاز في رحلته، إضافة إلى سعيد قدورة وعبد الكريم الفكون وأحمد المقري ومحمد بن ميمون ويحي الشاوي وغيرهم من العلماء والأدباء قد كتبوا في الألغاز ونذكر هذا اللغز :

أَلَا أَيُّهَا الغَادِي عَلَى ظَهْرِ أَجْرَدٍ يَشُقُّ الفَيَافِي فُدْفُدًا بَعْدَ فُدْفُدِ

تَحْمِلْ رَعَاكَ اللهُ مِنِّي تَحِيَةً تُحَيِّ بِهَا أَهْلَ المَجَالِسَ فِي غَدِ

[1] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج2 ، ص 284 .

وَقُلْ لَهُمْ مَا سَبْعَةٌ خُلِقُوا مَعًا وَمَا سَبْعَةً فِي ثَوْبٍ خِزٍّ مَوْرِدِ

حَوَاجِبُهُمْ سَبْعُونَ فِي وَجْهٍ وَاحِدٍ وَأَعْيُنَهُمْ تِسْعُونَ فِي خَلْقِ هُدْهُدِ

أَبُوهُمْ لَهُ حَرْفَانُ مِنْ اِسْمِ جَعْفَرِ وَ حَرْفَانٌ مِنْ اِسْمَيْ عَلِي وَ أَحْمَدِ [1]

وقد أجابه يحي الشاوي بقوله :

هُمْ سَبْعَةٌ مِنْ بَيْضَةٍ خُلِقُوا مَعًا وَمِثْلُهُمْ فِي ثَوْبٍ خَزَّ مَوْرِدُ

حَوَاجِبُهُمْ سَبْعُونَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ وَ أَعْيُنُهُمْ تِسْعُونَ صُورَةَ هُدْهُدُ

أَبُوهُمْ رَجِيمٌ مَارِدٌ مُتَمَرِّدٌ وَقَدْ جَمَعْتَ مِنْ لَفْظِ لُغْزٍ مُقَيَّدُ [2]

وكانت الألغاز المستعملة في الشعر، تخفيفا من عبء الحياة، واختبارا للذكاء وتنشيطا للذهن .

[1] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 287.

[2] – المصدر نفسه، ج2، ص287.

ثالثا – الخصائص الفنية للشعر الجزائري في الفترة العثمانية :

1– خصائصه الفنية على ضوء الدراسات النقدية الحديثة :

قبل التطرق إلى الخصائص المميزة للشعر يجب أن نسبق هذا العنصر بالحديث عن أول ظاهرة اتسم بها الشعر ألا وهي اللغة، فلغة الشعر تختلف عن لغة العلم والفلسفة، فالعلم والفلسفة تستهدف لغتهم مباشرة إلى الهدف المطلوب، فقد يستغنيان عن اللغة المألوفة ويستعملان لغة أخرى تسهل عملية الفهم .

أما اللغة الشعرية لها شخصية التأثير والتأثر، فتنقل بذلك الأثر من المبدع إلى المتلقي نقلا أمينا خالصا لمحتواها الكثيف، وهي بذلك فردية فتكون أكثر حيوية، والعلاقة بين الأصوات في الشعر كالموسيقى فتثير بذلك متعة التذوق والانسجام، سواء بالأجزاء المتكررة أو المنوعة المناسبة، فتنتج بذلك عناصر ثلاثة : المحتوى العقلي، والإيحاء عن طريق المخيلة والصوت، واتصالها بالكلمات الأخرى اتصالا إيقاعيا فيؤدي بذلك الهدف المطلوب، وفي نقطة أخرى فإن لغة الشعر غير قابلة للترجمة لأن الشعر في لغته وبلغته، وهذه الأخيرة لها قيمة غير منفصلة عنه فلا تسمح بنقلها إلى لغة أخرى نقلا متساويا كما هو الشأن للغة العلمية .[1]

أ – الوزن والقافية :

منذ أن ظهر الشعر العربي ارتبط مفهومه بالوزن الذي يعد الإلهام أساس قول الشعر ومحركه فيفتن بذلك القلوب من خلال أوزانه وموسيقاه وهذا ما ظهر عندما قال أفلاطون : " إن الشعراء عندما ينشدون أشعارهم العذبة يكونون في حالة من الوجد، فتفتنهم أوزانها وموسيقاها وتأخذ بمجامع

[1] – ينظر : عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي – عرض وتفسير ومقارنة–، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، 1992، ص 296 .

قلوبهم. " [1] كما اختلفت تعريفاته عند العرب وتنوعت بتنوع مضامينها فقد عرفه العرب على " أنه بوح وجداني، وتدفق للمعاني والأخيلة وسديم من العواطف، وجيشان قلبي، وكم نغمي ينساب خلال العمل الشعري. " [2]، كما ظهرت محاولات كثيرة في رسم ملامح وخصائص الشعر عبر العصور، ومن هذه المحاولات ما قدمه قدامة بن جعفر حين أعطى تعريفا له أنه " القول الموزون المقفى يدل على معنى " [3]. فهو يميز العناصر الجوهرية الأربعة اللفظ، والمعنى، والوزن، والقافية . ومن ثم " فهو الأول والوحيد الذي قدم بدقة دراسة للعلاقات القائمة بين هذه العناصر ووظائفها"[4]. ثم إن الوزن والإيقاع عبارة عن عنصرين أساسيين، " فلا حاجة للشاعر الحقيقي إلى معرفة قواعد العروض، فالطبع والذوق يقودانه إليه"[5].

ويمكن أن نضيف إلى خاصية الوزن الموسيقى التي يبوح بواسطتها الشاعر فيعبر عن عواطفه الصادقة، وهذه الموسيقى لها ارتباط قوي بالجملة الشعرية، " فالشعر انسكاب للروح وفيض دافق من الاعترافات الغنائية وهو محتاج إلى النغمة الحنون واستمرارها الشجي إلى أن يلقفها قلب إنساني متجاوب."[6] فالشعر بحاجة دائمة إلى الموسيقى تستعين به تعبيرا وإيحاءا ودلالة على ما نخبئه في أعماقنا من أسرار ولا يمكن البوح به إلا من خلال قالب شعري وموسيقي. " والشعر باستعانته بالموسيقى

[1] – الطاهر أحمد مكي، مقدمة في الأدب الإسلامي المقارن، ص 408.

[2] – عبد الرؤوف أبو السعد، مفهوم الشعر في ضوء نظريات النقد العربي، دار المعارف، القاهرة، ط1، د.ت، ص 13 .

[3] – قدامة بن جعفر، نقد الشعر، مطبعة الجوائب، القسطنطينية ، 1302 هـ، ط1، ص 03 .

[4] – جمال الدين بن الشيخ، الشعرية العربية، تر : مبارك حنون وآخرون، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1996، ص 140 .

[5] – المرجع نفسه، ص 265 .

[6] – عبد الرؤوف أبو السعد، مفهوم الشعر في ضوء نظريات النقد العربي، ص 15 .

الكلامية إنما يستعين بأقوى الطرق الإيحائية لأن الموسيقى طريق السمو بالأرواح، والتعبير عما يعجز التعبير عنه" [1].

في حين أبعده شوقي ضيف عن ضروب الشعر الغربية القصصية والتعليمية والتمثيلية، ذلك لأنه أقرب إلى الضرب الرابع وهو الشعر الغنائي، فهو قريب من الشاعر يجول في خواطره ومشاعره، فيصور فرحه وحزنه، فقد وجد من قديم عند اليونان فعرفوا المدح والهجاء والغزل ووصف الطبيعة والرثاء؛ ولأنه ذاتي يصور نفسية الفرد فينتج بذلك أغراض الشعر المذكورة . [2]

ب– اللفظ والمعنى:

يعتبر اللفظ والمعنى ركنان مهمان من أركان القصيدة العربية الأصيلة، فهما ركن واحد حسب تقدير يوسف حسين وهذا لارتباط الشكل بالمضمون، فاعتبر أن قضية اللفظ والمعنى من أعقد القضايا النقدية القديمة، وأكثرها اضطرابا، فقد اعتنى بها الكثير من النقاد وركزوا على ثلاث نقاط من قواعد الشعر وهي جزالة اللفظ، وشرف المعنى وصحته، ومشاكلة اللفظ للمعنى .[3] فالمعاني مسجونة في مواقعها، وهو يريد الاختصاص في ترتيب الألفاظ على المعان المرتبة في النفس، واستحسان اللفظ " أن تكون اللفظة مما يتعارفه الناس في استعمالهم، ويتداولونه في زمانهم، ولا يكون وحشيا غريبا، أو عاميا سخيفا ." [4]

[1] – محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، د.ط، 1997، ص660 .

[2] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ج1، دار المعارف، القاهرة، ط11، د.ت، ص 190 .

[3] – ينظر: يوسف حسين بكار، بناء القصيدة في النقد العربي القديم – في ضوء النقد الحديث –، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، د.ت، ص 113 .

[4] – عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، دار المدني، جدة، د.ط، د.ت، ص 36 .

ويؤكد أبو هلال العسكري على جودة اللفظ حين قال: "من أراد معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف." [1] والمعنى الكريم والجيد الذي يبرز جمال الصورة ولإظهارها وإيصالها إلى المتلقي من دون عناء وجهد فكري على المبدع أن يختار اللفظ المناسب لصورته، هذا اللفظ هو الأساس في تكوين صورة شعرية أنيقة، ولهذا يجب " أن يكون لفظك شريفا عذبا، وفخما سهلا، ويكون معناه ظاهرا مكشوفا، وقريبا معروفا"[2] .

كما نجد ابن قتيبة قد قسم الشعر إلى أربعة أضرب[3]، وتعتمد هذه الأضرب على اللفظ والمعنى، وأولها ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه، وضرب منه حسن لفظه وحلا، فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى، وضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه، وضرب تأخر معناه ولفظه. ومن خلال هذا التقسيم يتضح لنا أن الضرب الأول هو الأولى الذي يجب أن يقوم عليه الشعر فعندما يتوافق اللفظ مع المعنى في الجودة والحلاوة يكون من أبدع ما قيل في الشعر .

ج – الصورة و الخيال :

ويمكن البدء في هذه الخاصية بمفهوم العمق والصدق في التجربة بحيث أنه كلما قلت تفصيلات الصورة زادت تأثيرا ووقعا في النفس، كما أن التعبير المباشر في الشعر ليس تعبيرا شعريا والاعتماد على الصور والرموز الإيحائية يكسب الشعر حيويته وجماله، ونضيف إلى ذلك الغموض والتعقيد الذي يزيد في أهمية اللفظ أو الرمز .[4]

---

[1] – أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص90 من الموقع الإلكتروني: .to pdf /www.al- mostafa.com

[2] – المصدر نفسه، ص90 .

[3] – ابن قتيبة ، الشعر والشعراء، ص 24 .

[4] – ينظر : عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي – عرض وتفسير ومقارنة–، ص 299 .

فقد عرفه جورجي زيدان بأنه واحد من الفنون الجميلة التي يسميها العرب الآداب الرفيعة، وهي الحفر والرسم والتمثيل والخطابة والموسيقى والشعر، وهذا الأخير يصورها بالخيال ويعبر عن إعجابنا بها وارتياحنا إليها بالألفاظ فهو لغة النفس أو هو صورة ظاهرة لحقائق غير ظاهرة [1]. أما ابن خلدون فقد عرفه فقال: " الشعر هو الكلام المبني على الاستعارة والأوصاف، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده، الجاري على أساليب العرب المخصوصة به"[2]، فأضاف إلى ما سبقه ببنائه على الاستعارة وهي الكلام المجازي وفي إدخال التصوير هذا يميزه عن الكلام العادي فيزداد بذلك رونقا وطلاوة، أما الأوصاف فتزيد في تنويع الصور والمشاهد الشعرية الجميلة فتعبر بذلك عن مواقف مختلفة .

ونجد أن أغلبهم اتفقوا على أن الشعر هو الكلام الموزون والمقفى، فقد أرجعه عمر فروخ إلى ما يمتاز به من خصائص فنية حينما قال: "فإذا امتاز النظم بجودة المعاني وتخير الألفاظ ودقة التعبير ومتانة السبك وحسن الخيال مع التأثير في النفس فهو الشعر" [3]، وقد بين أن هذه الخصائص إذا اجتمعت من دون الوزن فيبقى شعرا، ذلك لان الشعر عنده هو ما استولى على العاطفة فسرق بذلك العقل واستهوته النفس، ويستشهد بذلك بأن العرب ظنوا على القرآن الكريم بأنه شعر والرسول (صلى الله عليه وسلم) بأنه شاعر لشدة وقعه في نفوسهم، وقد جمع الجاحظ هذه الخصائص المميزة للشعر فقال: ".. المعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي، والقروي والبدوي، و إنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع، وجودة السبك . فإنما الشعر صناعة،

[1] – ينظر : جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، مؤسسة دار هلال، مصر، د.ط، د.ت، ج1، ص 50 .

[2] – جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج1، ص 50 .

[3] – عمر فروخ، المنهاج في الأدب العربي وتاريخه، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1379هـ – 1959م، ص13 .

وضرب من النسيج، وجنس من التصوير" [1]، فالشاعر الحقيقي هو الصانع الذي يظهر صورته كاملة بتوظيفه لكل الخصائص المذكورة بتفاصيلها الظاهرة والخفية لأهميتها البالغة في إظهار براعته وجودته الشعرية . لأن المعاني في نظره معروفة لدى كل الناس ومن مختلف الأجناس، لكن الشأن في ذلك طريقة المبدع في فهم المعاني وصياغة الأفكار التي اشترط فيها الجودة .

وبهذا فإن عمر فروخ لا يشترك الوزن والتقفية في الشعر بل المعنى الجيد والمبتكر والصورة المبهرة والمؤثرة، وهذه الصورة تظهر عند تخيير اللفظ القريب منها مع سبكها سبكا محكما لكن إذا أضيف إلى هذه الخصائص الوزن والقافية يضاف عنصر آخر وهو الموسيقى، فيكون وقعه على النفس أشد وأقوى تأثير .

2- الخصائص الفنية للشعر الجزائري في العهد العثماني :

تميز الشعر الجزائري في الفترة العثمانية بعدة خصائص ظهرت من خلال الأشعار التي قيلت في تلك الفترة، والتي تميزت بعفة اللغة والأصالة، وتكرار الأغراض الشعرية المعروفة في القصيدة العربية الأصيلة والتلاعب بالألفاظ، وقلة الخيال المبدع، بالإضافة إلى كثرة الشعراء المتصوفة، فنجد أن الشاعر في هذه الفترة يعبر عما رأى بعينه، وما أحسه في أعماقه، فتجئ استعاراته خالية من التكلف، وبديع معتدل بعيد عن الغلو ومن أهم الخصائص التي ميزته :

2 -1 – التقليد:

خلال العهد العثماني انحط الأدب العربي إلى أسفل الدرجات على حسب تقدير حنا الفاخوري "وهذا لشيوع التركية في المخاطبات والمراسيم والدواوين، وتسلط الخمول على العقول، والتقليد على

[1] – الجاحظ عمرو بحر، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى الباي الحلبي وأولاده، مصر، د.ط، 1966م، ج3، ص132 .

المعاني، والصناعة المقينة على الأساليب، فأصيب بذلك بوباء التنميق اللفظي الذي ذهب بمائه ورونقه"[1].

وأغلب ما قيل في هذا العهد من قصائد لا تخرج عن القصيدة العربية القديمة، فلا تخلو قصيدة من أغراض الغزل والوصف والتشبيب، فلا نعني بذلك أن المجتمع الجزائري كان ضعيفا، بل هو التقليد الذي طغى عليه فالشاعر عندما يمدح أو يرثي أو يصف عليه قبل ذلك أن يفتتح قصيدته من خلال الغزل والتشبيب ووصف الرياض، وقد أجادوا بذلك التقديم في قصائدهم الذي يدخلون منه إلى أغراضهم، وقد لوحظ بعض التكلف في مقدمات قصائد ابن راس العين، في حين تألق وبراعة ابن علي في إتقان تقديم قصائده جعلته شاعرا صادقا في أغلب الأحيان، ولهذا قال فيه سعد الله : " وهو صادق في معظم ما قال لأنه كان يصدر عن نفس مشبوبة وخيال جامح وقلب دفق ولغة طيِّعة." [2]

وهذا التقليد الذي جعل تمزقا عناه ابن علي في شعره بين مكانة عائلته الاجتماعية والدينية، ووظيفته هو كمفتي وخطيب ومدرس، وبين طموحاته الشعرية وثورة هواه وأحاسيسه وعواطفه ونذكر له هذه الأبيات :

لَوْلَا، وَحَقُّكَ ، خُطَةً* قَلَّدْتُهَا زَهَرَتْ بِهَا فِي الخَافِقِينَ شُمُوعِي

وَمَنَابِرٌ فِيهَا رَقِيَتْ إِلَى العُلَى وَقَدْ اِسْتَدَارَ بِهَا كَثِيفُ الشُّمُوعِ

لَنَحَوْتُ مَنْحَى العَامِرِيُّ صَبَابَةً وَلَكَانَ مِنْ حَرْقِ الجَوَى مَشْفُوعِي [3]

---

[1] – حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي – الأدب القديم –، دار الجيل، بيروت، ط1، 1986 م، ص 1026 .

[2] – ديوان أشعار جزائرية، ص20 .

* - الخطة : وظيفة الفتوى .

[3] – ديوان أشعار جزائرية، ص 20 .

ونرى أن ابن علي قد احتذى حذوى الأولين ممن سبقوه في تتبع خططهم من ذلك وظيفة الفتوى وقول الشعر فتألق وتألقت بها شموعه في الجزائر وبعلمه وتوجيهاته المنيرة التي تكتظ الجموع لأجلها، فهذا ما جعله ينشغل عن الغزل العذري مثل غزل قيس العامري إلى غير ذلك، ثم إن قصائد معظم الشعراء بما فيهم ابن عمار وابن علي واحمد المنجلاتي وغيرهم تجدها حافظت على مميزات القدماء، فقد التزموا وحافظوا على الأوزان الشعرية المعروفة .

ومن علامات التقليد نجد الغزل بالمذكر، والذي لجا إليه الشعراء الجزائريين وذلك لغياب المرأة وتحركها داخل المجتمع، ومنه ما قدمه ابن عمار لشيخه ابن علي، فيرى سعد الله انه محاولة للهروب من الواقع وله فيه هذه الأبيات :

فَتَّانٌ وَ سِنَانُ المَحَاجِرُ أَدْعَجُ نَهَبَ العُقُولَ وَلَجَّ فِي تِيهَانِهِ

رَيَانٌ مَمْشُوقَ القِوَامِ مُهَفْهِفُ بِأَبِي قَضِيبِ البَانَ مِنْ رَيَانِهِ

مُتَأَرِّجُ النَّفَحَاتِ يَعْبَقُ خَالُهُ مِسْكًا وَ يَعْلُو العُودُ مِنْ أَرْدَانِهِ

الشِّعْرُ مَوْقُوفٌ عَلَى لُبَاتِهِ وَالسِّحْرُ مَقْصُورٌ عَلَى أَجْفَانِهِ [1]

فقد بدأ مقدمته الغزلية التقليدية في شيخه ابن علي لينصرف فيما بعد للحديث عنه وعن شعره.

[1] – ديوان أشعار جزائرية، ص 42 .

2 – 2 – التخميس :

التخميس هو"أن يؤتى بخمسة أقسمة أخرى في وزنها على قافية غيرها كذلك، إلى أن يفرغ من القصيدة، وأكثروا من هذا الفن حتى أتوا به مصراعين مصراعين فقط، وهو المزدوج، إلا أن وزنه كله واحد وإن اختلفت القوافي."[1]

ونجد هذا النوع عند الشعراء الجزائريين حين انشد ابن علي ابن عمار، تخميسا لأبيات لسان الدين بن الخطيب في المعتمد بن عبّاد، عندما زار قبره – رحمهما الله – فقال ابن عمار في تقديمه للتخميس : " وأنشدني لنفسه تخميسا لأبيات لسان الدين ابن الخطيب في المعتمد ابن عباد رحمهما الله حين زار قبره بأغمات، ورأى ذلك كما قال من أولى المهمات"[2] وقوله:

طَابَتْ بِذِكْرَاكَ أَنْفَاسِي وَ أَوْقَاتِي وَ أَنْتَ مِنِّي مَحَلَّ الرُّوحِ فِي الذَّاتِ

يَاغَائِبًا وَ هْوَ مَحْفُوفٌ بِمَرْءَاتِي* قَدْ زُرْتُ قَبْرَكَ عَنْ طَوْعٍ بِأَغْمَاتِ

رَأَيْتُ ذَلِكَ مِنْ أَوْلَى المُهِمَّاتِ

أَنْتَ الذِّي كُنْتَ لِلْعَافِينَ مُسْتَنِدًا وَكُنْتَ أَعْذَبُ مَوْرُودٍ لِمَنْ وَرِدَا

وَخَيْرُ مَنْ كَانَ قَدْ وَفَّى إِذَا وَعَدَا لِمَ لَا أَزُورُكَ يَا أَنْدَى الْمُلُوكِ يَدًا

وَيَا سِرَاجُ اللَّيَالِي المُدَلْهِمَاتِ [3]

---

[1] – ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1981م، ص 107 .

[2] – ابن عمار، الرحلة، ص 68 .

* - في ديوان أشعار جزائرية : بمرءات .

[3] – ابن عمار، الرحلة، ص 68 .

2 – 3 – التوشيح :

الموشّح أو التوشيح اسم لنوع من الشعر استحدثه الأندلسيون، وهو كلام منظوم على وزن مخصوص، والموشحات جمع موشحة، وهي قطعة شعرية طويلة في الأغلب تتألف من مقاطع تترتب فيها القوافي على نسق مخصوص.

فإذا اختار الوشّاح نسقا معينا في موشحة له، وجب عليه أن يلتزم ذلك النسق في جميع مقاطع تلك الموشحة، وتكون الموشحة من بحر واحد أو من بحور مختلفة. [1] و"يتكون الموشح من أدوار، وكل دور من أجزاء، لكل جزء منها اسم خاص، ومن أشهر الوشاحين الأوائل نذكر عبادة القزاز، وبني زهر، والأعمى التطيلي، والفيلسوف ابن باجة وغيرهم "[2] .

– نسق الموشحات :

للموشحات نسقان رئيسيان : النسق المؤتلف والنسق المختلف. فالنسق المؤتلف يتركب من مطلع (أو مذهب أو غصن) ومن أبيات (مجموع أشطر). والبيت، ويسمى الجزء أيضا، يتكون من دور ومن قفل. أما النسق المختلف فلا قاعدة له.

وتتنوع درجات الموشحات المؤتلفة منها الموشحة المفردة (البسيطة) والموشحة المثنّاة (المزدوجة) والموشحة المركبة (المتعددة الأسماط في المطلع) . ومثال الموشحة المفردة موشحة أبي بكر بن زهر :

المطلع : أَيُّهَا السَاقِي إِلَيْكَ المُشْتَكَى قَدْ دَعَوْنَاكَ وَ إِنْ لَمْ تَسْمَعِ

البيت : وَنَدِيمٌ هَمَّتْ فِي غُرَّتِهِ

[1] – عمر فروخ، المنهاج في الأدب العربي وتاريخه، ص 263 .

[2] – الطاهر أحمد مكي، مقدمة في الأدب الإسلامي المقارن، ص 416 .

وَبِشُرْبِ الرَّاحِ مِنْ رَاحَتِهِ

كُلَّمَا اِسْتَيْقَظَ مِنْ سَكْرَتِهِ

جَذَبَ الزَقَّ إِلَيْهِ وَ اِتَّكَأَ وَسَقَانِي أَرْبَعًا فِي أَرْبَعِ [1]

إن الموشحات، من أكثر ألوان الشعر الغنائي، واشتهرت استعمال أغراض الغزل والوصف والخمريات، وقليل ما يعالج الشاعر الموضوعات التقليدية خاصة غرضي الهجاء والرثاء، كما وجد المدح في بعض الموشحات فقد كان يقتصر فيه الشاعر على مقطع صغير أو مجرد اسم الممدوح في الخرجة . [2]

وقد وجد التنويع في إيقاع القوافي عند الشعراء الجزائريين من حيث بنيتها وهندستها في رسم اسطرها ومن جهة رويها المتناغم إلى أنواع مختلفة منها قوافي **الموشح التام** الذي عرفه فن التوشيح والذي نظم فيه أبو مدين شعيب التلمساني وسيدي ابن علي ومحمد ابن الشاهد وأحمد ابن عمار والذي نمثل له هذا الموشح الذي بلغ أربعة وأربعين قفلا، بما فيها المطلع والخرجة، وثلاثة وأربعين دورا أو بيتا[3]، فقال :

يَانَسِيمًا بَاتَ مِنْ زَهْرِ الرُّبَا يَقْتَفِي الرُّكْبَانْ

اِحْمِلنْ مِنِي سَلَامًا طَيِبًا لِأُهَيْلَ البَانْ

إِنَّ لِي قَلْبًا إِلَيْهَا شَيِّقًا شَفَّهُ وَجْدُ

[1] – عمر فروخ، المنهاج في الأدب العربي وتاريخه، ص 264 .

[2] – محمد زكريا عناني، شعر ابن مجبر الأندلسي، تح: محمد زكريا عناني، دار الثقافة، بيروت، ط1، 2000، ص 67 .

[3] – ينظر : مختار حبار، الشعر الصوفي القديم في الجزائر – إيقاعه الداخلي وجماليته –، منشورات مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر، وهران، ط2، 2010، 159 .

وَفُؤَادِي يَجْتَبِيهَا حَرَقًا وَضَنًى يَعْدُو[1]

كما نذكر موشحات أخرى منها موشح لابن علي في غرض الغزل ويقول فيه:

بَدَا الرَّوْضُ فِي حُلَّةٍ بَاهِيَةٍ فَأَغْصَانُهُ تَنْجَلِي زَاهِيَةً

سَوَادُ الدُّجَى قَدْ حَكَى العَنْبَرَا

وَصَوَّبَ النَّدَى أَمْطَرَ الجَوْهَرَا

وَرَقَّ اللُّجَيْنُ إِلَى أَنْ جَرَى

مِيَاهٌ بِهَا إِذْ غَدَتْ جَارِيَةً عَوَاطِلُ تِلْكَ الرُّبَى حَالِيَةً [2]

وقد وجدنا ابن علي اشتهر في القصيدة التقليدية أكثر من تناوله للموشحات، ومن الشعراء الذين برعوا فيها واشتهروا بها هو الشاعر ابن راس العين فكان من كبار شعراء التوشيح ونذكر له هذا الموشح الذي يمدح شيخه :

شَيْخٌ يُرَاعِي الوَرَى ذِمَامَةً إِذْ صَارَ مَا بَيْنَهُمْ أَمَامُ

وَكُلُّهُمْ قَدْ غَدَا غُلَامَهُ يَقْبَلُ النَّعْلَ وَ القِثَامُ*

اِجْعَلْ مَدِيحِي لَكُمْ خِتَامُهُ يَا أَفْخَرَ الجُلَّةُ العِظَامُ

فَالْحَمْدُ للهِ عَلَى السَّلَامَةِ والعَبْدُ يُقْرِيكَ السَّلَامُ [3]

---

[1] – ابن عمار، الرحلة، ص 16 .

[2] – المصدر نفسه، ص 81. والموشح موجود في أشعار جزائرية ص 98 .

* - القثام : التراب أو الغبار .

[3] – ديوان أشعار جزائرية، ص 132 .

ويبين من خلال مدحة على تواضع شيخه، فهو في نظره مفخرة العلماء والأجلاء الذي يتقدمهم في عصره، والشاعر تتلمذ على يديه. لقد برع الشعراء في العهد العثماني الذي توارثوه من السلف، حتى كونوا بذلك ما يسمى بمدرسة التوشيح الجزائرية، ونذكر أيضا ممن أبدعوا في هذا الفن الشيخ أبو العباس احمد المنجلاتي الذي اغرق الموشح المولدي في الأجواء الصوفية[1]، وقد أشاد به ابن عمار في قوله" ومجلى هذه الحلبة، ومقدم الجماعة، ونائل الجعبة، وإمام الصناعة،... عاشق الجناب المحمدي، ومادحه بلا معارض."[2] فقد برعوا هؤلاء الشعراء في نظم الموشحات المولدية، في فكرة دارت حول معرفتهم الصوفية والتي تعلقت خاصة بمدح النبي عليه أفضل الصلاة والسلام.

2 – 4 – الموضوعات المستحدثة:

– الموالیا :

نشأ شعر الموالیا في عهد الرشيد عندما رثت جارية أهل البرامكة بهذا الوزن، وأخذت تنشد وتقول يا مواليا، وهو نفس الشعر العامي المعروف بالموال وقد جاءت أمثلته مزيجا بين ألفاظ معربة وأخرى غير معربة، كما يذكر إبراهيم أنيس أن لابن خلدون (ت 808هـ) شعرا يكاد يخلو من إعراب الكلمات في فصل من مقدمته المعنون بـ" فصل في أشعار العرب وأهل الأمصار لهذا العهد "، ويؤكد بعض مؤرخي الأدب أن وزن الموالیا كان البحر البسيط، ووزن الموال الحديث هو البحر البسيط في أغلب الأحيان، ومن هنا فإن ما يميز الموالیا هو تسكين اللفظ الأخير كما هو الحال في اللغة العامية، والتنويع في القافية ورويها، بمعنى انه يتميز بتنوع القافية وتطور قواعد الإعراب . [3]

[1] – مختار حبار، الشعر الصوفي القديم في الجزائر–إيقاعه الداخلي وجماليته–،ص157.

[2] – ابن عمار الرحلة، ص27.

[3] – ينظر: إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط2، 1952، ص 209 .

وقد سمي هذا النوع من الوزن هو الشكل المزدوج فالقافية فيه مزدوجة، فقد حاول بعض الشعراء العرب خاصة في العصر العباسي الخروج عن النظام القديم للقصيدة العربية القديمة، وذلك بتغيير نظام القافية الواحدة، محاولين بذلك التجديد خاصة في الأوزان التي تصلح للغناء والطرب وغيرها من الأنظمة الإيقاعية، ومن الموضوعات التي برزت عند الشعراء الجزائريين في العهد العثماني هو شعر المواليا الذي نظم فيه ابن عمار أشعار معتبرة وقال عنه انه من طراز شرقي جاء به أهل بغداد وبرع فيه الشعراء المصريين، وقد نظم ابن عمار بعض القصائد على طريقة المواليا ونجده يقول عن شقائق النعمان :

هَارُوتَ لِحَظِّكَ وَسِحْرِ لَفْظِكَ الفَتَّانْ وَالوَرْدُ خَدَّكَ وَسَيْفُ اليَزْنُ بِالأَجْفَانْ

قَدْ كَانَ يَحْمِي الشَّقَائِقَ قَبْلَكَ النُّعْمَانْ وَأَنْتَ فِينَا حَمَيْتَ الوَرْدَ يَا سُلْطَانْ [1]

كما استعملوا إلى جانب المواليا أوزان شعبية أخرى مثل **القوما** و**الدوبيت** و**الزجل** وهذا الأخير الذي عرفه أبو القاسم سعد الله " هو الذي خرج عن القواعد والمبادئ وعبّر بالدارّجة وتوجه عادة إلى العامة" [2]، وكلها أنواع تابعة للموشحات الأندلسية.كما انتشرت عندهم الألفاظ العامية والكلام الغير معرب، فقد استعملوا الكلام العادي الصريح في الهجر، والتعابير البذيئة والغزل بالمذكر .[3]

ومن الخصائص العامة للشعر الجزائري في هذا العهد، ونظرا لاختلاط الشعراء والعلماء بعامة الناس ومعاناتهم لما عانون فقد جاء الأسلوب متميزا بخاصية السهولة في اللفظ ورقته والبساطة في المعاني والتراكيب وبعد في الأخيلة وهذا الأسلوب وجد خاصة في كتابات ابن حمادوش الجزائري، هذا

[1] – ابن عمار، الرحلة، ص 247 . كما ذكر البيتان أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي ج2 .

[2] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجائر الثقافي، ج 8، ص 191 .

[3] – ينظر: حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي – الأدب القديم –، ص 1029 .

ما أكده أبو القاسم سعد الله في دراسته لهذا الشاعر عندما ذكر أنه " كتب بأسلوب سهل وبسيط يكاد يقترب من أسلوبنا اليوم، وقلما التجأ إلى التصنع" [1] ثم إنه تميز بكثرة الحشو والاستطراد. كما أن قوة النفس واتساع العارضة والحبكة الشعرية وطواعية المعاني للألفاظ ومواتاة الصور التي ميزت كتابات ابن علي الذي وصفه سعد الله أنه لم يعلم شاعرا في القرن الثاني عشر في المشرق أو المغرب قد بلغ مبلغ ابن علي، كما ميزت الشاعرين الذيْن تألقا في الشعر والنثر معا وهما ابن عمار الجزائري وابن ميمون. ثم إن بعض الشعراء غلبت عليهم صفة التكلف في البديع والمبالغة والتأنق كابن المفتي في تقييداته، فظهرت في مختلف أشعارهم وكتاباتهم، وجاءت في أحاديثهم وخطبهم ورحلاتهم وإجازاتهم، فلونوها بمختلف ألوان البيان والبديع المعروفة .

[1] – أبو القاسم سعد الله، عبد الرزاق ابن حمادوش، مجلة مجمع اللغة العربية، الجزء الثاني، مج 50، ص 343 .

الفصل الثاني: الواقع الشعري الجزائري في العهد العثماني

أولا – أعلامه

ثانيا – واقعه بين المخطوطات والتحقيق والتأريخ

ثالثا– دراسة كتاب أشعار جزائرية – لابن عمار الجزائري– تحقيق: أبو القاسم سعد الله

أولا – أعلامه :

قال الإمام العلامة الشيخ أبو حامد محمد العربي بن يوسف بن أبي المحاسن في الحض على الاعتناء بعلم التراجم والتاريخ:

" وكم من عالم عرّف برجاله، وأوسع الخطو في مجاله، فإن لم نكن من تلك الحلبة؛ فقد شملتنا تلك الألبة، قلنا بذلك اكتفاء، وحسبنا إتباع واقتفاء.

ولم يكتفوا بما أدوا من الواجب، وأبدوا في ذلك دون حاجب، حتى أزروا بمن أقصر عن أدائه، أو قصر في إبدائه، ووسموا المغاربة بالإهمال، ودفنهم فضلائهم في قبري تراب وإخمال، فكم من فاضل نبيه؛ طوى ذكره عدم التنبيه؛ فصار اسمه مهجورا، كأن لم يكن شيئا مذكورا "[1].

لقد تعدد أعلام الجزائر في هذا العصر واختلفت كتاباتهم من خلال ميولاتهم ورغباتهم فنوعوا في الإنتاج الأدبي وبخاصة الشعري، وقد وجدنا مجموعة من أعلام شعراء الجزائر في مخطوط أو مدونة شعرية واحدة اختارها عالم جليل هو أحمد ابن عمار الذي عاش وعايش العصر العثماني، وقام بتحقيقه العالم الجليل والمؤرخ لتاريخ الجزائر أبو القاسم سعد الله، وقد خصصت فصل لابن عمار الجزائري ونكتفي في هذا الفصل بهذه الكوكبة المعتبرة من الشعراء الجزائريين الذين تألقوا وتفننوا في قرض الشعر في مختلف الأغراض ومن هؤلاء نذكر :

[1] – أبو حامد محمد الفهري، مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن، تح : محمد حمزة بن علي الكتاني، منشورات رابطة أبي المحاسن، د.ط، د.ت، ص69.

1- 1 ابن علي : ولد 1090 ت 1166

هو محمد بن محمد بن محمد المهدي بن رمضان بن يوسف العلج، "أبو عبد الله الشهير بابن علي، شاعر، أديب، من أهل مدينة الجزائر، بها نشأ وتعلم، ثم ولي إفتاء الحنفية فيها."[1] وعرفه ابن عمار فقال :" وهذا الرجل الصالح من عشاق الشمائل المحمدية، المشرقة العاطرة الندية، وله ديوان قصائد مولدية، تزدري بالأزهار الندية، ثم جاء مصليا خلفه علم الأعلام، اللعب بلسانه أطراف الكلام، سحبان البلاغة وقس البراعة، ومالك أزمة المعاني ومصرف اليراعة، فارس الأدب المفرد وحامي ذماره، حارس روضة الألف ومطلع شمسه وأقماره، شيخنا أبو عبد الله محمد ابن محمد الشهير بابن علي أمطر الله ثراه من الرحمة و الرضوان بكل وسمي وولي ." [2] ويبدو أن أجداده قد نزحوا إلى الجزائر مع العثمانيين الأوائل في القرن العاشر الهجري (16م).

- **نسبه :**

من خلال حديث أبو القاسم سعد الله أن الصفة الملحقة باسمه، "العلج" تدل على أن الشاعر من أصل غير عربي. [3] فهو من أسرة كرغلية من الأعلاج وهذه الصفات اشتهر بها أبناء وأحفاد العثمانيين في الجزائر.

فجده محمد المهدي قد تولى الإفتاء الحنفي سنة 1045 وأنه كان معاصرا لمفتي المالكية سعيد قدورة، كما نجده يتعاطى الشعر أيضا، وقد وجدنا مختارات شعرية لجده المذكور في ديوان ابن علي،

[1] – عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر – من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط2، 1400هـ- 1980م، ص241.

[2] – أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، د.ط، 1324هـ- 1906م، ج2، ص 86.

[3] – ينظر : أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ص 301.

وقال هذه الأشعار في مختلف المناسبات، منها أنه قال قصيدة مادحا فيها السادة العلوية، ومدح الشيخ علي بن عبد الواحد الأنصاري (ت1057) في قصيدة، هذه القصائد التي أظهرت لنا أن لجد ابن علي باعا قويا في الشعر.[1]

وأبوه محمد بن علي بن محمد المهدي القلعي، الشهير بابن علي، عالم بالفقه الحنفي، وشارك في عدة علوم، نشأ بالجزائر وتعلم، وله آثارا أهمها " مجمع الأنهر" في فروع الفقه الحنفي، وقد شرح فيه كتاب " ملتقى الأبحر" للعلامة إبراهيم محمد خان (ت 956هـ). [2] فقد انحدر ابن علي من أسرة اشتهرت بالشعر أبا عن جد، وما يهمنا في هذا المقام الحفيد محمد بن محمد المعروف بابن علي.

كانت أسرة ابن علي على صلة بالفتوى والوظائف الرسمية منذ عهد مبكر للحكم العثماني، وقد أشار ابن علي إلى ذلك في شعره، ونجد أن ابن علي قد تولى الفتوى وطال في عهده في ممارسة هذه الوظيفة، فقد تولى وظيفة الفتوى سنة 1150 خلفا للحسين بن محمد العنابي الذي توفي في نفس السنة، واستمر ممارستها إلى حوالي سنة 1169، وقد ذكر سعد الله دليلين على ذلك الأول أن ابن عمار الذي تحدث عنه بعد سنة 1166 (وهي السنة التي حج فيها ابن عمار) وسماه "شيخنا وأستاذنا شيخ الإسلام"[3]، و أما الدليل الثاني أن المفتي الجديد حسين بن مصطفى، قد تولى الفتوى سنة 1169 فمن خلال البحث في قائمة المفتين لم يكن هناك من يتوسط بين ابن علي وحسين بن مصطفى، ومن خلال تاريخ ولاية جد ابن علي سنة 1045 و سنة 1169 يمكننا يقول سعد الله أن نقدر تاريخ ميلاد ابن علي الذي كان حوالي 1090، هذا لعدم وجود مصادر تساعدنا على تحديد سنة الميلاد أو الوفاة، ثم ذكر سعد الله أمرين يساعدان على تحديد أوليات ابن علي، فقد كان من

[1] – ديوان أشعار جزائرية، ص22.

[2] – ينظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر – من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ص240.

[3] – ديوان أشعار جزائرية، ص 46.

الذين مدحوا محمد بكداش باشا و هنأه بفتح وهران وكانت هذه الحادثة في سنة 1119، ولو لم يكن خبيرا في صناعة الشعر لما قال هذه القصيدة الرائعة في هذه المناسبة التي اعتبرها سعد الله من أفضل القصائد التي قيلت في هذه الظروف التي كان يعيشها الشاعر الجزائري ويمكن أن ندرج بعض الأبيات منها :

وَإِنِّي وَإِنْ أَحْجَمْتُ أَوَّلَ مَرّةٍ عَلَى خَوْضِ هَذَا البَحْرِ وَ الغَيْرُ عَائِمٌ

فَمَا هِيَ إِلَّا هَيْبَةُ المُلْكِ قَلَّمَا عَلَى مِثْلِهَا في النَّاسِ يُقْدِمُ قَادِمُ

وَعَهْدِي قَوَافِي الشِّعْرِ عَنِّي أُذُودِهَا زَمَانًا وَفِكْرِي مَوْجُهُ مُتَلَاطِمُ

وَلَوْلَاكَ مَا كَانَ اِلْتِفَاتُ لِفِكْرَةٍ وَلَا سَامِ نَظَمَ الشِّعْرَ كَالدُّرِ سَائِمُ[1]

أما الحادثة الثانية وهي خصومته مع محمد بن نيكرو مفتي المالكية سنة 1150، هذه الخصومة التي كانت سببا في وفاة هذا الأخير سنة 1152.

اكتسب ابن علي من أسرته تقاليد الشعر والفتوى، حيث كان المفتي الحنفي صاحب مكانة هامة في الدولة حيث أنه كان يتدخل في الشؤون السياسية، وهذا المنصب لم يكن مجرد وظيفة دينية فقط بل يتعداه إلى التدخل في القضايا السياسية، فقد كان المفتي الحنفي يدخل على الباشا ويحضر جلسات الديوان وله الكلمة العليا في المجلس الشرعي الأعلى، وأما من ناحية الإفتاء فقد كان خطيب الجامع الجديد الحنفي ومدرّسه الكبير، وكان ابن علي يشعر بثقل هذه المسؤولية عليه خاصة عند قول الشعر الغزلي وإتباع خياله الفياض، فسمعته كانت قائمة على الفتوى والمنبر، فقد كان يقف خطيبا من

[1] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص302.

كل جمعة يعظ ويرشد أو يكوّن حلقة يلتف حوله الطلاب والعلماء، وهذه القيود منعته من الانغماس في قول الشعر والحب، فقد أوضح سعد الله أن ابن علي علا صيته وارتفع بسبب هذه الوظائف وليس بقول الشعر .[1]

- **ثقافته :**

أثارت ثقافة ابن علي دهشة كل من تقرب من شعر هؤلاء خاصة ابن علي وابن عمار هذا لان العهد العثماني عرف ضعفا في مجال الأدب والشعر، فقد جمع ابن علي بين أدب المغرب والأندلس وأدب المشرق فيظهر انه متطلع لمختلف الثقافات خاصة العربية المختلفة ، فقد تأثر بابن سهل والفتح بن خاقان وابن زمرك والبحتري وأبي تمام والمتنبي، ويعد " ابن علي في الذروة من شعراء الجزائر، فكان ينظم في المديح والمنشآت ووصف الطبيعة والرثاء، كما أكثر من شعر الغزل إكثارا يسبق فيه شعراء عصره."[2]وهذا ابن عمار يمدحه ويقارنه في أغراضه الشعرية بعدد من الشعراء الذين عرف كل واحد منهم بالإجادة، ولكن ابن علي يفوق هؤلاء على حد قول ابن عمار :

وَإِذَا تَكَلَّمَ فَوْقَ مِنْبَرٍ وَعِظَةٍ جَلَى لَنَا البَصِيرُ فِي أَزْمَانِهِ

فَإِذَا يُشَبِّبُ فَهُوَ عُرْوَةَ رِقَةٍ يَهْدِي رَقِيقَ النَّسْجِ مِنْ غِيلَانِهِ

وَإِذَا يَصُوغُ المَدْحَ فَهُوَ زَهِيرُهُ مَهْمَا اِنْبَرَى لِلْقَوْلِ فِي اِبْنُ سِنَانِهِ

وَإِذَا اِغْتَدَى يَصِفُ المَبَانِي وَ الذُرَى خَرَّ اِبْنُ حَمْدِيسَ عَلَى أَذْقَانِهِ

أَوْ جَالَ فِي وَصْفِ الرِّيَاضِ أَوْ الرُبَى أَعْرَى أَبَا إِسْحَاقَ مِنْ إِحْسَانِهِ

[1] – ينظر : أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص303 .

[2] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي– عصر الدول والإمارات–، ج10، ص181.

وَلَقَدْ تَرَكْتَ البُحْتُرِي مُقَيَّدًا بِسَلاَسِلَ قَدْ صَاغَ مِنْ عَقْيَانِهِ[1]

كما يذكر سعد الله أن ابن عمار قارنه بسقراط و هرمس في قول الحكمة، كما نلمس من خلال الأبيات السابقة أغراض الشعر المختلفة التي عالجها ابن علي وهي التشبيب، والوصف، والمدح، وغيرها. [2]

كما عرف ابن علي برواية الحديث النبوي، والحفظ الغزير لأشعار العرب وأمهات الكتب العربية وكتاب الله عز وجل، كما عرف بمهارته في التفسير وتأويل الآيات، إضافة إلى ذلك عرف بجودة الشعر والنثر، والفصاحة في الخطابة، وكان ابن علي، " يقوم الليل ويتهجد ويقرأ القرآن ويجمع المهابة إلى الدعابة، والبسط إلى الورع، والأدب إلى النسك." [3] وهذه الخصائل الفريدة قلما تجتمع في شخص واحد لكنها اجتمعت في شخص ابن علي. ثم أن ابن علي كان يجتمع إلى عدد من العلماء و الأدباء فيتبادل معهم العلم و يتبارون في الشعر، وقد ذكر أبو القاسم سعد الله انه كان يزور بيت ابن ميمون الذي عرف عنه أنه كان شاعرا و أديبا، وكانت له مجالس أنس وعلم و مطارحات مع أحمد ابن عمار، فقد وجدنا في كتاب أشعار جزائرية كيف خرجا للتنزه في الرياض وبساتين الجزائر وكيف تبادلا الشعر في وصف هذه البساتين ونلمس ذلك في قول ابن عمار: " وتنزهنا مرة ببعض محروسة بلدنا الجزائر، التي هي ريحانة القاطن وسلوانة الزائر، وقطفنا به زهرات الأنس أيّما قطف ." [4] فكانت هذه النزهة في حدود سنة 1163، وقد أوردا أشعارا مختلفة تحدثا فيها الشاعران عن هذه النزهة التي تشوق إليها ابن

[1] – ديوان أشعار جزائرية، ص ص 43 – 44. والقصيدة موجودة في رحلة ابن عمار، ص 45.

[2] – ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص 303.

[3] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص304.

[4] – أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، ص410.

علي كثيرا، فقد وصف شوقه في هذه القصيدة التي قام فيها وقعّد، فأبدع فيها بلاغةً، وكما قال فيه ابن عمار أتى فيها من غرائب الإحسان والإجادة وهي قوله دام عزه :

قَسَمًا بِرَيْحَانِ العَقِيقِ وَبَانَهُ لَقَدْ اِنْقَضَى غَزَلِي عَلَى غِزْلاَنِهِ

مِنْ كُلِّ أَحْوَرٍ بَابِلِيُّ الطَرْف فَاتِكَهُ بِأَرْبَابِ النُّهَـــى فَتَانِهِ[1]

وهذه القصيدة تنيف عن المائة بيت، كما غلب على هذه الأشعار غرض الوصف والمدح، هذه الأشعار التي أضيفت إلى التراث والموروث الثقافي العربي الجزائري .

كما أعجب ابن علي باللغة العربية إعجابا كبيرا، لاحظناه من خلال كتاباته الشعرية والنثرية، فقد شكا من بعضهم الذين لم يعرفوا مكانتها وقيمتها على العموم ولا مكانة الشعر فيها على الخصوص، وظهر هذا الرأي من خلال تعليقه على الأبيات التي نظّمها المفتي العثماني الحنفي، أسعد أفندي فقال: "وها أنا أذكرها تبركا، وليعلم عليها أن الممدوح (يقصد أسعد أفندي) كان ممن يحاول الصناعة الشعرية ويتحيز إلى الفئة الأدبية، فانظر هذه الهمة حيث تكلف هذا العجمي معرفة اللسان العربي، مقدما على ما أحجم عنه أكابر العلماء وهو نظم الشعر الذي هو أجمل ما التحفته الهمة، وعرفته هذه الأمة، فإن مطلق اللسان من عقال، ومنطق الإنسان بصواب المقال." [2] فابن علي هنا يدعو كل مثقف العناية باللغة العربية عامة وبالشعر على وجه الخصوص ويبين أن هذا العجمي(وهو يقصد أسعد أفندي) الذي تكلف لمعرفة اللسان العربي وهي اللغة العربية، وقد أقدم على نظم الشعر بالعربية الفصحى، وهو العمل الذي أحجم عليه أكابر العلماء العرب، فقد استعان به كحجة للدعوة

[1] – المصدر السابق، ج2، ص411. وفي رحلة ابن عمار، ص41.

[2] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص305.

على الاهتمام بالغة العربية والعناية بها وبالشعر، كما بيّن أبو القاسم سعد الله أن ابن علي هو من أمر بترجمة (غزوات عروج وخير الدين) إلى العربية ليتعرف عليها أبناء بلده فأغلبهم لا يتقنون اللغة التركية.

قام ابن علي بنظم مجموعة معتبرة من الأشعار ذات الأغراض المختلفة والمعروفة، فهذا ابن عمار يتحدث أن "أيدي الناس ممتلئة من شعره التليد والطريف"[1]، وهو الشخص الذي ناوله ابن علي ديوانه فقال ابن عمار: "وناولني ديوانا له بخطه، جاريا على مقتضى البيان، وشرطه، فكتبت منه ما نصه، ما أخرجته منه مخرج الغزل، وحام بلبلبه على روضة الحسن ونزل." [2] فاختار منه الأشعار التي تحمل غرض الغزل، ويتضح أن الديوان يحمل أغراض أخرى من الأشعار، ثم إن ابن علي جمع في ديوانه بين شعره وشعر غيره، ويبين سعد الله أن الأشعار التي جمعها ابن علي من شعر غيره هم من الشعراء الذين عاشوا في القرن السابق له وهو القرن الحادي عشر، ومن الذين جمع لهم القصائد، جده ووالده ومحمد القوجلي واحمد المنجلاتي، وابن راس العين ومحمد بن ميمون وغيرهم، كما نجد سبب جمعه لهذه الأشعار فقال:" دعاني لجمع هذا الديوان ما منبت به من أبناء الزمان، من شماتة أن ألمت مصيبة، وسهام من نكايتهم مصيبة، فجنحت إلى صرف تلك البلابل، بما يفوق عن احتساء البلابل.. وهو ما صيغ من ألسن بعض أهل العصر، وربما أضفت إلى ذلك ما سمحت به القريحة الجامدة، فجاء نزهة من نزه الأفكار، ومجتلى خرائد وأبكار."[3] فقد وصف تلك الأشعار بالبلابل التي صيغت من أهل ذلك العصر فاعتصره منها واختار ما وجده مناسبا ، وأضاف إليها ما سمحت له قريحته من إحساس ومشاعر أشعار من مختلف الأغراض.

[1] – ديوان أشعار جزائرية، ص99.

[2] – المصدر نفسه، ص 87.

[3] – المصدر نفسه، ص 103. من مقدمة ابن علي لديوانه.

فقد وجدنا مجموعة من هذه الأشعار في كل من رحلة ابن عمار وهي النبذة المسماة (نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب)، وديوان أشعار جزائرية الذي حققه أبو القاسم سعد الله، كما وجدناها في كتاب "تعريف الخلف برجال السلف" لأبو القاسم الحفناوي وغيرها من المصادر التي حاول أصحابها جمع ما وجدوه متناثرا من هنا وهناك، حيث قال هذه الأشعار في مناسبات مختلفة نوّع فيها بين القصيدة العربية المنظومة والموشحات بمختلف أنواعها، كما عالج مختلف الأغراض الشعرية المعروفة من غزل ومدح ووصف وحكمة وغيرها من الأغراض. فقد نوع ابن علي في الغزل الذي اشتهر به وأمثلته كثيرة في ديوان أشعار جزائرية، وهذا دلالة على أنه شاعر متمكن، فتحدث عنه ابن عمار فقال: "هذا الأمام هو خاتمة الشعراء العظام بهذا الصقع، ليس لغليل الأدب بعده نقع.. وشعره كثير وهو على كثرته يفوق الدر النظيم والزهر النثير"[1] وشعره يزداد جمالا وجودة عندما يصف العاشق في لحظات يأسه ، وشكواه من هجر الحبيب. هذا الشعر الذي إضافة إلى وضعه في قالب القصيدة التقليدية، فقد وجدناه كذلك في موشحات رائعة أظهرت براعة الشاعر خاصة في غرض الغزل من ذلك قوله :

وَمُهَفْهِفُ حُلْوَ الشَمَائِلِ قَادَنِي نَحْوَ الصَّبَابَةِ قَدَّهُ المَيَاسُ

وقال أيضا في وصف حالته النفسية:

وَلِي كَبِدٌ تَنَاهَى الوَجْدَ فِيهَا وَكَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ لَا تُرَامُ

زَهَى وَرْدُ الجَمَالَ لَهَا فَحَلَّتْ بِسَاحَتِهِ وَطَابَ لَهَا المَقَامُ[2]

وفي شعره عن أحواله الاجتماعية والدينية وجهاده مع نفسه يقول:

[1] – ابن عمار، الرحلة، ص39. وفي تعريف الخلف، ج2، ص 87.

[2] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص308.

يَلُومُونَنِي فِي العِشْقِ وَ الكَأْسِ وَالغِنَا وَقَالُوا سَيْفُهُ الرَأْيَ غَيْرَ مُصِيبِ

وَهَلْ لَذَّةُ الدُنْيَا سِوَى صَوْتِ مُطْرِبٍ وَنَشْوَةُ خَمْرٍ أَوْ عِنَاقِ حَبِيبٍ[1]

وله في الموشحات نماذج معتبرة فقد أثبت له هنا ما يرشف رحيقا، وينشق مسكا سحيقا، ويستروح نسيما، ويستلمح محيا وسيما، ويسترق عذبا رلالا، ويستنطق سحرا حلالا فمن ذلك قوله:

بِاللهِ طَـاوِي القِفَارْ ** عَرِّجْ بِذَاكَ المَزَارِ حَيْثُ الكِرَامُ**

عَـرِّجْ بِرُبْـعِ المَعَـالْ ** وَابْرُدْ بِذَاكَ الوِصَالِ ** حُرُّ الغَرَامُ

حَسْبَ المَشُوق الكَئِيبُ ** إِنْ شَمْلُهُ بِالحَبِيبِ ** لَهُ اِلْتِئَامُ[2]

وعندما تاب وعاد إلى الله داعيا له بالمغفرة عما اقترفه في حق نفسه بإتباع لذاتها قال :

إِلَهِي أَطَعْتُ النَّفْسَ وَالغَيَّ وَالصِبَا وَقَدْ حَجَبَنِي عَنْ رِضَاكَ ذُنُوبُ

فإِنْ كَانَ ذَنْبِي أَزْعَجَ القَلْبَ خَوْفَهُ فَحُسْنُ رَجَائِي فِيكَ كَيْفَ يَخِيبُ[3]

لقد أجاد ابن علي في أغراض أخرى كالوصف والمدح والشكوى والرثاء والإخوانيات، ومن أحسن قصائده في غرض الرثاء ما قاله في زوجته عند وفاتها:

رَأَيْتُ بِهَا عَصْرَ الشَّبَابِ مُعَاصِرِي وَخَيَلْتُ أَنِي كُنْتُ مِنْ سَاكِنِي عَدْنِ

فَمَا رَاعَنِي إِلَّا النَوَى صَاحَ صَيْحَةً فَزَعْزَعَ مِنْ عَرْشِي وَضَعْضَعَ مِنْ رُكْنِي

[1] – المصدر السابق، ج2، ص308. وفي رحلة ابن عمار، ص 73.

[2] – ابن عمار ، الرحلة، ص35 . وفي تعريف الخلف برجال السلف، ج2/ص 86.

[3] – ابن عمار، الرحلة، ص73.

وقَالَ لمَنْ كَانتْ حَيَاتِي وَراحَتِي وَرِيْحانتِي قَومِي إلى مَنزِلِ الدَفْنِ

فَحَالتْ يَدُ الأقْدارَ بَينِي وَبيْنهَا فَأصْبحتُ مَسْلُوبَ الحُجَا ذَاهِلُ الذِّهْنِ[1]

ثم، يتحدث ابن عمار عن كتاباته النثرية فقال :" ونثره على جودته قليل، وسيفه فيه غير قليل، وله ديوان أشعار، تغلو في عكاظ الأدب إذا رخصت الأسعار، وكان رحمه الله في نظمه متين الجد لطيف الهزل، محكم النسج رقيق الغزل." [2]فعرف بجودته في النثر وقد اعتبره ابن عمار أعماله النثرية قليلة بالنسبة لهذا العالم الفريد في عصره،ثم ذكر أن له ديوان شعر غالي وثمين حتى في سوق عكاظ إذا رخصت وقلت أسعار الشعر، وبيّن كذلك أنه ترجم له بصفة موسعة في كتابه "لواء النصر في فضلاء العصر" وهو مفقود.

كان لابن علي أعداء تحدث عنهم في بعض المواضع أو هم تحدثوا عن هذه العدائية، فهؤلاء الحساد الذين طعنوا في فضله ووصفوه بسفيه الرأي، وفي المقابل دافع عن نفسه وعن قضيته فهاجمهم أشد هجوم، فقام يفتخر بنفسه أنه كالنجم لن ينالوه بسوء، مبينا أنهم أناس لا يفقهون وأنهم مغترون موتورون في هذه الأبيات:

وَإذَا **نَسُوا فَضْلِي فَكمْ منْ فَاضِلِ قَبْلِي سَقَوهُ في كِيسَانِه**

نَصبُوا حَبائِلَ مَكْرِهِمْ وَتَعرضُوا بِسهَامِهِمْ لِلنَّجْم في كيوَانِه

مِنْ كُلِّ أَرْعَنِ أَهْوَجِ الأَخْلَاقِ قَدْ أَرْبَى عَلى فِرْعَونَ مَعَ هَامَانِهِ

أَوْ لمْ يرَ المغْتَرَّ أَنَ العِزَّ لاَ يَبْقَى مَلاَبِسُهُ عَلى فَتيَانِهِ[3]

[1] – المصدر السابق، ص 67.

[2] – أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، ص 87.

[3] – ابن عمار، الرحلة، ص 43.

كما وقعت خصومة بينه وبين ابن حمادوش، وسبب الخصومة على حد ذكر هذا الأخير هو غضب ابن علي من عدم قيام ابن حمادوش احترامل له.[1]

ومن المعجبين الذين تحدثوا عن ابن علي وشعره نذكر عبد الرحمن الجامعي الفاسي الذي ذكره في رحلته عندما جاء على سيرة الجزائر فسماه :" بالأديب الماهر الدال وجوده على صحة القول بوجود الجوهر الفرد في سائر الجواهر أديب العلماء، وعالم الأدباء، محي طريقة لسان الدين ابن الخطيب، الإمام الخطيب ابن الإمام الخطيب" [2] فقد أعطاه مكانة تفوق العلماء والأدباء في عصره هذا لبراعته وحكمته سواء في قرض الشعر أو في طريقته في الفتوى أو الوظائف المختلفة المسندة إليه، وقد أحيا طريقة لسان الدين ابن الخطيب الذي كان متأثرا به، ثم ذكر أنه إمام خطيب بفضل والده الإمام الخطيب.

كما نجد ابن عمار الذي أشاد بصديقه وأستاذه ابن علي في عدة قصائد تارة يمدحه وتارة يدافع وأخرى يباريه بالشعر تارة وبالنثر تارة أخرى، وهو يقول:" وهذا الإمام هو خاتمة الشعراء العظام بهذا الصقع، ليس لغليل الأدب بعده نقع، كثيرا ما كنت أرتاح إليه رحمه الله تعالى كما يرتاح إلي، ويا طال ما كان يفرغ من سجال آدابه علي، ومضت لي معه مجالس كقطع الرياض، تكسي النفس والطبع منها مطارف ارتياح وارتياض."[3] وفي المقابل نجد ابن علي يقول فيه :

مَا كُلُّ مَنْ صَاغَ القَرِيضَ يُجِيدُهُ مَعْنًى وَيَصْرِفُهُ عَلَى أَوْزَانِهِ

إِلاَّ ابْنُ عَمَارُ فَحَسْبُكَ مِنْ فَتَى زَانَ النَّشِيدَ وَعِدَّ فِي أَعْيَانِهِ

[1] – أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، ص235.

[2] – أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، ص412. وأيضا ينظر، في تاريخ الجزائر الثقافي لأبو القاسم سعد الله، ج2، ص308.

[3] – ابن عمار، الرحلة، ص39.

جَلَى بِحَلَبَتِهِ وَأَلْبَسَ خَلْعَةَ التَقْدِيمِ بِيَدٍ وَجَسَدٍ عَنْ أَقْرَانِهِ[1]

تحدث ابن علي عن ابن عمار بطريقة أنيقة أظهر فيها صاحبه أنه الأحسن في صوغ المعاني وتخير الألفاظ فتقدم بذلك عن أقرانه، فهو الأستاذ الذي يلاحظ أحسن الطلاب.فكان ابن علي يرتاح إلى ابن عمار، وهذا الأخير الذي بادله الحب والوفاء، فقد كان يزوره إذا مرض ويمازحه وينشده الشعر ويسليه.

ونذكر زيارته له عندما مرض بالكبد وعجز عن تذوق الطعام، فذكر ابن عمار الحادثة : "واشتكى مرة وجع كبده فتغير مزاجه، وصعب طبعه وعلاجه، ونفر عن الطعام طبعه، ولأن غرب ذوقه ونبعه، فأرسلت إليه بهدية من نفائس المأكول علاج يديها تطرفه بذلك وتتحفه، وهي تضنيه بهجرها وتنحفه، فدخلت عليه يوما أتعاهده وأعوده، وقد جف إلا من ماء الأدب والظرف عوده، وكان كثيرا ما يفاوضني في شأنها ويغازلني، ويطارحني أخبارها ويهازلني..ثم قال : لله درك فيما صنعت، ثم قال لي إني هززت فكري ليعرب عن القضية فأجبل وجمد، وخبا جمره الوقاد وخمد ..نب عني في الإعراب عن القضية"[2] وحين عجز ابن علي عن وصف المرأة التي يهواها والتي أرسلت له بطعام شهي، طلب من ابن عمار أن ينوب عنه فقال:

بِنَفْسِي رِيمَا رَاشَ لِي اللَّحْظَ شَفْرَهَا وَمَا غَيَّرَ أَحْشَائِي لَدَى الرِشْقَ مِنْ تَرَسِ

رَمَتْنِي بِسَهْمِ اللَّحْظَ مِنْ قَوْسِ حَاجِبِ فَوَاكَبِدِي مِنْ ذَلِكَ السَّهْمِ وَالقَوسِ

هِلاَلٌ وَلَكِنَّ الجَوَانِحَ أُفُقَهَا مَهَاةٍ وَلَكِنْ تَنْتَمِي لِمَهَى الأُنْسِ[3]

[1] – ابن عمار، الرحلة، ص39. وينظر: في تعريف الخلف برجال السلف، ج2/ص87.

[2] – ديوان أشعار جزائرية، ص64.

[3] – المصدر نفسه، ص 64.

ويبدو أن ثقة ابن علي في صديقه كبيرة، وإلا ما كان ليكلفه بالنيابة عنه في قول بعض الأبيات التي تجول في خاطره، ويظهر هنا أنهما متعلقان ببعضهما كثيرا فإحساسهما واحد و تفكيرهما واحد، فيجتمعان في الفرح والحزن.

وكل هذا مازال ابن علي في حاجة إلى عناية ودراسة دقيقة تنفرد به رغم غناها وتعدد جوانبها العائلية والاجتماعية والدينية، فإن حياته وكثيرا من أحداثها ما تزال مجهولة في حق هذه الشخصية التراثية التي أعطت الكثير في وقت قلت فيه الكتابات والاهتمام فيه بالعلم على العموم ، إضافة إلى أن شعره ما زال ضائعا متفرقا رغم أهميته الأدبية وحتى التاريخية.

1- 2 محمد بن ميمون :عاش في القرن الثاني عشر (18م):

هو أبو عبد الله محمد بن ميمون الزواوي الجزائري، فقيه صوفي، أديب ومؤرخ وسياسي، نشأ في مدينة الجزائر، المتوفي في الجزائر بعد سنة 1120هـ، وهو حفيد أحمد بن العباس بن عبد الله الزواوي الجزائري[1] اشتهر باقامة زاوية له بمدينة الجزائر باسمه، وصارت فيما بعد مدفنا لعدد من مشاهير العلماء[2] نذكر منهم سعيد قدورة وأحمد زروق بن عمار ومحمد بن قاسم بن إسماعيل المطاطي والذين تولوا وظيفة الإفتاء[3]، صاحب منظومة التوحيد المسماة "بالجزائرية" في نحو أربعمائة بيت، والتي شرحها الإمام محمد بن يوسف السنوسي.[4]

---

[1] – أحمد بن عبد الله الجزائري من العلماء الصلحاء ونظير للشيخ عبد الرحمن الثعالبي علما وعملا ولد سنة 800 وتوفي سنة 884هـ من أعماله صاحب المنظومة التي تسمى "بالجزائرية"، وقطعة شعرية كتبها في محمد ابن يوسف السنوسي عند شرحه المنظومة، وقصيدة شعرية رثى بها شيخه عبد الرحمن الثعالبي.

[2] – محمد ابن يوسف السنوسي، المنهج السديد في شرح كفاية المريد، تح: مصطفى مرزوقي، دار الهدى، الجزائر، د.ط، د.ت، ص11.

[3] – ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص93.

[4] – ينظر :مختار حبار، الخطاب الأدبي القديم في الجزائر– دراسة بيليوغرافيا، منشورات مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر– دار الأديب، وهران، د.ط، 2007، ص160.

يقول في بدايتها :

الحَمْدُ للهِ وَهُوَ الوَاحِدُ الأَزَلِي سُبْحَانَهُ جَلَّ عَنْ شَبَهٍ وَعَنْ مَثَلِ
فَلَيْسَ يحْصي الذِي أوْلاَهُ مِنْ نِعَمِ أَجَلُهَا نِعْمَةَ الإيمان بِالرُّسُلِ[1]

برع في عدة علوم، خاصة علوم اللغة العربية، النحو واللغة والأدب، كان له درس يحضره الطلبة تجري فيه المذكرات المختلفة في التفسير والحديث، والشعر وغيرها، كان قويا في علم التصريف ومحبا في التعليل.

عاش ابن ميمون في النصف الأول من القرن الثاني عشر (18م)، كان صاحب جاه كلمة في عصره، تولى عدة وظائف حكومية منها قاضي المواريث. وكان مقربا إلى السلطة ولاسيما في عهد الداي محمد بكداش باشا الذي ألف فيه ابن ميمون كتابه المعروف "التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية"[2]، والذي جعله في شكل مقامات بلغت ست عشرة مقامة تحدث فيها عن حياة الباشا وفتح وهران الأول على يده، حيث جمع ما نظم فيه من شعر منذ ولايته في كتابه المذكور.[3] وقد بدأ هذه المقامات بنبذة عن حياة محمد بكداش، فأشاد به وبأخلاقه [4] .

كان شاعرا، له عدة أشعار منها ما وجد في ديوان أشعار جزائرية، وله قصيدة جيدة في مدح أحد أبناء الحكام وتهنئته له على النصر الذي حققه على ثائر بالغرب الجزائري.[5] هذه القصيدة التي

[1] – أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج1، ص34.
[2] – حقق هذا الكتاب محمد بن عبد الكريم، ونشره بالشركة الوطنية للنشر والتوزيع في الجزائر سنة 1981.
[3] – ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي– عصر الدول والإمارات–، ج10، ص130.
[4] – ينظر : مختار حبار، الخطاب الأدبي القديم في الجزائر– دراسة بيليوغرافيا، ص161.
[5] – ديوان أشعار جزائرية، ص27.

كتبها في الحاج محمد خوجة ابن الداي عبدى باشا، حيث هنئه بانتصاره في الحملة العسكرية التي قام بها في الغرب الجزائري ضد بعض الثوار.*

وكتبت القصيدة كاملة بخط مغربي جزائري جيد، وبيّن الناسخ أن القصيدة سبقتها مقدمة نثرية مسجعة، هذه المقدمة تدل على براعة ابن ميمون في الوصف الأدبي، فقد اشتهر به في عهده مع مجموعة من علماء الجزائر في القرن الثامن عشر كابن عمار وابن سحنون. نظم ابن ميمون القصيدة سنة 1141هـ،1728م وهي الفترة التي عرفت فيها الجزائر بالقوة والوحدة، ففي هذا الوقت استرد الباي محمد بكداش مدينة وهران من الأسبان، كما شهدت العلاقات بين الجزائر ودول البحر الأبيض المتوسط كتونس والمغرب تطورات جديدة لعبت فيها الجزائر دورا رئيسيا، كما عرفت قلة في الثورات الداخلية.

وكان ابن ميمون الذي لم نعثر له على تاريخ ميلاده ولا تاريخ وفاته، معاصرا لهذه الأحداث، فقد عاصر حدث استعادة وهران والذي سجله في كتابه " التحفة المرضية"؛ كما عاصر سقوط وهران من جديد في يد الاسبان في عهد الداي عبدي باشا، ويذكر عبد الرزاق ابن حمادوش الذي كان معاصرا له أنه كان متوليا قضاء المواريث زمن الداي إبراهيم باشا، كما ذكر ابن حمادوش أنه درس معه مجموعة من الكتب الأدبية والتاريخية والدينية مثل مسائل ابن حجة في الأدب، والقلصادي في الحساب والفرائض، وصحيح البخاري .

كما اعتبره المؤرخون على رأس ممثلي المدرسة الأندلسية في الجزائر، بعد المقري، وهي المدرسة التي كان ممثلها الفتح بن خاقان وابن الخطيب وغيرهما، وشارك ابن ميمون في النسج على منوال هذه

* - القصيدة كاملة موجودة في كتاب أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر لأبو القاسم سعد الله.

المدرسة ابن عمار في "نحلة اللبيب" و"لواء النصر"، وابن سحنون في " عقود المحاسن" و"الثغر الجماني".[1]

فقد برز محمد ابن ميمون في هذه المدرسة أكثر من غيره ممن عاصروه، لأنها تعتني أكثرها بالسجع، والتفنن في المحسنات البديعية، والاعتناء بالألفاظ ذات الدلالات الموسيقية. أما أغراضها فتميزت بالوصف، ولا سيما وصف الرياض ومحاسن الطبيعة، وكذلك الاخوانيات والمدائح والغزل، وهذا ما ظهر في كتاباته النثرية والشعرية وهو يقول في بدايتها:

بُشْرَى كَمَا اِنْبَلَجَ الصَّبَاحُ البَادِي بِقُدُومِ مَوْلَانَا ضُحَى المِيلَادِ

فِي سَاعَةٍ بَرَكَاتُهَا فَاضَتْ عَلَى كُلِّ الوَرَى مِنْ حَاضِرٍ أَوْ بَادِي

بِالطَّالِعُ المَيْمُونُ فِي يَوْمٍ بَدَا فِي مِثْلِهِ وَجْهِ الرَّسُولِ الهَادِي

أَعْمَلْتَ رِحْلَتَكَ السَّعِيدَةَ قَاصِدًا فِي نَضْمِ شَمْلٍ فِي سَبِيلِ جِهَادِ[2]

كما ورد اسم ابن ميمون في رحلة ابن حمادوش الجزائري، وهو يسميه فيها "شيخنا"، وأخبرنا انه درس معه الأدب والتاريخ وغيرهما من العلوم، كما عدّه من العلماء الذين أطال الجلوس إليهم وأكثر من القراءة عليهم، وجعل ابن ميمون من بيته منتدى يجتمع فيه العلماء والأدباء[3]، فاجتمع مع ابن علي وابن حمادوش، كما اخبرنا ابن المفتي انه اشترك في المحاسدة التي جرت سنة 1150 وأدت إلى وفاة محمد بن علي بن نيكرو، مفتي المالكية، بعد سنتين. هذا وقد أهملت المصادر ترجمة حياة هذه

[1] –ينظر : أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، ص 215.

[2] – المصدر نفسه، ج1، ص217.

[3] – ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص235.

الشخصية ترجمة دقيقة تليق بشاعر وأديب برع وبرز أكثر من معاصريه، في أعماله ودورها الأدبي والتاريخي للتراث الجزائري العربي.

1- 3 محمد القوجلي :

عاش في القرن 11هـ (17م) : هو محمد بن علي القوجلي من أبرز شعراء الجزائر خلال القرن الحادي عشر (17م)، تميز في علمه بالفقه والشريعة، كما شغف في سن مبكر بالشعر، فاتجه به إلى المشاركة في الشؤون السياسية والتعبير عن أماني أمته خاصة أملها في تخليص بلاده من أيدي الإسبان ، ونجده هنأ احمد باشا بولايته ويشجعه على الجهاد ضد الإسبان وله فيه هذه الأبيات :

فَرِحَتْ جَزَائِرَنَا بِكُمْ وَتَأَنَّسَتْ بِمَقَامِكُمْ فِيهَا بِحَالِ حُبُورِ

فَلَتَلْتَفِتْ نَحْوَ الجِهَادِ بِقُوَةٍ وَالكُفْرِ فَانْقَطَعَ أَصْلَهُ بِذُكُورِ

فَانْهَضْ بِعَزْمِكَ نَحْوَهَا مُسْتَنْصِرًا بِاللهِ فِي جِدٍ وَفِي تَشْمِيرٍ

بِعَسَاكِرٍ مِثْلَ السُّيُولِ تَزَاحَمَتْ لِلسَّبْقِ تَحْتَ لِوَائِكَ المَنْصُورِ[1]

كما نجده يدعو الوالي الجديد الى تشجيع الحركة العلمية والأدبية التي كانت ناقصة عن لم نقل منعدمة وهو يقول في هذه الابيات:

العِلْمُ مِيرَاثُ النُبُوَةِ نَالَهُ قَوْمٌ لهُمْ حَظٌّ مِنَ التَنْوِيرِ

كَمْ في بِلاَدِكَ مِنْ نَجِيبٍ حَافِظٍ ومشاركٍ في النَظْمِ وَالمَنْثُورِ

وَمُحَقِّقٍ وَمُدَقِّقٍ وَمُنَاظِرٍ مِنْ كُلِ دَرّاكِ الحِجَى تحْرِير

[1] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي– عصر الدول والإمارات–، ج10، ص146.

لَكنَّهُمْ فَقَدُوا الإعَانَةَ وَاغْتَدُوا مَا إنْ يرَاعِيهِم ذُوو التَأْمِيرِ

ضَاعُوا وَجَاعُوا لاَ مَحَالَة وَابْتَلُوا في ذَا الزَمَانِ الصَّعْب بِالتَّقْتِيرِ[1]

وقد اختار له ابن علي بعض القطع والقصائد في ديوان أشعار جزائرية، قرأ على الشيخ علي بن عبد الواحد الأنصاري المغربي نزيل الجزائر، وكان معاصرا لعدد من الأحداث الهامة التي مرت بها الجزائر خلال النصف الأول من ذلك القرن، من هذه الأحداث ثورة الذواودة، وعدم استقرار السلطة المركزية. كان فخورا بنفسه كثيرا، حيث أنه خاصم المفتي سعيد قدورة، هذا الأخير الذي علا صيته في هذا العهد خاصة في المجال الديني . ونجد القوجلي الذي انتقد ضعف العارضة الأدبية عند معاصريه وانتقد لكنتهم وتخلفهم في مجال البيان والفصاحة، هذا ما يتضح من خلال هذه الأبيات :

أَهْلُ الفَصَاحَة غِبْتُمْ لاَ فَصِيحَ يُرَى يُجيدُ نَظْمَ كَلاَمٍ يُذْهِلُ الفِكْرَا

بَكَتْ لَهُمْ وَلِنَظْمِ الشِّعْرِ بَاكِيَةً وَحَقٌ أَنْ تُنْدَبَ الأَطْلاَلُ وَ الأَثَرَا

تَكَلَّفَتْ حَشْوَ الأَلْفَاظِ مُذَبْذَبَةٍ قَدْ عَافَهَا الطَبْعُ مَهْمَا ذُكِرَتْ نَفَرَا[2]

وتذكر بعض الكتب التاريخية "أن ابن علي روى في ديوانه أن جده حكى له انه كان ذات يوم مع الشيخ القوجلي فمر بهما سعيد قدورة فانحرف عنه القوجلي وسلم على جده"[3] وحين انصرف عنه القوجلي أنشد هذين البيتين:

إِذَا لاَقَيْتَ ذَا كِبْرٍ فَلاَ تَعْبَأْ بِمَلْقَاه

[1] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي– عصر الدول والإمارات، ج10، ص147.

[2] – ديوان أشعار جزائرية، ص129.

[3] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص301.

وَقَابِلْهُ بِإِعْرَاضٍ وَإِيـــَاكَ وَإِيَاه[1]

شارك محمد القوجلي في الحياة السياسية آنذاك في الجزائر، فاشتهر بوظيفة القضاء، وذهب إلى تونس في مهمة سرية سنة 1065، كما قاد وفدا في نفس السنة إلى اسطنبول حيث طلب من السلطان والمفتي هناك التدخل لترجيح كفة يوسف باشا في الجزائر على خصومه، وقد اعتبر أبو القاسم سعد الله أنها مهمة خطيرة تتطلب من صاحبه الحذر الكبير، كما اشتغل بتدريس الفقه والحديث . وفي عهده انتشر مرض الطاعون في الجزائر توفي فيه شيخه علي الأنصاري، وهرب عيسى الثعالبي ويحي الشاوي وغيرهما من العلماء، ونحن لا نعرف ظروف وفاة محمد القوجلي إلا أن المؤرخون يذكرون انه توفي سنة 1080هـ- 1670م.

هناك آثار أدبية تركها محمد القوجلي منها نظم سماه" عقد الجمان اللامع المنتقى من قعر بحر الجامع" وهو منظومة جمع فيها صحيح البخاري، وعدد الأحاديث المختلفة مع "بيان المكثر منهم والمقل في السند على ما أورده ابن حجر المصري وزاد عليه تراجم الرواة" [2]، كما له شعر في أغراض مختلفة، منها المدح والرثاء والغزل والوصف. وتعتبر قصيدته التي قدم فيها الوفد ومهمته إلى مفتي اسطانبول من أجود شعره الذي موجود في ديوان أشعار جزائرية، وله أشعار أخرى في كتاب " جليس الزائر" لمحمد قدورة.[3]

سجل ابن علي قصيدة له يمدح فيها الشيخ أبا الحسن علي بن عبد الواحد الأنصاري وهو يقول:

صَفَا الذَهَبُ الإِبْرِيزُ إِذْ صِيغَ بِالسَّبْكِ أَجَادَ لَنَا تَخْلِيصَهُ العَالِمُ السَّبْكِي

[1] – ديوان أشعار جزائرية، ص109.

[2] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي- عصر الدول والإمارات-، ج10، ص147.

[3] – ينظر: ديوان أشعار جزائرية، ص28.

وأَتْقَنَ فِي جَمْعِ الجَوَامِعِ صَوْغَهُ فَجَاءَتْ أُصُولُ الدِّينِ أَغْلَى مِنَ المِسْكِ

بَكَى أَسَفًا مَنْ فَاتَهُ نَيْلَ عِلْمِهِ وَمَنْ فَاتَهُ نَيْلَ العُلَى كَيْفَ لاَ يَبْكِي[1]

وقد علق ابن علي على القصيدة فقال:" والغالب على هذه القصيدة عدم ارتباط أبياتها وهكذا أنهاها إلى بعض الأدباء بخطه، ولعله ثقل عليه استيعاب تقييدها فاقتصر على ما رايته." [2] هذا التعليق يبين فيه ابن علي أنه لاحظ تفكك في أبيات القصيدة حين اقتصر فيها القوجلي على بعض الأبيات حين نقلها بخطه إلى بعض الأدباء، كما له عدة قصائد في ديوان أشعار جزائرية في مختلف الأغراض كالوصف والمدح والغزل وغيرها من الأغراض، وتحدث عن الربيع وتحدث عن الزلزال الذي حدث في البلاد فقال فيه:

إِهْنَأْ أَبَا عَبْدُ الإِلَهِ بِخُطّةٍ جَاءَتْكَ وَهِيَ لَدَى الزَّمَانِ جَمَالُ

وَالأَرْضُ قَدْ فَرِحَتْ بِمَا خَوَلْتُمْ* مَرِحَتْ بَسَائِطُهَا وَمَالَ جِبَالُ

وَتَحَرَكَتْ أَرْجَاؤُهَا طَرَبًا بِكُمْ مَا مَسَّهَا رَجْفٌ وَلَا زِلْزَالُ

بَلْ نَمَا مَاسَتْ** لِذَلِكَ نَخْوَةٌ حَتَّى لَقَدْ رَقَصَتْ بِنَا الأَطْلَالُ[3]

[1] – ديوان أشعار جزائرية، ص111.

[2] – المصدر نفسه، ص112.

* - خولتم : أعطيتم . ويريد بسائطها: المبسط من الأرض

** - ماست : اختالت .

[3] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي- عصر الدول والإمارات-، ج10، ص147.

كما تحدث عن الغناء وغيرها من المواضيع المختلفة التي عالج من خلالها أشعاره، ومن هنا يتضح أن الشاعر إضافة إلى قدرته في وظيفة القضاء ، كان يبدع في معالجة القضايا المختلفة التي شغلت بلاده في عهده فقد حضر شعره في القضايا السياسية والاجتماعية والدينية وغيرها .

1 – 4 محمد ابن راس العين :

عاش في القرن 11هـ (17م): من أعلام الفقه والأدب، كما كان من شعراء الموشحات البارزين بل ومن شعراء الهزل والمجون بالجزائر في القرن الحادي عشر (17م)، كان حيا سنة 1058هـ[1]، درس عن شيوخ جزائريين منهم أبا القاسم المطاطي وسعيد قدورة ومحمد المهدي جد الشاعر ابن علي، أما من النزلاء المغاربة بالجزائر درس على الشيخ علي ابن عبد الواحد الأنصاري، تولى عدة مناصب رسمية بالجزائر منها نائب سعيد قدورة في الخطابة بالجامع الكبير كما تولى القضاء، وهو من أصل أندلسي مالكي المذهب لم يعرف تاريخ ميلاده ولا تاريخ وفاته[2]. لم يؤرخ له في كتب التاريخ إلا بعض الإشارات في أقوال مختلفة، والأخبار التي جاءت حول هذا الفقيه قليلة لا تعطي صورة كاملة حول دوره الثقافي في الجزائر من بين معاصريه من أمثال ابن علي واحمد المنجلاتي ومحمد بن ميمون واحمد ابن عمار وغيرهم، ثم وذكره احمد المقري في رحلته عند نزوله بمدينة الجزائر سنة 1027هـ والتقى به مع جماعة من أعيانها فقال:" ولما حللت محروسة الجزائر، خرجنا يوم الخميس 25ذي الحجة سنة 1027هـ صحبة جماعة من الأعيان، منهم مفتي الحنفية الخطيب المولى محمود بن حسين بن قرمان الشهير، وكان ذلك برأس تافورة، فقال لنا الأديب ابن راس العين، يصلح هنا نظم" فارتجل المقري بيتا، وابن راس العين بيتين"[3]

[1] – ينظر : مختار حبار، الخطاب الأدبي القديم في الجزائر – دراسة بيليوغرافيا، ص 52.

[2] – ينظر : ديوان أشعار جزائرية، ص 20.

[3] – مختار حبار، الخطاب الأدبي القديم في الجزائر – دراسة بيليوغرافيا، ص 52.

ومن النماذج الشعرية التي ساقها ابن علي في ديوانه، وقد كان ابن راس العين خفيف في شعره حتى في مدحه لأحد من شيوخه فيستغرق في كل موشحه في الغزل والتشبيب ويبقي للمدح فقط بيت أو بيتين، كما وجدنا له قطعة في التغني بالدخان (الذي سماه تباغة) ، حيث كتبه سنة 1027هـ، في وقت أفتى فيه العلماء بتحريمه من أمثال الفكون، وهذا يدل يقول أبو القاسم سعد الله على نوع من الاستهتار حيث كان عالما وخطيبا بالجامع الكبير . كما كانت لابن راس العين مراسلات مع صديقه الشاعر محمد سعيد الشباح، ومن خلال أخباره كان شخصية مرموقة في وقته إذا لقب بعدة ألقاب منها الرئيس والكاتب البليغ وغيرها من الألقاب.ونذكر له هذا التخميس البديع:

رِدَاءُ الوَفَا قِدْمًا لَبِسْتُ فَزَانَنِي وَمَا دُمْتُ خَلاَ بالذِي كَانَ دَانَني

وَلِي صَاحِبٌ قَدْ كُنْتُ هُوَ وكَانَنِي فَلَمَا جَفَانِي مَنْ أُحبُ وَخَانَني

حَفظْتُ لَهُ الوِّدَ الذِي كَانَ ضَيّعَا[1]

كما تذكر كتب التاريخ أن لابن راس العين أمداح كثيرة في النبي صلى الله عليه وسلم، وديوان شعر، ومقامات، وامتازت رسائله الديوانية التي كان يبعثها بأسلوب بليغ رائع ترقى إلى كتابات النثر الفني الأدبي.[2]

1– 5 محمد بن الشاهد الجزائري :

شاعر من فقهاء المذهب المالكي، ولد ونشا بمدينة الجزائر، من أصل أندلسي، تولى الإفتاء على مذهب الإمام مالك سنة 1192هـ. كان ينظم الموشحات ويلحنها ولاسيما في ذكرى المولد النبوي

[1] – ديوان أشعار جزائرية، ص110.

[2] – ينظر: مختار حبار، الخطاب الأدبي القديم في الجزائر – دراسة بيليوغرافيا، ص 53.

الشريف.[1] عاش ما بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، ، حيث عاصر مجموعة من أعلام الجزائر الأفاضل منهم احمد ابن سحنون الراشدي صاحب كتاب" الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"، وأحمد ابن عمار الجزائري، هذا الأخير الذي لم يذكره في مقدمته المشهورة في" نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب"، وربما يكون ذكره في كتابه " لواء النصر" والذي مازال مفقودا. وعاصر أيضا محمد ابن ميمون صاحب "التحفة المرضية"، والحسين الورثلاني صاحب الرحلة المشهورة، ومحمد ابن حمادوش صاحب الرحلة التي حققها أبو القاسم سعد الله، ومع هذه التآليف إلا أننا لم نعثر له عن ترجمة وافية له.[2]

وقد أثنى على علمه وأدبه – بخبر قليل لكنه كثير بالنسبة لقلة المعلومات الوافية عن هذا العالم الجليل– محمد أبو راس الناصري في كتابه " فتح الإله" والذي أخبر فيه عن العلماء الذين التقى بهم في الجزائر فقال :" ولقيت بها، أيضا العلامة الفهامة الدراكة الأديب، الذي في كل علم له أوفر نصيب، ورعى فيه خصيب، وأخذه بالفرض والتعصيب، زائد الفوائد، عذب الموارد، حجة الغائب والشاهد، السيد محمد ابن الشاهد، عالم الجزائر، وعاملها، وقطب رحاها، وشمس ضحاها، فقيه علامة، حافظ بارع، نظار، مفت، مدرس، محقق، صدر، قدوة، أسوة، أصيل، جليل، نبيل، نزيه، فقيه، خاشع، خاش، سني، سُنيّ، حضرت له يدرس الموطأ، وقد كشف عنها كل غطاء، ووطأ به كل لفظ أو معنى أبي، واستوعب فيه كل قبس ابن عربي، وقد جرينا في الفنون، والحديث شجون.."[3] برع في مختلف العلوم منها الفقه و الحديث و فن القريض وقوافيه، وهو في طليعته إلى جانب ابن عمار وابن علي وابن

[1] – عادل النويهض، معجم أعلام الجزائر، ص186.

[2] – ينظر : مختار حبار، الخطاب الأدبي القديم في الجزائر – دراسة بيليوغرافيا، ص 126.

[3] – محمد أبو راس الناصري، فتح الإله ومنّته في التحدث بفضل ربي ونعمته – حياة أبي راس الذاتية والعلمية–، تح: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، د.ت، ص 96. وكذلك ينظر مختار حبار، الخطاب الأدبي القديم في الجزائر، ص 127.

سحنون، أكثر من نظم القصيدة التقليدية، والموشحات الدينية، فكان يتولى بنفسه تلحينها وإعدادها لإنشادها في مواسم الاحتفال بالمولد النبوي.

كما تتلمذ على يد سيدي احمد الغزال[1] ذلك لما ذكره الحلفاوي بقوله :" فأجابه تلميذه ابن الشاهد رحمه الله بمثلها .." [2] وهو يعني أن أحمد الغزال مدح شيخه ابن عمار وأجابه التلميذ ابن الشاهد حيث نظم قصيدته ارتجالا على نفس البحر والروي لقصيدة شيخه احمد الغزال.

ومن شعره قوله رحمه الله :

عَسَى أَنْ يُلِمَّ الشَّمْلُ بَعْدَ تَبَدُّدِ عَشِيَةَ هَذَا اليَوْمَ أَوْ ضَحْوَةَ الغَدِ

وَيَطْوِي بِسَاطَ الهَجْرِ مِنْ بَعْدِ نَشْرِهِ وَيَلْبِسُ مَطْوِيُ الوُصُولَ المُجَدِّدِ

وَتَأْتِي مِنَ الأَحْبَابِ صَوْلَةَ مُنْصِفٍ فَتَخْمُدُ لِلْوَاشِينَ فِتْنَةَ مُعْتَدِ

وَتَقْرَأُ آيَاتٍ مِنَ العُتْبِ بَيْنَنَا فَنَنْسَخُ مِنْهَا الوِدَّ كُلَّ تَوَعُدِ[3]

كما لقب ابن الشاهد بأديب العصر، وريحانة المصر، فنجده مدح الإمام محمد البناني الفاسي بقصيدة بديعة فقال في بدايتها:

رَفَعْتُ بِدَمْعِ العَيْنَ حُكْمَ عَوَاذِلِي وَمُطْلَقَهُ فِي الخَدِّ غَيَّرَهُ الدَمُ

دَمٌ طَاهِرٌ سُودَ العُيُونَ سَفَكْنَهُ ازَالَتِهِ عَنْ مَيِّتِ الحُبِّ تُحَرَّمُ

[1] – أحمد الغزال الجزائري من علماء الجزائر النخبة العليا في آداب الدين والدنيا

[2] – أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، ص317.

[3] – المصدر نفسه، ج2، ص317.

نَقَضْتُ عُهُودَ الصَّبْرِ عَنْكُمْ وَهَا أَنَا غَسَلْتُ سَوَادَ العَيْنِ نُوحًا عَلَيْكُمُ

بِأَعْتَابِكُمْ مَسْحَ الخُدُودِ يَلِذُّ لِي وَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَاءَ اللِّقَا يَتَيَمَّمُ[1]

وله عدة قصائد منها القصيدة البائية التي توسل فيها ابن الشاهد إلى الله باسمائه الحسنى، أن يعفو عنه ويغفر له، وأخرى ميمية توسل فيها إلى الشيخ عبد الرحمن الثعالبي.[2]

وقد ذكر ابن سحنون ثلاثة تقاريظ من علماء وأدباء عصره والتي اعتبرت من بين النماذج الأدبية الجيدة، من هذه النماذج تقريظ محمد بن الشاهد، الذي كان من الأدباء والشعراء البارزين في عصره، كان تقريظه عبارة عن رسالة موجهة إلى ابن سحنون بعد أن اطلع على تأليفه" الأزهار الشقيقة"، حيث أشاد ابن الشاهد بهذا العمل وبنبوغ صاحبه، وقد سماه في التقريظ " بالشاب الظريف، الناضر روض أدبه الوريف، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الشريف" [3] وكان هذا التقريظ سنة1202 في صفحتين وبأسلوب أدبي جيد.

ومن خلال المصادر لم نعثر على تاريخ ميلاده لكن مختار حبار ذكر تاريخ وفاته حوالي سنة 1247هـ[4].ويبقى هذا العالم الجليل في حاجة ماسة إلى كتابة سيرة علمية وأدبية تليق به وبمقامه.

1 – 6 أحمد المنجلاتي :

لقد أنجبت عائلة المنجلاتي عدد معتبرا من العلماء الذين اهتموا بالأدب وعلومه في الجزائر على حسب ما وجدناه في المصادر، نذكر من بينهم عمر بن محمد بن عبد الرحمن المنجلاتي أبو حفص،

[1] – أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، ص318.

[2] – ينظر : مختار حبار، الخطاب الأدبي القديم في الجزائر – دراسة بيليوغرافيا، ص 128.

[3] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص184.

[4] – مختار حبار، الشعر الصوفي القديم في الجزائر- إيقاعه الداخلي وجماليته-، ص11.

وهو فقيه، كبير أصولي، منطقي، شارك في الكثير من العلوم، من أهل بجاية، حيث انتقل منها بعد سقوطها إلى مدينة الجزائر، فكان من كبار علمائها، رحل إلى المغرب وأخذ عنه، تحدث عنه ابن زاكور الفاسي (ت 1120هـ/1708م) في رحلته المسماة بـ"نشر أزاهير البستان"[1]، حيث أثنى عليه وقال: "أجازني بالجزائر وتطوان"[2]، فأشاد به في قصيدة ومدحه فيها بعلمه وورعه وسبقها بهذه المقدمة: "العَلَمُ الأشهر، والحَبْرُ الأكبر، حائز الشرَفَيْنِ: العرضيِّ والذاتيِّ أبو حفص عمر بن عبد الرحمن المنجلاتي، هو بقية السلف، وبركة الخلف، الذي حمى الله به ذلك القطر من التلف " [3]، توفي بمدينة الجزائر سنة 1104هـ[4].

وعلي المنجلاتي الذي تولى الفتوى وكان موجودا في آخر العهد العثماني، وأما من يهمنا من هؤلاء هو احمد المنجلاتي، لوجود قصائد له في المخطوط، من أعلام القرن الحادي عشر، وكان قريبا من الفترة التي عاش فيها كل من ابن علي، والشيخ احمد ابن عمار، هذا الأخير الذي ترجم له في رحلته لم يذكر لا تاريخ ولادته ولا تاريخ وفاته، فتحدث عنه بطرقته الخاصة حيث أشاد به وبشعره خاصة ما تعلق بطريقته في المديح النبوي وشعر الموشحات، وقد اتبعه فيها هو وابن علي وابن الشاهد وغيرهم[5]، حيث سطع نجمه واعتلى خاصة في مجال القريض، فاعتبره ابن عمار من الشعراء القلائل في الجزائر، لبراعته في المديح النبوي الذي ينظر فيه الشاعر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم نظرة روحانية صوفية وذكر أن له ديوانا في هذا الفن العريق، فيقدمه وهو يقول :" والشعر القريض عندنا في هذا الغرض، ما

[1] – ديوان أشعار جزائرية، ص30.

[2] – عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر – من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ص318.

[3] – ابن زاكور، نشر أزاهير البستان– فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص42.

[4] – عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر – من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ص318.

[5] – ينظر :مختار حبار، الخطاب الأدبي القديم في الجزائر– دراسة ببليوغرافيا، ص103.

أنزره وأقله، وفي هذا العصر والذي قبله ومجلى هذه الحلبة، ومقدم الجماعة، ونائل الجعبة، وإمام الصناعة، عاشق الجناب المحمدي، ومادحه بلا معارض، ومثلث طريقتي البوصيري وابن الفارض، الشيخ أبو العباس سيدي أحمد المنجلاتي"[1]، ومما أشاد له انه إمام الصناعة خاصة في شعره النبوي، عاشق الجناب المحمدي ومادحه بلا معارض.

كما ذكر ابن عمار في رحلته أن لأحمد المنجلاتي ديوان شعر خاص بالمديح النبوي، أظهر فيه حبه ومشاعره، وشدة تعلقه للشمائل المحمدية الروحانية الصادقة، ومما جاء في قوله:" وهذا الرجل الصالح من عشاق الشمائل المحمدية المشرقة العاطرة الندية، وله ديوان قصائد مولدية، تزدري بالأزهار الندية"[2]، لكن هذا الديوان، مازال في طي الكتمان مفقود كغيره من الأعمال الخالدة، لم نجد منه إلا بعض القصائد التي نقلها ابن عمار في رحلته.

ثم أورد له موشح اتسمت بمعاني الحب اللهي، ووحدة وجوده، والتي كانت بعنوان " نلت المرام" وهو يقول في بدايتها:

بِاللهِ حَادِي القِطَارِ قِفْ لِي بِتِلْكَ الدِيَارِ وَاقِرْ السَّلاَمْ

سَلِمْ عَلىَ عَرَبَ نَجْد وَاذْكُرْ صَبَابَةَ وَجْدِي كَيْفَ يُلاَمُ

بَلِغْ سَلاَمًا كَثِيرًا عَشِيَةً وَبُكُـــورًا مِنْ مُسْتَهَام[3]

[1] – ابن عمار، الرحلة، ص27.

[2] – المصدر نفسه، ص35.

[3] – المصدر نفسه، ص28.

وقد وجدنا في ديوان أشعار جزائرية بيتين له في المديح النبوي والتي يقول فيها :

يَا حُسْنَ بَدْرٍ لَهُ كَلاَمُ يُجِلُهُ الرُوحُ وَالكَلِيمُ

عَلىَ هَوَاهُ انْطَوتْ عِظَامُ وَجَاهَةً فِي الوَرَى عَظِيمُ[1]

هذه القصيدة للمنجلاتي في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد أظهر مدى أهمية وجمال كلام الرسول الكريم ووقعه في نفوس مستمعيه ومتبعيه، هذا الجليل الذي اتبعه الوجهاء والعظام، ويبدو أنها طويلة لكن وكما ذكرنا سلفا أن المخطوط مبتور الأول والآخر، وهذين البيتين* هما اللذان ختم بهما أبو القاسم سعد الله المخطوط.

وتضمن المخطوط قصيدة أخرى للمنجلاتي وهي قصيدة سياسية، والتي حاول فيها الدفاع عن صديقه المفتي سعيد قدورة والتي قال في بدايتها:

سِرْبُ القِطَا سرْ بِالسَّلاَمِ وَأَسْعَدُ وَانْهَضْ إِلَى قَمَرِ السَعَادَةِ أَسْعَدِ

مُفْتِي البَسِيطَةَ شَمْسُهَا وَهِلاَلَها وَإِمَامُهَا وَهمَامُهَا وَالمُهْتَدِي

مَعْنَى الزَمَانَ وَنُكْتَةُ العُلَمَا الذِي مَا إِنْ تَشَاهَدَ مِثْلَهُ في مَشْهَدِ[2]

فالشاعر أراد توضيح مكانة صديقه سعيد قدورة** إلى مفتي اسطانبول بأنه بريء من التهمة التي وجهها له حكام الجزائر .

---

[1] – ديوان أشعار جزائرية، ص137.

* - يذكر سعد الله أن بعد هذين البيتين بياض، وبهما انتهى المخطوط، والظاهر أن هذه القصيدة غير منتهية، لأنه يبدو أن ابن عمار أو الناسخ قد توقف في ديوان ابن علي عند بيتي المنجلاتي في المقام النبوي .

[2] – ديوان أشعار جزائرية، ص134.

** - سعيد قدورة: هو سعيد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الشهير بقدورة، تولى وظيفة الإفتاء سنة 1028 واستمر فيه إلى سنة وفاته عام 1066، وقد لعبت أسرته دورا بارزا في شؤون الجزائر السياسية والعلمية والدينية.

وقد عاد سعيد قدورة إلى الجزائر وتوفي بها سنة 1066، وبهذا فان المانجلاتي قال هذه القصيدة قبل هذا التاريخ.[1]

هناك قصيدة أخرى تحدد لنا تاريخ حياته، وهي القصيدة التي قالها في شيخه محمد بن علي المجاجي بعد مقتله سنة 1002، ومنها يتبين انه قرأ على الشيخ المجاجي بزاويته بتنس أو مجاجة أواخر القرن العاشر أو بداية القرن الحادي عشر، فقد تأثر لمقتل أستاذه ظلما وعدوانا على يد احد حساده في السنة المذكورة ومطلعها:

مُصَابٌ جَسِيمٌ كَادَ يَصْمِى مُقَاتِلِي وَرِزْءٌ عَظِيمٌ قَاطِعٌ لِلْمَفَاصِلِ[2]

وقد نسبت هذه القصيدة كذلك إلى الفقيه سعيد قدورة فكان بدوره تلميذا للمجاجي، وقد رجح أبو القاسم سعد الله نسبة هذه المرثية لأحمد المنجلاتي في مقدمة كتاب أشعار جزائرية.

كما وجدنا بيتا له يبن فيه أنه قرأ وتتلمذ على يد شيخه المجاجي فأشاد به وبعلمه فقال:

لِمَنْزِلِهِ كَانَتْ تُشَدُّ رِحَالُنَا فَمِنْ رَاكِبٍ يَسْعَى إِلَيْهِ وَرَاجِلُ[3]

فهذه الشخصية قلّ ذكرها في معاجم الأعلام، والدراسات والتراجم، إلا بعض الإشارات القليلة، أو ما جاء به ابن عمار في رحلته، رغم أهميتها الأدبية والعلمية والسياسية، تحتاج إلى سيرة تظهر معالم هذه الشخصية وتبين آثارها الغامضة.

[1] – ينظر: ديوان أشعار جزائرية، ص31.

[2] – ديوان اشعار جزائرية، ص31.

[3] – المصدر نفسه، ص 32.

1 – 7 عبد الرزاق ابن حمادوش :

عبد الرزاق بن محمد ابن احمادوش من علماء الجزائر ولد في رجب سنة 1107هـ.[1] (1695م) في مدينة الجزائر، كانت أسرته من طبقة الحرفيين حيث كانت تمارس التجارة دون اهتمامها بالسياسة إلا قليلا، ومن خلال ما ذكره في رحلته عن والده وعمه اللذان اتصفا بحرفة الدباغة، تزوج مرتين الأولى ابنة عمه، وأما الثاني تزوج ابنة أمين الصفارين(النحاسين)، كان له ولدين من زوجته الثانية توفي أحدهما وهو صغير، عاش ابن حمادوش فقيرا كما انشغل كثيرا بالعلم والكتب، وقد أشار أبو القاسم سعد الله على أنه جاوز سن التسعين عند وفاته.[2]

كان ابن حمادش من معاصري مجموعة من الأحداث الهامة والتطورات المختلفة من مختلف المجالات السياسية والاجتماعية والثقافية، ومن خلال ما دونه في رحلته انه عاصر عهد الباشوات الذين عرفوا باستبدادهم في الحكم في الجزائر أكثر من السلطان العثماني، عندما استعاد الجزائريون مدينة وهران من يد الإسبان كان ابن حمادش ما يزال صغيرا، كما ذكر احتلالها من جديد، وذكر أيضا بعض الثورات الداخلية مثل ثورة أهل زواوة على قائد "سباو"، وتحدث عن الصلح بين الجزائر و الدانمارك، كما سجل حادثة فرار ابن أحمد الريفي المغربي ومحمد باي التونسي إلى الجزائر في نفس الوقت واجتماعهما مع داي الجزائر، إبراهيم باشا، أما من خلال التطورات الاجتماعية والثقافية التي أثرت على حياته كعقود الزواج في وقته التي تختلف مهورها من طبقة لأخرى ومعاناته في إيجاد باب الرزق

[1] – أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، ص471.

[2] – ينظر: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، ص223. ينظر أيضا حياة ابن حمادش أيضا في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق لأبو القاسم سعد الله الجزء الثاني، مج50 .

سواء في الجزائر أو المغرب، واحتماؤه يقول سعد الله بالشرف والعلم بدل الجاه والسياسة والمال، فهي تعكس الجانب الاجتماعي و الاقتصادي الذي كان يعيشه .[1]

ومن الناحية الثقافية نجد ابن حمادوش تثقف على مجموعة من الأعلام سواء من بلاده أو غيرها من البلدان كالمغرب وتونس وحتى علماء المشرق العربي، كما نجده قرا عددا كبيرا من الكتب في مختلف العلوم والفنون، وذكر أبو القاسم سعد الله أن رحلته من جزئين أولها مفقود وربما يكون فيه ذكرا لشيوخه الأولين الذين تتلمذ على أيديهم، فقد تعرفنا من الجزاء الثاني انه تتلمذ في الجزائر على الشيخ محمد بن ميمون، وانه عاصر كوكبة من الأعلام المتألقين في الجزائر، من أمثال احمد ابن عمار صاحب (نحلة اللبيب)، والمفتي العالم والشاعر ابن علي، وعبد الرحمن الشارف، وأحمد الزروق البوني، وعدد آخر من المفتين وأصحاب الجاه نذكر منهم محمد ابن الحسين، والحاج محي الدين الزروق، وعبد الرحمن المرتضى، ومحمد المسيسي، وممن قرأ عليهم ابن حمادوش في المغرب وأجازوه محمد بن عبد السلام البناني الفاسي، وأحمد الورززي التطواني، وأحمد السرائري، وأحمد بن المبارك، أما من تونس ذكر الشيخ محمد زيتونة*، كما درس عن الشيخ محمد الشافعي الذي التقى معه في الجزائر .[2]

اهتم ابن حمادوش خاصة على بالكتب العلمية، فدرس لابن سينا، واقليدس، والقلصادي، والأنطاكي، وابن البيطار، وغيرهم من العلماء المسلمين واليونان، إلى جانب قراءته النظرية حول أن يطبق ما قرأه يؤلف فيه، ويجري التجارب الشخصية عليه، فقد أجرى تجاربه على النباتات وتركيب المعاجين الطبية، كما اختبر موازين المياه، ورسم الرخامة الظلية، ووضع دائرة لبيان اتجاه الرياح، وغيرها

[1] – ينظر : أبو القاسم سعد الله، أبحاث آراء في تاريخ الجزائر، ج1 ، ص224.

* - قرأ على الشيخ زيتونة في تونس أو في المشرق حين حج سنة 1130هـ- 1718م، وقد توفي الشيخ زيتونة بتونس سنة 1138هـ- 1725م.

[2] – ينظر : أبو القاسم سعد الله، أبحاث آراء في تاريخ الجزائر، ج1 ، ص225.

من التجارب، وهذا ما ظهر من خلال قوله في رحلته أنه أصبح عشابا وصيدليا وطبيبا في بعض الأمراض، وهذا ما جعل مؤلفات ابن حمادوش يغلب عليها الطابع العلمي أكثر من الطابع الأدبي أو الفقهي الذي شاع عند غيره من العلماء ومن مؤلفاته نذكر:

- شرح على قصيدة الربع على كردفر .
- تأليف على الروزنامة.
- تأليف في الأعشاب (لعله هو كشف الرموز المطبوع)
- تأليف في علم الفلك (ذكر فيه سبعة تواريخ) .
- تأليف في الاسطرلاب والربع المقنطر .
- تأليف في القوس لرصد الشمس .
- تأليف عن الرخامة الظلية بالحساب .
- تأليف في صورة الكرة الأرضية .
- تأليف في علم البلوط (معرفة الطرق البحرية) .
- الجوهر المكنون (في الطب) .
- بغية الأديب من علم التكعيب واسمه أيضا فتح المجيب في علم التكعيب.
- تأليف في علم البونبة .
- تعديل المزاج بسبب قوانين العلاج .
- تأليف في الطاعون .

كما له تآليف في المنطق كتأليف "الدرر على المختصر" الذي تحدث فيه على مختصر الشيخ محمد بن يوسف السنوسي، وهو الكتاب الذي وافقه عليه وأطراه كل من الشيخ أحمد الورززي المغربي، والشيخ أحمد ابن عمار الجزائري، وله في النحو كتاب " السائح" وهو شرح لألفية ابن مالك، وفي الأدب ديوان شعر، يقول أنه بناه على الغزل والنسيب والمراثي ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم، كما له بعض المقامات الأدبية، وهو في شعره لا يرقى إلى أقرانه المعاصرين له كابن ميمون، وابن علي، وابن عمار، هذا لأنه صب اهتمامه بالجانب العلمي أكثر منه في الأدبي أو الفقهي وهذا ما لاحظناه في تآليفه.[1]

زار ابن حمادوش عدة بلدان عربية وأجنبية منها رحلته إلى البقاع المقدسة حيث حج سنة1130هـ-1718م، ومر بتونس، ثم أشار له بعض الباحثين بوجوده بمدينة رشيد بمصر سنة1161هـ-1748م، كما ذكر في رحلته انه زار بلاد العرب والعجم والترك دون ذكر التاريخ .

ولا يمكن أن نذكر ابن احمادوش دون ذكر رحلته المسماة بـ" لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والآل"، وقد قسمها أبو القاسم سعد الله إلى ثلاثة أقسام، بدأ هذا القسم من صفحة (2) إلى الصفحة (75) والذي سماه بقسم المغرب وهو القسم الذي تظهر فيه الرحلة، وأما القسم الثاني وهو قسم عن حياة المؤلف في الجزائر، حيث أورد فيه أخبارا متفرقة تضمنت قصص واستطرادات، وهو عبارة عن مذكرات يومية للكاتب تبين قراءاته وملاحظاته ونشاطه.وفي القسم الثالث الذي تضمن نقولا كثيرة من كتب ووثائق المتقدمين والمعاصرين له مثل الاكتفاء لابن الكردبوس، وكتاب تاريخ الدول

[1] – ينظر: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، ص227.

للملطي وانس الجليل للعليمي، بالإضافة إلى مجموعة من عقود الزواج على عادة أهل مدينة الجزائر، إضافة إلى مجموعة من الأسانيد والإجازات والقصص العامة كقصة الفيل وقصة العنقاء.[1]

وقد سار ابن حمادوش بمنهج حيث ربط فيه بين أجزاء الرحلة فاعتمد على الترتيب الزمني، حيث اتبع طريقة التقييد بالسنوات لكل خبر أو حادثة، حيث كان يحشو كل سنة بأخبار ووقائع تتعلق بشخصه في أغلب الأحيان، وقد اعتمد في رحلته على مصدرين هما، التجربة الشخصية والنقل ذلك أن جل ما رواه من أحداث في رحلته قد شاهده أو عايشه، والتطورات الاجتماعية والسياسية والعلمية التي تحدث عنها في المغرب والجزائر تعتمد بالدرجة الأولى على تجربته الشخصية، وأما النقل فإن ابن حمادوش كان يأخذه بالمشافهة والسماع أو اعتماده على الوثائق المكتوبة.

كما أن رحلته سلطت الكثير من الأضواء على المؤلف وحياته بكل تطوراتها وتحولاتها عبر الزمن، حيث دون فيها مذكراته اليومية وبهذا يكون قد قام بعمل مهم بذكر حياته بنفسه دون أن يقدم آخر في البحث عنه وعن حياته، كما أورد في الرحلة مجموعة من الأخبار الهامة عن الجزائر، هذه الأخبار التي ساعدت الكثير من الباحثين الذين حاولوا دراسة الأوضاع السياسية التي ذكر من خلالها قائمة بأسماء الباشوات الذين حكموا الجزائر وبعض من أخبارهم في طريقة الحكم خلال العهد العثماني.

وأما الأوضاع الاجتماعية التي يجد فيها الباحث الاجتماعي مادة ثرية، ذلك انه ذكر كيفية ختم صحيح البخاري من خلال صلواتهم والأدعية التي كانت معهودة عند أهالي مدينة الجزائر، كما ذكر عاداتهم ليلة القدر وليلة المولد النبوي، كما قارن فيها المؤلف عادات المولد النبوي بين أهل الجزائر

[1] – ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص231.

والمغرب، ومن العقود التي أوردها نوع العملة السائدة، ونوع الصداق، كما ذكر حياة النساء وأحوالهم العامة .[1]

ومن الأوضاع الثقافية والتي اعتبرها الباحثون المصدر الأساسي والوحيد الذي كشف عنها، ومن العلماء الذين أطال الجلوس إليهم وأكثر من القراءة عليهم محمد بن ميمون قاضي المواريث في زمنه، هذا الأخير الذي كان يتقرب من السلطة الحاكمة وجعل من داره منتدى يجتمع فيه العلماء والأدباء ، كما أشار إلى الخصومة التي وقعت بين ابن حمادوش والمفتي ابن علي وسبب الخصومة هو غضب ابن علي من عدم قيام ابن حمادوش احتراما له. في المقابل كانت علاقته حسنة مع الأديب والشاعر احمد ابن عمار فقد كتب له تقريظا نثرا وشعرا لكتابه (الدرر على المختصر)، كما كانت علاقته حسنة مع العالم عبد الرحمن الشارف، ثم نجده أورد مجموعة كبيرة من علماء عصره منهم: المفتي محمد بن حسين*، وقاضي قسنطينة محمد الحنفي**، والمفتي عبد الرحمن المرتضى***، والمفتي الحاج محي الدين الزروق****، والقاضي ابن المسيسني، إضافة إلى عدد آخر من القراء والأدباء نذكر منهم: أحمد العمالي، ومحمد بن سيدي الهادي، وأحمد البوني، وابنه الزروق، ومحمد بن المسيسني أخو القاضي المذكور، وأبو القاسم بن يوسف الحسني، وعبد المالك بن إبراهيم، والحاج احمد بن مسعود، فكان ابن

[1] – ينظر: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، ص234.

* - محمد ابن الحسين هو الذي كتب لابن حمادوش رسالة تعزية في ولده، وقد أوردها ابن حمادوش في الرحلة ، وهي من أحسن الرسائل في هذا الباب.

** - محمد الحنفي قاضي قسنطينة جاء إلى مدينة الجزائر وقرا على ابن حمادوش شرح الحباك في الاسطرلاب للسنوسي.

*** - عبد الرحمن المرتضى كان صهرا للمفتي سعيد قدورة، وقد أورد ابن حمادوش نص عقد زواجه كنموذج لما كتب الشيخ العالم الأديب محمد عبد المؤمن سنة 1087هـ- 1676م .

**** - المفتي الحاج محي الدين الزروق من الذين سمّعوا ابن حمادوش صحيح البخاري باجامع الكبير.

حمادوش يقرأ مع بعض هؤلاء، ويتراسل مع آخرين منهم، فكونوا بذلك طبقة مثقفة في الجزائر في عهدها العثماني .[1]

وكانت له أخبار عن المغرب لأنه كان كثير السفر إليه للتجارة وطلب العلم، فأورد أهم حادث سياسي فيه هو ثورة أحمد الريفي، باشا تطوان على مولاي عبد الله سنة 1156هـ-1743م، واهتم بهذه الثورة لأن رجال الريفي أساءوا معاملته عندما نزل بمرسى تطوان، كما أن الحادثة التي جرت بينه وبين الريفي الذي ادعى الشرف، وثار على أشرف منه فابن حمادوش كان كثير التمسك بالشرف، وقد وصف هذه الثورة وصفا دقيقا مفصلا، كما تحدث عن عادات وتقاليد أهل المغرب وطبيعته.

وتضم الرحلة مجموعة من أعلام وأدباء المغرب منهم محمد بن عبد السلام البناني الذي حضر له ابن حمادوش دروسه وخاطبه بقصيدة، كما درس على الشيخ الورززي في تطوان والجزائر وأجازه هذا الأخير في تطوان، ومما أجازه أيضا أحمد السرائري، وفي مكناس التقى بالشيخ عبد السلام القباب والشيخ عبد القادر الفاسي، كما أعجب ببعض علماء فاس منهم الشيخ أحمد المبارك، الذي رثاه ابن حمادوش عند وفاته بقصيدة صادقة.[2]

وتكمن أهمية رحلة ابن حمادوش، أنه جزء هام من تراث الجزائر العربي الإسلامي فقد تميزت هذه الرحلة عن غيرها من رحلات معاصريه أنها رحلة مغربية لا مشرقية كتبت بأسلوب سهل وبسيط، وبهذا سيبقى هذا العمل مصدرا مهما من مصادر التراث الوطني والعربي يعني بدراسة الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية في القرن الثامن عشر، كما أنها المصدر الوحيد لحياة المؤلف التي ظلت مجهولة إلى أن ظهرت هذه الرحلة، في انتظار ظهور بقية أجزاء الرحلة إن شاء الله.

[1] – ينظر: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، ص235.

[2] – ينظر: المصدر نفسه، ص240.

1 – 8 عبد الكريم الفكون :

هو عبد الكريم الفكون التميمي القسنطيني المتوفي سنة 1073هـ- 1662م، من عائلة تميزت بتاريخها العريق والأصيل فهي من قبيلة تميم العربية، التي حوت مجموعة من الشعراء البارعين، والعلماء، والمتصوفة، وقضاة، كما منها من حاز على شهادة، أثناء الغزو الاسباني لتونس سنة1535، كما اعتبر عبد الكريم الفكون من أبرز أفراد العائلة علما وعملا وسمعة. كما بلغت في عهده عائلته أوج قوتها المادية والمعنوية، فتمتعت بمداخيل رسمية ودينية، كما تمتعت بنفوذ روحي، وهذا النفوذ طال العائلة حتى بعد عبد الكريم الفكون، حيث قادت ركب الحج الجزائري إلى الحجاز.

عاش الفكون وترعرع في مدينة قسنطينة فهو ابنها؛ ذلك لأن أجداده يعود تاريخهم إلى القرن الخامس الهجري، فقد كانت قسنطينة عاصمة إقليمية كبيرة، و كان أعيانها في العهد الحنفي يتجهون نحو تونس ويتلقّون العلم في جامعها الأعظم(الزيتونة) ويستلمون المناصب الإدارية والمخزنية، إضافة إلى ذلك بضائع تونس والشرق كانت تجد لها سوقا رائجة فيها، وهذا الوضع استمر مع العهد العثماني كعاصمة لأكبر إقليم في الجزائر وأغناه وأكثر ثقافة وتحضرا، هذا وكان في أعمال الفكون حضورا كذلك، حيث شارك في كل القضايا التي عرفتها مدينة قسنطينة فكان يعطي آراءه وتوجيهاته فيها .[1]

ولد عبد الكريم الفكون سنة 988هـ- 1580م، سمي على جده، فكان أول مولود لأبيه محمد، حيث عاش في كنف والديه، فقد عاش والده إلى سنة 1045، أما والدته كانت من عائلة محمد بن قاسم الشريف وكان مفتيا من أشراف مدينة قسنطينة. كان تلاميذ كل من عمر الوزان وعبد الكريم الفكون (الجد) وعبد الرحمن الأخضري ويحي الأوراسي ،هم الذين يرأسون حلقات الدرس في

[1]- عبد الكريم الفكون، منشور الهداية –في كشف حال من ادعى العلم والولاية–، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1408هـ-1987م، ص08.

المساجد، أما والده (محمد) هو احد المدرسين الكبار، وكان التلاميذ يأتون للدراسة من مناطق مختلفة من الوطن كمنطقة زواوة والغرب والأوراس ونقاوس، ومن أشهر الطرق الصوفية الطريقة الزروقية نسبة للشيخ احمد زروق (ت 899)، ثم وإن الحياة السياسية آنذاك لم تكن مستقرة، مع المساهمات التي كانت تسعى إليها عائلة الفكون في حفظ التوازن وتسعى للعافية داخل البلاد ، وفي هذا الجو فتح الفكون عينيه فحفظ القرآن على شيخه أبو القاسم بن عيسى الزواوي الملقب بثلجون[1].

كان فطنا منذ سن مبكرا، حتى انه روى حادثة عن تحديه لأحد العلماء في مسالة نحوية وكان ما يزال في المستوى المتوسط، فالمعلم الأول للفكون هو والده الذي أحاطه بعنايته من البداية فلقنه العلم حيث اخذ عنه مبادئ العلوم ومراجعة المسائل التي كان يتلقاها من غيره من العلماء، كما روى تلميذه عيسى الثعالبي انه تلقى العلم أيضا من العالم يحي الأوراسي، كما قرأ الحساب وبعض الفرائض من العالم عبد العزيز النفاتي، وقرأ على سليمان القشي أوائل الرسالة وشرح الصغرى في العقائد، كما درس عن محمد الفاسي المغربي، وعبد العزيز النفاتي، ومحمد بن راشد الزواوي الذي قرأ عليه النحو، ونجده كذلك درس على محمد التواتي المغربي الذي أشاد به الفكون كثيرا ووصفه بـ"سيبويه زمانه"؛ بالإضافة إلى هؤلاء الشيوخ قرأ الفكون في صغره شرح عبد اللطيف المسبح على مختصر الأخضري في الآداب العامة.

أما ثقافته فقد اعتمد على والده وعلى الشيوخ المحيطين به فلم يسافر لا داخل الجزائر ولا خارجها طلبا للعلم، كما كانت رحلاته حتى بعد نضجه من خلال مهمته الرسمية في قيادة ركب

[1] – أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون – داعية السلفية–، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1406هـ–1986م، ص59.

الحجاج " ..وهو أمير ركب أهل الجزائر وقسمطينة وتلك النواحي، على نسج أبيه وعادته"[1]، فتأثر خاصة بوالده، وبالشيخين ابن راشد الزواوي ومحمد التواتي، وهكذا قضى الفكون الأربعين سنة الأولى من القرن الحادي عشر(17م) إلى جانب والده وكان يوسع معارفه بالقراءة في المكتب والتعليم والمذاكرة والمجالسة، وكان ينوب في بعض الأحيان عن والده في الصلاة بالجامع الكبير وهي الوظائف التي ورثها عن والده وجده، وهي التدريس بالجامع وإمامة المصلين فيه والخطبة على منبره أيام الجمع والأعياد، والسهر على أوقافه وأحباسه.

ومن خلال وظيفة التدريس فكان يقوم بها في أماكن مختلفة، في داره، وفي الجامع، وفي مدرسة العائلة وغيرها من الأماكن التي يتواجد فيهان حيث كان يتوافد غليه العلماء والطلبة من مختلف أنحاء البلاد وكان في أغلب الأحيان يلتقي بهم في منزله الذي اتخذ منه مصلى وقاعة لاستقبال الطلاب الراغبين في طلب العلم، ويذكر زيارة المولى علي إلى قسنطينة الذي اجتمع مع صديقه علي بن محمد آل بهلول فقال: "واجتمع بالقاضي الشهير المولى علي ..ونزل عليّ بقسنطينة، وله فيّ محبة صادقة."[2] وبهذا فقد كرس حياته في التعلم والتعليم والتأليف، اشتغل على هذه الوظائف رسميا بعد وفاة والده سنة 1045، وكان عمره عندئذ حوالي 57سنة، حيث كان يؤلف الكتب والرسائل؛ فدرس أحوال العصر وأحوال بلاده في تلك الفترة التي انتشر فيها التصوف، كما ساءت أحوال البلاد إداريا وقضائيا واقتصاديا وحتى من الجانب الأخلاقي.[3]

[1]- محمد بن الطيب القادري،نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تح : محمد حجي وأحمد التوفيق، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1397هـ/1977م ، ج 2، ص130.

[2]- عبد الكريم الفكون، منشور الهداية –في كشف حال من ادعى العلم والولاية–، ص225.

[3]- ينظر: أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون – داعية السلفية–، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1406هـ-1986م، ص65.

وفي سنة 1025 مرض الفكون مرضا خطيرا لازمه الفراش عدة سنوات، مما اوجب عليه تقييد حياته، وكتب الفكون ديوانا كاملا من الشعر في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، والاستنجاد به والتوسل إليه طلبا للشفاء مما أصابه، كما كتب منظومة سماها " شافية الأمراض"، وقد استجاب الله لدعائه إذ شفي من هذا المرض تدريجيا وهو يقول :" فرأيت من الله الفرج ووقف المرض إلى غاية لا أتألم منه كثيرا. ولكنه بقدر ما أتحمل، وأرجو من الله الشفاء منه كله."[1] وذكر سعد الله انه قال هذا الكلام وهو يؤلف كتابه "منشور الهداية".[2]

ثم، ونجد الفكون عاش فترة سياسية سيئة حيث عرف الشرق الجزائري أعنف ثورة في تاريخه وهي التي عرفت بثورة الزواودة وكان هذا سنة 1047، أي بعد وفاة والده بسنتين، هذه الثورة التي هزت إقليم قسنطينة وأطاحت بالسلطة العثمانية، وهدّدت حتى السلطة المركزية بالجزائر، وكان على الفكون أن يأخذ موقفا واضحا فهو الذي كان يعارض العنف والفوضى، فقد أصبح مسؤلا معنويا وسياسيا وروحيا، فاختار الأمن والاستقرار على الفوضى، فقد تجند العلماء في المدن وأصحاب الطرق الصوفية في الأرياف – الذين كانت لهم امتيازات منها عدم دفع الضرائب وهذا ما حصلت عليه عائلة الفكون– إلى جانب السلطة التي كانت تحارب الثوار، حيث توجه يوسف باشا إلى قسنطينة لتوطيد الأمن والقضاء على الثورة وأول من التقاهم من العلماء هو عبد الكريم الفكون وهذه المعلومة ذكرت من خلال رد محمد ساسي البوني إلى رسالة يوسف باشا حاكم الجزائر .[3] ثم وفي سنة 1054 ضرب الطاعون البلاد، وفي سنة 1057 تواصل الجفاف وحلت مجاعة كبيرة أدت إلى مضاعفة الفوضى

[1]– أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون – داعية السلفية–، دار الغرب الإسلامي، ص69.

[2]– المصدر نفسه، ص69.

[3]– ينظر: المصدر نفسه، ص79.

والشغب، فاستعمل الفكون وأمثاله من العلماء نفوذهم الروحي والمعنوي للحفاظ على الأمن والنظام، وقد لقب بشيخ الإسلام للمكانة التي وصل إليها من نفوذ مادي وروحي وعلمي .

كانت لعبد الكريم الفكون مساهمات عديدة ومتنوعة في التأليف حيث شملت الأدب والنحو والاجتماع والدين. من أبرزها " منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية" حيث جمع فيه بين تراجم العلماء من الذين لقيهم أو سمع عنهم. وتحدث عن المتشبهين بالعلماء، كما تحدث عن المبتدعة منهم. وبين الأوضاع الاجتماعية التي كانت تعيشها البلاد خاصة مدينة قسنطينة.[1] وحقق هذا الكتاب أبو القاسم سعد الله رحمه الله. ومؤلفات أخرى منها "فتح اللطيف في شرح أرجوزة المكودي في التصريف"، وله ديوان في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وتأليف سماه "محدد السنان في نحور إخوان الدخان" وهو يحوي عدة أجوبة من الأئمة وعني هذا المؤلف في تحريم الدخان حيث اشتمل على أدلة عقلية ونقلية، كما ألف "شرح على شواهد الشريف بن يعلى علي الجرومية"حيث التزم بعد كل شاهد ذكر حديث مناسب له، كما له شرح الجمل للمجراد، وكتاب في حوادث فقراء الوقت.[2]

كما ترك مجموعة من القصائد في أغراض مختلفة وكلها تدل على متانة نظمه وقوة تعبيره وكانت عبارة عن رسائل لمن يتراسل معهم مثل قصيدته المضمنة في رسالة إلى احمد المقري، كما كانت له رسالة بقصيدة إلى محمد تاج العارفين العثماني التونسي، ورسالة أخرى رد فيها الشاعر على من مدحه مثل محمد السوسي، كما له قصائد حاول فيها الرد على من ضايقوه مثل القصيدة التي قالها في الدعاء على ابن نعمون وسماها" سلاح الذيل في دفع الباغي المستطيل". وله أيضا في النقد الأدبي فقال في ابن داود الصنهاجي:" يدعي الفصاحة وتقويم الشعر، وليس كما يدعي" [3]، وله ديوان شعر مفقود لم يره احد

[1] – ينظر: عبد الكريم الفكون، منشور الهداية –في كشف حال من ادعى العلم والولاية–، ص16.

[2] – ينظر: أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج1، ص166.

[3] – أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون – داعية السلفية–، ص128.

إلا تلميذه العياشي* الذي تحدث عن مناسبته وموضوعه وترتيبه على حروف المعجم فقد أنهى قصائده من هذا الديوان بالتوسل وطلب الشفاء وهو يقول في آخر قصيدة قافية الهمزة:

أَيَا خَيْرَ خَلْقِ اللهِ أَنْهَيتُ قِصَّتِي إِلَيْكَ فَإِنَ الجِسْمَ بِالسَّقَمِ يَرْزَأُ

أَنَلْنِي المُنَى مِنْ جُودِ طُولِكَ إِنَّنِي عَلَى ظَمَأٍ مِنْ مِنْهَلِ العَذْبِ أَمْلأُ

مُنَادِي الشِفَا مِمَّا بِهِ الجِسْمِ مُبْتلَى تَشْفَعُ فَذْوَ الآلامِ يَنْجُو وَيَبْرَأُ

يمِينٌ جَرَتْ مِنْ نَاظِمٍ عَنْ تَيَقُنِ بَانَ لَكَ جَاهَا لَيْسَ دَاعِيهُ يَخْسَأُ [1]

وفي آخر قافية الباء يقول الفكون، وهو يتحدث كذلك عن موضوع مرضه وهو يستغيث بالرسول عليه الصلاة والسلام:

يُنَادِي عَلِيلُ الجِسْمِ غَوْثًا بِبَابِكُمْ فَيَشْفِي كَمَا الأَسْقَامِ عَنْ ذَاكَ تَسْلِبُ

نهَضْتُ بمَدْحِي مُسْتَغِيثًا وَطَالِبًا فَلاَحَا وَمَا في أَوَلِ الشَّطْرِ يجْلِبُ[2]

وله تقييد ذكر فيه مرضه سنة 1025- 1028، ونم سماه" شافية الأمراض لمن التجأ إلى الله بلا اعتراض" أو سمي بـ" العدة في عقب الفرج بعد الشدة" وهو التوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم، وبأصحابه، والتابعين، والفقهاء، والأولياء ويقول في بدايته:

* - هو أبو سالم العياشي المغربي من تلاميذ عبد الكريم الفكون الذي أخذ عنه مباشرة حين حج معه سنة1064، واخذ عن ولد الفكون محمد تآليفه وأعماله، وقد ترك وصفا نادرا لكتابين مفقودين للفكون هما " محدد السنان"، وديوان شعر في المديح النبوي.

[1] – أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون – داعية السلفية–، ص163.

[2] – المصدر نفسه، ص164.

بِكَ اللَّهُمَ مُبْدِي الخَلْقَ طَرَا تَوَسُلِي وَفِي كُلِ أَزْمَاني عَلَيْكَ مَعُولي[1]

ونجده يرثي صديقه أبا الحسن علي البهلولي بهذه الأبيات:

أَعَيْنَيَّ جُودَا بِالبُكَاءِ وَانْضَبَا شُؤُوناً بماءٍ طَالَ مَا جَادَ وَابِلُهُ

لِخَلٍّ أَكَنَّتْهُ الصِّفاحُ وأقفرتْ مَعَالِمُهُ مِنْ بَعْدِهِ وَمُنَازِلُهُ

وقِدْماً ترَاءَى لِلْعُيُونِ كَأَنَّهُ بِنَادِيهِ بحْرٌ إِذْ يُبَارِيهِ سَائِلُهُ

أَبَا حَسَنْ أَسْهَدْتَ نَاظِرَ مُقْلَتِي ونَعْيُكَ حقاً أَجْرَضَتْنِي بَلاَبِلُهُ[2]

وله مجموعة خطب، أشار إليها في كتابه منشور الهداية عند الحديث عن الخطبة التي كتبها لأحد تلامذته وهو أبو العباس حميدة بن باديس قائلا عنها وهي:" فجاءت حسنة بليغة في معناها كما هي مذكورة مع جملة الخطب التي ألفت في غير هذا"[3]، وغيرها من المؤلفات التي موجودة بالتفصيل في كتاب أبو القاسم سعد الله المسمى" شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية"[4] وكذلك إشاراته لمؤلفاته في كتابه "منشور الهداية".وبهذا يكون عبد الكريم الفكون برع في علمه فشمل عدة مجالات منها السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية حيث عالج من خلالها قضايا عصره وبلاده وقضاياه التي مست حتى حالته الصحية ، ومن يريد التوسع أكثر في حياته ونشاطاته المختلفة يعود إلى الكتابين المذكورين، إضافة إلى أن هناك مصادر أخرى أشرت إليها في الهوامش .

[1] – المصدر السابق، ص146.

[2] – عبد الكريم الفكون، منشور الهداية –في كشف حال من ادعى العلم والولاية–، ص226.

[3] – المصدر نفسه، ص211.

[4] – ونشير هنا أن الكتاب يحوي مجموعة من تلاميذ عبد الكريم الفكون الذي ذكرهم المؤلف بالتفصيل كأبو مهدي عيسى الثعالبي ويحي الشاوي وبركات بن باديس (ت1107)، وغيرهم والذين يعدون أيضا من أعلام العهد العثماني بالجزائر.

1- 9 أبو راس الناصر :

هو "الحافظ أبو راس محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن الناصر بن علي بن عبد العظيم بن معروف بن الجليل، الراشدي قبيلة المعسكري بلدة الجزائري قطرا، المولود سنة 1150هـ- 1737م والمتوفي سنة 1238هـ- 1823م، ودفن بـ "عقبة بابا علي" بضواحي معسكر، فنسب إليها منذ ذلك الحين"[1]؛ وهو "العلامة المحقق الحافظ والبحر الجامع المتدفق اللافظ من هو ليث الدين أوثق أساس وأضوأ نبراس الإمام القدوة المتفنن، كان رحمه الله إماما في المعقول والمنقول وإليه يرجع في الفروع والأصول ."[2]حيث عاش في النصف الثاني من القرن الثامن عشر والربع الأول من القرن التاسع عشر للميلاد، عانى من الفقر منذ صغره، وهو من منطقة جبل كرسوط بالغرب الجزائري، رحل أبوه إلى نواحي متيجة قرب مدينة الجزائر، فعرف عن قرب الحكم العثماني، فيها فقد والدته" زولة " منذ صغره والتي يقول عنها:" وهي الصالحة الكاملة التقية العاملة، أطول النساء يدا، وأكملهن هديا وهدى، كانت من أجل نساء البدوية وكانت يضرب بها المثل في السخاء والصلاح كرابعة العدوية، نشأت في بيت علم، وصلاح.."[3] انتقل به والده نواحي مجاجة حيث كان يعلم القرآن للرجال والصبيان وقد تعلم في بداية الأمر القرآن على والده،كما تعلم منه القسوة، وبعد زواجه بعدة نساء توفي أيضا فعانى أبو راس من اليتم والفقر، ثم توجه به أخوه عبد القادر إلى المغرب، وهناك حفظ القرآن، ثم عاد إلى معسكر بشيء من العلم[4] وهناك التقى بالشيخ عبد القادر المشرفي* العالم بالأخبار

---

[1] – محمد أبو راس الناصر، فتح الإله ومنّته في التحدث بفضل ربي نعمته- حياة أبي راس الذاتية والعلمية-، ص11.

[2] – أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، ص332.

[3] – المصدر نفسه، ص18.

[4] – ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص377.

* - هو أبو المكارم عبد القادر بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن جلالنا لمشرفي الغريسي، ثم المعسكري توفي سنة 1192هـ- 1778 ورثاه تلميذه أبو راس بقصيدة طويلة.

والتاريخ حيث تتلمذ عليه وتأثر به كثيرا فلازمة مدة من الزمن، فكان المربي والموجه والمعلم، بعد ذلك استقل بنفسه بعد زواجه واخذ ينشر علمه الذي حصل عليه من علماء بلاده وعلماء المغرب، اشتغل في القضاء بعدما استقر به المقام في مدينته معسكر، حيث بلغت شهرته أوجها وقد اشتغل في وظيفة أخرى هي التدريس، والفتوى، عرف عنه أنه كان كثير الحفظ، كما كان مجلسه العلمي كبيرا حتى بل سبعمائة وثمانين مستمعا، وقد رشحه شيخه عبد القادر المشرفي خليفة له في وظيفة التدريس.[1]

ومن شيوخه الذين تتلمذ على أيديهم بداية بعد والده، " الشيخ علي التلاوي، والشيخ منصور الضرير فأتقن القراءة، ثم تتلمذ على ابن الجزري فاستفاد من فن القراءة والتجويد، وقاضي أم عسكر لقراءة الفقه، وقرأ أيضا على الشيخ علي بن الشنين، والشيخ ابن علي ابن الشيخ أبي عبد الله الميلي، ومن شيوخه في الفقه أيضا العربي بن نافلة وأخوه أحمد وابنه أحمد، والشيخ محمد الصادق بن أفغول الذي كان للعلوم جامعا وبارعا في الفنون ، وأخذ الفرائض عن الشيخ البدالي".[2]

وبعدما نضج فكره تأثر بشيخه احمد ابن عمار الجزائري، ومرتضى الزبيدي الذي خصه بكتاب سماه "السيف المنتضى فيما رويته بأسانيد الشيخ مرتضى"، وقد تخرج على يده الكثير من التلاميذ أبرزهم أبو حامد المشرفي المعروف بتآليفه العديدة في التاريخ والأدب والرحلات. كما كانت ثقافته التي اعتمد فيها على مجهوده الشخصي، فهو بهذا حاد الذكاء وقوة الذاكرة والتي ساعتدته على غزارة الحفظ من الأسانيد والأخبار وغيرها، كما حج مرتين الأولى سنة 1204 والثانية سنة 1226هـ كما زار عدة مناطق من المشرق والمغرب منها تونس ومصر وسوريا وغزة القدس وغيرها من البلدان.[3]

[1] – ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص378.

[2] – عبد الحق زريوح، أبو راس الناصري الجزائري ومؤلفاته، مجلة التراث العربي، اتحاد كتاب العرب، دمشق، 1426هـ-2005م،العدد98، ص232.

[3] – ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص379.

من خلال رحلاته المتنوعة أورد مجموعة من الأعلام الذين التقى بهم خلال رحلاته، أو تناقش مع بعضهم كما حضر مجالس الأمراء كمجلس سلطان مدينة تطوان والذي أهداه بعض تآليفه، كما كان على صلة وطيدة مع بايات الرب الجزائري خاصة محمد الكبير الذي خصه أبو راس بمجموعة من القصائد والتآليف، وفي المقابل بنى بعضهم قبة له سميت " قبة المذاهب الأربعة" لأن أبا راس كان يفتي بها، كما أن بعضهم بنى له مكتبة وقدم له كرسيا يجلس عليه عند الدرس لكثرة المزدحمين عليه، وهذا ما وجدناه في مؤلفاته حيث كان يشيد بالولاة العثمانيين، وبدورهم الإسلامي.[1] ومن هنا يظهر أن كثرة رحلاته على مختلف الدول العربية من المشرق والمغرب والاختلاط بعلمائها ومعرفة علومها وقضاياها وعاداتها وتقاليدها، كل هذا ساعده على غزارة ثقافته فكتب وأبدع وبالعلوم أشمل بالحفظ والقراءة، فأفرغ في الكتب والمؤلفات، في الرحلات والشروحات.

وبهذا يكون قد ترك مجموعة كبيرة من المؤلفات في مختلف العلوم[2]، وهي كتابه هذا المسمى "فتح الإله" والذي خص فيه باب ذكر فيه مؤلفاته والذي سماه بـ العسجد والإبريز، فألف في القرآن "مجمع البحرين، ومطلع البدرين، بفتح الجليل، للعبد الذليل، في التيسير إلى علم التفسير" وهو في ثلاثة أسفار، "تقييد على الخراز، والدرر اللوامع، والطراز"، وله في الحديث " الآيات البينات، في شرح دلائل الخيرات" و"مفاتيح الجنة وأسنادها، في الأحاديث التي اختلف العلماء في معناها"، وله في النحو" الدرّة اليتيمة"، وتحدث عن المذاهب في "رحمة الأمة في اختلاف الأئمة" و"تشنيف الأسماع، في مسائل الإجماع" و"جزيل المواهب، في اختلاف الأربعة المذاهب، وفي التصوف كتب " الزهر الأكم، في شرح الحكم" و"شرح العقد النفيس، في ذكر الأعيان من أولياء غريس"، أما في اللغة " ضياء القابوس على

[1] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص379.

[2] – مؤلفاته في كتابه "فتح الاله" مفصلة ومجملة وقد خصص لها فصلا كاملا وانظر أيضا دراسة عبد الحق زرويح لأبو راس الناصر في مجلة التراث العربي، ع 98، وينظر أيضا دراسة أبو القاسم سعد الله لأبو راس الناصر في كتابه" أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1" .

كتاب القاموس" وأما في البيان مؤلف" نيل الأماني على مختصر سعد الدين التفتزاني"، وألف في علم العروض كتاب "شرح مشكاة الأنوار، التي يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار" وله في الأدب ط النزهة الأميرية، في شرح المقامات الحريرية"، وأما في الشعر بالإضافة إلى الأشعار التي قالها والتي عالج من خلالها مختلف الأغراض وخاصة وجدناه في غرض الرثاء، فشرح بعض القصائد لشعراء عرب وتتمثل في: "البشائر والإسعاد في شرح بنات سعاد" للشاعر الشهير كعب بن زهير، كما له شرح " نيل الأرب، في شرح لامية العرب" للشنفرى، و"الدرة الأنيقة، في شرح العقيقة" والشرح الثاني " طراز شرح المرداسي، لقصيدة المنداسي"، وله في التاريخ، والمنطق، والأصول وغيرها كثير[1]، ويقال أنه :" فاق جميع المؤلفين كثرة ما عدا السيوطي"[2]، حيث ألف في كل فرع من العلوم المعروفة، وأغلب تآليفه في التاريخ والأنساب والأخبار، وقد ذكر تآليفه فصل من كتابه "فتح الإله" والتي قسمها على ثلاثة عشر قسما والتي بدأها بالقرآن وانتهى فيها بالشعر الذي شرح فيه مجموعة من القصائد العربية.

ومن شعره نورد هذه الأبيات التي رثى بها شيخه المشرفي عند وفاته وهو يخبر عنه أنه كان يتوعده بالمراتب والمناصب الزكية لما وجده فيه من ذكاء ونباهة وهو يقول – ورثيته بقصيدة من أعجب المناشد–:

لَقَدْ كَانَ للإسلام كَهْفًا وَمَلْجَئًا تَرَاهُ فِي أَقَلّ الشُؤُونِ يُبَادِرُ

لَهُ البَاعُ فِي كُلِّ العُلُومِ بِأَسْرِهَا سَرِيعُ الجَوَابِ عَنْهَا لَيْسَ بِضَائِرِ

فَيَا لَوْ رَأَيْتَهُ بِدَرْسِهِ جَالِسًا وَحَوْلَهُ حَلَقَاتُ الأُسُودِ الهَوَاصِرِ

[1] – محمد أبو راس الناصر، فتح الإله ومنّته في التحدث بفضل ربي نعمته– حياة أبي راس الذاتية والعلمية–، ص178..

[2] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص379.

كَأَنَّهُ قَمْرُ الأُفُقِ في غَيْهَبِ الدُّجَى مِنْ بَيْنِ كَواكِبِ النُّجُومِ الزَّوَاهِرِ[1]

ويقول في شيخه محمد مرتضى الذي اعتبره قدوته فهو الإمام الزاهد الذي كرس حياته في العمل الصالح تضرعا إلى الله ومتعبدا له وهو الدليل الذي يسلك عن طريقه الباحثين للعلى، فوصفه بالأستاذ والإمام والشيخ والسيد احتراما وتكريما له :

وَقُدْوَتِي مُرْتَضَى وَشَيْخِي وَمَوْرِدِي إِمَامُ العُلَى الأَنَامِ الزَّاهِدِ المُتَعَبَّدِ

دَلِيلُ طَرِيقُ السَّالِكِينَ إلى العُلَى عَلَىَ حَضْرَةٍ يُحْظَى بِهَا كُلُّ مَسْعَدِ

أَبُو الفَيْضِ ذُو الإِفْضَالِ وَالسَّعْدِ وَالعَطَا إِمَامِي وَأُسْتَاذِي وَشَيْخِي وَسَيِّدِي

سَقَانِي كُؤُوسَ الحُبِّ فِي قُدْسِ حَضْرَةٍ مُدَامًا بهَا مِنْ سُكْرِهَا كَمْ مُعَرْبَدِ[2]

ومن الشعراء الذين قالوا فيه شعرا مادحين أو معجبين به وبأعماله نذكر منهم تلميذه الطاهر ابن شيخه عبد القادر المشرفي وهو يقول:

وفِي سِلْكٍ مِنْ حَرِيرِ نُضِّمَتْ دُرُّ الحَرِيرِ

لِأَبِي رَاسِ الأَمِيرِ حُجَّةِ المَوْلَى القَدِيرِ[3]

كما قال فيه الشيخ عبد القادر بن السنوسي بن دحو*، وقد بدأ في هذه القصيدة بغرض التغزل وهو يقول :

---

[1] – محمد أبو راس الناصر، فتح الإله ومنّته في التحدث بفضل ربي نعمته– حياة أبي راس الذاتية والعلمية–، ص55.

[2] – المصدر نفسه، ص59.

[3] – المصدر نفسه، ص71.

* - الشيخ عبد القادر بن السنوسي بن دحو الذي ذكره أبو راس أنه شيخه في علم المعقول، وتلميذه في الفقه المنقول والذي عرفه فقال: "وعاء من أوعية العلم له لكل علم وصول من حديث وفقه ونحو وأصول..".

شَجَاكَ بِرَبْعِ العَامِرِيَّةِ مَعْهَدُ بِهِ أَنْكَرَتْ عَيْنَاكَ مَا كُنْتَ تَعْهَدُ

تَرَحَّلَ عَنْهُ أَهْلُهُ بِأَهْلَةٍ بِأَحْدَاجِهَا غِيدٌ مِنَ الحُورِ خُرَّدِ

كَوَاعِبُ أَتْرَابِ حِسَانٌ كَأَنَّهَا بُدُورٌ بِأَغْصَانٍ النَّقَا يتَأَوَّدُ[1]

كما مدحه في قصيدة أخرى على شرح لأبو راس المسمى : " الآيات البينات، في شرح دليل الخيرات" والذي يهنئه فيها على شرحه المذكور الذي يفخر به على كبار العلماء وقد اعتبره شرحا كبيرا ألم فيه من كثرة العلوم فأجاد وبرع فيه دون سؤال لسائل وهو يمدحه فيقول:

هَنِيئًا لَكُمْ بِشَرْحِكُمْ لِلدَّلاَئِلِ فَخَرْتُمْ بِهِ عَلَى فُحُولِ الأَوَائِلِ

لَقَدْ أَسْبَكَتْ أَنْظَارُكُمْ فِقْرًا بِهِ فَأَزْرَى بدُرِّ فِي نُحُورِ الحَلاَئِلِ

وَلَمَا أَفَضْتُمْ سَلْسَبِيلَ عُلُومِكُمْ أَجَدْتُمْ وَجَدْتُمْ دُونَ سُؤْلٍ لِسَائِلِ

أَبَا رَاسٍ فَافْخَرْ فَالفِخَارُ مُتَوَّجٌ عَلَى رَأْسِكُمْ حُزْتُمْ عَمِيمَ الفَضَائلِ[2]

في الواقع، إن أعلام الجزائر في عهدها العثماني لا يمكن أن نقف عند كل واحد منهم بالتفصيل، لطول قائمتهم، وكذلك لتنوع أعمالهم واختلافها من عالم لآخر، ونكتفي بالإشارة إلى هؤلاء ونذكر منهم محمد بن علي بهلول المجاجي (ت 1002)، الذي اشتهر "بالصلاح والتقوى وكانت له بركة عظيمة ودعاء مستجاب تشد إليه الرحال في المسائل العلمية هذب النقول ونقحها وكسا علم التصوف طلاوة وبهجة" [3]، وله شعر صوفي كثير ومنظومات علمية. وعبد الرحمن بن موسى

[1] – محمد أبو راس الناصر، فتح الإله ومنّته في التحدث بفضل ربي نعمته– حياة أبي راس الذاتية والعلمية–، ص66.

[2] – المصدر نفسه، ص68.

[3] – أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، ص433.

(ت 1011) وله قصائد متوسطة في الحث على الجهاد وفي الاستغاثة بالله ورسوله، وكان يعاصره محمد بن عبد الرحمن البوني* (ت 1018) وله شعر كثير في الخمر، ثم نجد احمد المقري** صاحب "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب" (ت 1041هـ- 1631م) كان إماما عالما متفننا حافظا للفقه والنوازل، له عدة تآليف منها نظم سماه "إضاءة الدجنة" وهي منظومة في العقائد اشتملت على فوائد عديدة وجواهر فريدة مع سلامة النظم وحسن المساق" [1]، دون أن ننسى يحي الشاوي[2] الذي يعد من كبار علماء القرن الحادي عشر(17م)، والذي اعتنى بعلوم النحو المنطق والتوحيد، تولى الإفتاء في المذهب المالكي كما اشتغل على تدريس العلوم منها الفقه والتفسير والنحو والتوحيد. والحسين الورثلاني (1713- 1780م) والذي كتب وألف في العديد من الأغراض وهو صاحب الرحلة المشهورة المسماة " نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار " المعروفة بالرحلة الورثلانية وشرح على المنظومة القدسية للشيخ عبد الرحمن الأخضري في التصوف وغيرها من الشروحات وله قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم في نحو 500بيتا [3].كما نذكر محمد بن قدار الجيلاني المستغانمي كان حيا سنة(1167هـ) من أهم آثاره منظومة طويلة تنيف عن أربعمائة بيت، وله أيضا منظومة في التراجم،

* - محمد بن عبد الرحمن البوني المكي شاعر وأديب لد بمكة أصله من بونة ولاية عنابة، رحلت عائلته إلى الحجاز واستقر بمكة المكرمة، فاخذ عن علمائها والعلماء الوافدين إليها .حفظ أشعار العرب ، علت شهرته وراسل العلماء والكتاب إلى أن توفي.

** - هو أحمد بن محمد بن يحي بن عبد الرحمن بن أبي العيش، أبو العباس المقري التلمساني، مؤرخ، أديب، حافظ، عارف بعلم الكلام والتفسير والحديث، ولد بتلمسان وبها نشأ، أقر له بعض العلماء بقوة الحجة والنباهة، من آثاره " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب" و"روضة الآس، العاطرة الأنفاس، في ذكر من لقيتهم من أعلام الحضرتين:مراكش وفاس" و"أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض" و"النفحات العنبرية في وصف نعال خير البرية" و"فتح المتعال في وصف النعال" و"خلاصة فتح المتعال والنفحات العنبرية" وهي عبارة عن أرجوزة تحتوي على 190 بيتا، وغيرها من الأعمال التي أنار بها الثقافة العربية والإسلامية.

[1] – محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تح: محمد حجي واحمد التوفيق، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1397هـ/1977م ، ج1، ص293.

[2] – ينظر: دراسة أبو القاسم سعد الله في كتابه " تاريخ الجزائر الثقافي، ج2".

[3] – يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1995، ج1، ص44.

وتأليف في فن الحكمة، ومحمد بن عبد الرحمن الحسن الأزهري* (1126هـ-ت 1208هـ) عرف بالطريقة الخلوتية من آثاره قصيدة تنيف عن خمسة وثلاثين بيتا قالها في التشوق ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم .والقائمة طويلة وحسبي بهذا القدر في هذا المبحث .

* - ينظر: ترجمته في كتاب "الخطاب الأدبي القديم في الجزائر" لمختار حبار .

ثانيا – واقعه بين المخطوطات والتحقيق والتأريخ:

إن التراث الأدبي الجزائري في الفترة العثمانية وهي الفترة الأخيرة للدراسات الأدبية القديمة "ونهاية القدم حدها سقوط الدولة العثمانية"[1]، هذه الفترة التي كان لها الأثر الواضح على تطور الأدب الجزائري بعامة والشعر بخاصة، حيث فرضت فيها السلطة هيمنتها الكاملة على الجزائر سواء باعتبارها امتدادا للخلافة الإسلامية التي كانت فيها الجزائر إلى جانب دول عربية أخرى تحت سيطرة الدولة العثمانية وجزءا من الدولة الإسلامية الكبيرة. ومن هنا فإن الباحثين أطلقوا على هذه الفترة بالعهد العثماني فكيف كان واقعه الأدبي من حيث التأريخ والتحقيق ؟وهل كان للمخطوطات دور في تكوين الهوية الأدبية في الجزائر ؟

إذا حاولنا تتبع العهد العثماني، فإننا نجده لا يزال غير مدروس من ذلك أغلب دواوين الشعراء التي ما تزال في طي الكتمان، ولا نعرف أن واحدا منها، مما يعود إلى العهد العثماني قد جمع وحقق إلا بعض الفصول أو المقدمات التي وجدناها هنا وهناك، هذا ولم يوجد تأليف قد غطى جميع جوانبه وسجل أحداثه ومظاهره إلا، بعض الأعمال لعلماء جزائريين كأبي راس وابن المفتي وابن حمادوش والورثلاني والمشرفي وأمثالهم الذين عاشوا وعايشوا الفترة المذكورة. أما ماكتبه ابن سحنون وابن ميمون وابن زرقة إلا معلومات تخص مشايخهم أو أولياء نعمتهم، أما دواوين المنداسي وابن على وابن عمار والمقري والمانجلاتي وابن سحنون وابن الشاهد وغيرهم لم تعرف بعد، فكل ما نعرفه عنهم بعض الأبيات أو القصائد المثبة في بعض المصادر التاريخية أو الفقهية أو المتفرقة في بعض الوثائق.[2]

[1] – مسعود بن ساري، إشكالية الهوية في الأدب الجزائري القديم، مجلة مقاليد، المركز الجامعي بميلة/الجزائر، 2013، ع 04، ص230.

[2] – ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص239.

فالذي يريد دراسة هذا العهد عليه العودة إلى كتب التصوف مثل مؤلفات الصباغ والقلعي والفكون وابن مريم والبطيوي، أو العودة إلى الرحلات والأعمال الأدبية والعربية وحتى الشروح الفقهية والنحوية كمؤلفات ابن عمار وأشعار ابن علي وشروح البوني وغيرها، ومن جهة أخرى تغاضى علماء الجزائر في العهد الفرنسي عن الذي سبقه في دراسته وتحديد معالمه بشكل دقيق وشامل إلا ما وجدناه في بعض الصفحات في كتاب "المرآة" لحمدان خوجة وكتاب "الجزائر" لأحمد توفيق المدني وبعض الإشارات في مؤلفات أبي حامد المشرفي وابن الأعرج وتراجم أبي القاسم الحفناوي. في المقابل اكتفى الفرنسيون بدراسة العهد العثماني فقط فيما يتصل بالعلاقات الجزائرية والفرنسية آنذاك وبهذا فقد ضاع جل الموروث الأدبي والثقافي المتعلق بالعهد العثماني بما فيها المخطوطات التي تركها العلماء الجزائريون ومعرفتنا عنها قليلة إلا ما يذكره المستشرقون الفرنسيون وضباط المكاتب العربية والمترجمون كما أن بعض المصادر الجزائرية وجد مترجما مع ضياع أصله العربي، وهناك آثار أخرى هي التي أخذها بعض العلماء الجزائريين الذين هاجروا إلى البلاد العربية والإسلامية خاصة بعد الاحتلال مايزال بعضه محفوظا والبعض الآخر اشتراه أو حاز عليه بعض المستشرقون، وبهذا نستطيع القول أن مصادر تاريخ الجزائر الثقافي تبعثر وتفرق بعضه في مكتبات العالم الإسلامي والبعض الآخر في عواصم أوربا .[1]

تعتبر المخطوطات أهم مصدر لتاريخ الجزائر الثقافي حيث أنها تشكل جزءا هاما من التراث الذي أبدعه علماء السلف فكونوا بذلك الحضارة بشتى أنواع المعرفة الإنسانية. وفي تعريف المخطوط: "هو كتاب لم يتم طبعه بعد، أي انه مازال بخط المؤلف أو بخط ناسخ غيره، أو أخذت عنه صور فوتوغرافية أو أن يكون مصورا بالمايكرو فيلم عن مخطوط أصلي."[2]، وتعد الجزائر من بين أهم البلدان

[1]- ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص29.

[2]- فهمي سعد وطلال مجذوب، تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1013هـ- 1993م، ص13.

التي لها تراثا معتبرا من المخطوطات رغم ما تعرض له هذا التراث من نهب وتدمير، ويوجد هذا التراث في الجزائر وهو موزع على عدد من المكتبات والخزانات والمساجد والزوايا، خاصة في المكتبة الوطنية، وآخر لا يقل أهمية عن الأول، موزع على بعض الدول والأقطار منها تركيا وفرنسا والمغرب وتونس وسوريا ومصر وغيرها من البلدان.[1]

إن المخطوطات القديمة هي جزء من الذاكرة الجماعية لكل أمة ومنتوجها الحضاري، فإن حمايتها ودراستها ونقلها إلى الأجيال هو واجب على كل دارس للتراث الأدبي والتاريخي، فهي موروث ثقافي اكتسبه الجيل الحديث من أجيال كانت في عهد مضى هي الرائدة في الفكر والثقافة، كما تعتبر وثيقة مادية تراثية حضارية تعبر عن مجالات الحياة المختلفة السياسية والدينية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والحضارية وغيرها، وبهذا فهي تصدر من مراكز الإشعاع العلمي والحضاري والمتمثلة في القصور والزوايا والمكتبات والمعاهد وغيرها، والتي شملت مختلف مناطق البلاد الجزائرية.[2]، وفي هذا السياق يقول يحي الحاج امحمد:" إن المخطوط سجل حافل يحفظ الأحداث ويرصد مجريات التاريخ ويواكب التطور الحضاري ويقرب بين الجماعات التي تفصلها مسافات، وهو وثيقة مكتوبة يمكن الاطلاع عليها بالاقتراب من عصر صاحب المخطوطة ومكانه، ومن معرفة تفاصيل دقيقة عن الحياة الفكرية والعلمية والأدبية والحالة الاجتماعية، فيصبح مصدرا هاما للتأريخ للحضارة ومتابعة تطورها" [3]، ومن خلال هذا التعريف يمكن القول أن المخطوطات في الجزائر كانت المصدر الهام والوحيد الذي من

[1]- ينظر: عبيد بوداد، عرض كتاب جرد وإحصاء المخطوطات الجزائرية بالمغرب الأقصى، مجلة رفوف للعناية بالمخطوط والدراسات الإنسانية، مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب إفريقيا، جامعة أدرار/ الجزائر، العدد 06، 2015، ص128.

[2]- بشار قويدر وحساني مختار، فهرس مخطوطات ولاية أدرار، أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، الجزائر، د.ط، 1999، ص07.

[3]- يحي حاج امحمد، تعليمية التراث الأدبي الجزائري، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، غرداية- الجزائر، 2010، ع08، ص353.

خلاله نحاول التعرف على الفترة التي اعتبرها الباحثون مفقودة؛ بفعل تقادم الزمان عليها، وتعرضها للإهمال واللامبالاة من جهة ، وتعرضها للسرقة والمصاردة والإحراق من جهة أخرى وهذا أثناء الحملات الاستعمارية التي توالت على العالم الإسلامي العربي فدمرته، ونهبت حضارته وثقافته وتاريخه.

ومن المخطوطات التي كان لها الأثر على التراث الثقافي والأدبي في الجزائر نذكر كتاب" عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" لمحمد أبو راس الناصر والمسمى أيضا "غريب الأخبار عما كان بوهران والأندلس مع الكفار" وهو الشرح الثاني لنظمه المسمى "الحلل السندسية، فيما جرى بالعدوة الأندلسية" [1]، والمؤلف مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر مرقم بـ 1632، 1633، وقد نشرت بعض"عجائب الأسفار"جريدة المبشر" بتاريخ 1818/01/01كما ترجمه ونشره كاملا المستشرق أرنو بعنوان[2]:

Voyages extraordinaires sur l'Afrique septentrionale , Alger,1885,

وهذا الكتاب هو الذي اشتهر به أبو راس، وأصل الكتاب قصيدة تاريخية نظمها بمناسبة فتح وهران الثاني على يد الباي محمد بن عثمان الملقب بالكبير وسماها" نفيسة الجمان في فتح وهران على يد المنصور بالله الباي سيدي محمد بن عثمان"، وانتهى من نظم القصيدة سنة 1205هـ، حيث بدأه بمقدمة تحدث فيه عن قيمة التاريخ وتاريخ التدوين التاريخي عند المسلمين، كما كان غرضه من الكتاب هو تسجيل فتح وهران ومدح فاتحها، فقسمه إلى جزئين الأول تكلم فيه عن وهران وما عانت منه عبر الزمن، وأما الثاني اشتمل فيها على الفتح العظيم ، والفخر الجسيم، ومدح فاتحها. [3]

[1] – محمد أبو راس الناصر، فتح الإله ومنّته في التحدث بفضل ربي نعمته– حياة أبي راس الذاتية والعلمية–، ص181.

[2] – عبد الحق زريوح، أبو راس الناصري الجزائري ومؤلفاته، مجلة التراث العربي، إتحاد كتاب العرب، دمشق، 1426هـ–2005، ع98، 235.

[3] – ينظر: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، ص96.

ونذكر كذلك القصائد [1]التي شرحها أبو راس الناصر :

1. البشائر والإسعاد،في رح بانت سعاد
2. نيل الأرب في شرح لامية العرب
3. كل الصيد في جوف الفرا
4. إزالة الوجم عن قصيدة لامية العجم.
5. الوصيد في شرح سلوانية الصيد.
6. الدرة الأنيقة في شرح العقيقة
7. طراز شرح المرداسي لقصيدة المنداسي.
8. الحّلة السعدية في شرح القصيدة السعيدية
9. الجمان في شرح قصيدة أبي عثمان
10. نظم الأديب الحسيب، الجامع بين المدح والّنسيب والّتشبيب
11. الرياض المرضية في شرح الغوثية.
12. لب أفياخي في عدة أشياخي.
13. حّلتي ونحلتي في تعدد رحلتي.
14. الفوائد المخبتة في الأجوبة المسكتة.

[1] – عبد الحق زريوح، أبو راس الناصري الجزائري ومؤلفاته، مجلة التراث العربي، ع98، ص 236.

كتاب تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها جمع وتحقيق فارس كعوان نشر بدار النشر "بيت الحكمة" في طبعة أولى من سنة 2009 وهو عبارة عن مجموعة من النسخ المخطوطة، وأول من استفاد من بعض النسخ المخطوطة ونشر مقتبسات منها بالفرنسية هو الباحث الفرنسي ألبير دوفو. ALBERT DEVOULX وقد ترجم قسما منها وهو" قسم العلماء" ونشره في المجلة الإفريقية REVUE AFRICAINE ضمن بحثه الذي يحمل عنوان" البنايات الدينية القديمة في مدينة الجزائر"، ثم طبعه في كتاب دون أن ينشر القسم العربي، وقد نشر فيه قسم العلماء فقط لكنه تعرض للحذف والاختزال في بعض المواضع. وبعد مرور نصف قرن قام الباحث الفرنسي جورج دلفان بترجمة القسم الآخر من الكتاب؛ وهو قسم الباشوات إضافة إلى مقدمة الكتاب. وبعد استقلال الجزائر نشر الأستاذ الجزائري نور الدين عبد القادر قسم العلماء، ووضع الكتاب الذي ظل مبعثرا عبارة عن مقالات نشرت في بعض المجلات هو الدافع الرئيسي الذي دفع المحقق من لملمته وجمعه في كتاب واحد كاملا هو" تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها"، حيث انقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام وهي خطبة الكتاب أو المقدمة، ثم قسم الباشوات، ثم قسم العلماء، وقد قال نور الدين عبد القادر :"إن أهم ما في تقييدات ابن المفتي هي الأخبار التي أوردها بعد ذكر أسماء حكام مدينة الجزائر مع بعض التفاصيل، الأخبار التي تتعلق بطبقة المثقفين وأهل العلم والمعرفة، وهذا هو القسم الطريف من هذا التأليف الصغير اللطيف." [1] وله أهمية في التاريخ السياسي والإداري ذلك انه يقدم قائمة لحكام الجزائر العثمانية، كما ذكر فيه فتوحات الحكام العثمانيين في الجزائر ضد الأسبان. وغيرها من الأخبار النادرة عن الجزائر السياسية في العهد العثماني . أما من ناحية التاريخ الثقافي فقد جاء فيه على مجموعة من المعلومات النادرة عن علماء مدينة الجزائر الذين تولو وظيفة الفتوى في الجزائر العثمانية كما ذكر المؤلف بعض الأخبار حول مكتبة الجامع الأعظم بمدينة الجزائر . وأورد

[1] – ابن المفتي، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، ص10.

أخبارا ومعلومات هامة عن الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، وهكذا يعتبر هذا المؤلف المصدر الأساسي والوحيد للباحثين في هذه الفترة التي قلت فيها الكتابات وخاصة التاريخية منها.

ومخطوط آخر بعنوان "كعبة الطائفين، وبهجة العاكفين، في الكلام على قصيدة حزب العارفين"، للشيخ موسى بن علي بن موسى الملالتي التلمساني مولدا ومنشأ. وهو مخطوط مهم حول الجزائر في العهد العثماني، وموضوعه في التصوف كما يورد مجموعة من الأخبار السياسية والاجتماعية والجغرافية والعلمية عن الجزائر، خاصة في غربها، القرن الحادي عشر والثاني عشر الهجريين؛ هذا الكتاب هو قصيدة ملحونة، وقد شرح هذه القصيدة تلميذه محمد بن سليمان الجزولي، وقد جمع في شرحه بين صلاح والده وصلاح شيخه صاحب القصيدة، أما ناسخ المخطوطة هو محمد بن يوسف المناري التلمساني، وقد نسخها من خط المؤلف عام1205هـ، وهو تاريخ فتح وهران الثاني على يد الباي محمد الكبير الذي عرف بتشجيعه للعلماء والنساخ، وهذا المخطوط يقع ضمن مجموع حيث تبلغ صفحات "كعبة الطائفين" وحده 146 ورقة. وبدايته "الحمد لله الذي نزه قلوب أوليائه عن الالتفات إلى متاع الحياة.." ونهايته " وقال سيدي عبد الرحمن .." ويبدو أن المخطوط مبتور الآخر. كما أن القصيدة جاءت بثلاثة أقسام، فالأول في أهل الصلاح، والثاني في أهل الفساد في زمانه من حكام ظالمين وعلماء منافقين، وأما القسم الثالث فكما ورد مبتورا.[1]

كما نذكر مخطوط أشعار جزائرية لكوكبة من الشعراء الذين عاشوا في الفترة المدروسة من أمثال أحمد المنجلاتي وابن الشاهد والشباح وابن راس العين وابن حمادوش وغيرهم، فأورد فيه مجموعة من الأشعار الخاصة بالقرن الحادي عشر والثاني عشر الهجري.وقد حققه أبو القاسم سعد الله ونشره بالمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر في سنة 1988.

[1] – ينظر: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، ص ص 164-165. وشرح القصيدة مفصلا يذكر فيه أحوال الجزائر العامة في العهد المدروس في الكتاب المذكور.

إلى جانب ذلك مخطوط" التحفة المرضية" لابن ميمون، كما له نظم أخر المسمى" عقد الجمان اللامع المنتقى من قعر البحر الجامع". و"الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني" لابن سحنون، دون أن أنسى الرحلات المخطوطة التي كانت مصدر مهم في التاريخ الجزائري هذه الرحلات التي تزامنت مع العهد العثماني منها رحلة ابن عمار المسماة " نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب"، ورحلة ابن حمادوش" لسان المقال" ورحلة الورثلاني، وغيرها التي جمعت مجموعة معتبرة من الأشعار من مختلف الأغراض.

أما من خلال تعريف التاريخ عند المؤرخين الجزائريين؛ فنجده غامضا لأنهم يجمعون بينه وبين علوم أخرى كالدين والسيرة، وبالعلم بأخبار الناس وأحوالهم الاجتماعية، فهذا ابن المفتي يعرفه فيقول:" وبعد، فإن علم التاريخ عبادة ومنة جزيلة، ومعرفة أخبار العلماء منقبة جليلة، وإن تلك الأخبار رسمها بالجزائر مندرس، وما كتبه ذوو الرحلة في شأنها وشأن رجال العلم فيها غير مقتبس"[1]، ويعد هذا التعريف هو حث الباحث على دراسة علم التاريخ خاصة إذا اخذ من العلماء وأخبارهم ورحلاتهم، لأن هذا العالم لم ينقله وهي وقائع حقيقية عاشها العالم في عهده. فأخبار الجزائر في ذلك العهد قد ضاع. فكان هذا التعريف هو تمهيده لدراسة أخبار العلماء وأخبار الباشوات الذين جاء ذكرهم في رسالته. أما تعريف أبو راس لعلم التاريخ والأخبار بأنه: "تحفة المجالس، المغني عن الأنيس والمجالس" وهو يريد بهذا قصص الأولين وسير الأنبياء وأخبار الحكام، وقد كان مفهوم " القصصي" للتاريخ شائعا حتى لمن كان يتميز بالحفظ وطلاقة اللسان وسرعة البديهة يقال له عالم بالأخبار والسير، وأهمية علم التاريخ في نظر أبو راس هي اعتناء الأدباء به من طبقة لأخرى فقال:" إن البحث من علم التاريخ ممن تقدم شأن الأدباء الأفاضل من أولى بصيرته، وقد اعتنى به أهل كل طبقة وجهابذة كل ملة من صلحاء

[1] – ابن المفتي، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، ص35.

السلف، وحذاق الخلف، في كل عصر..فألفوا وأفادوا وصنفوا وأجادوا"[1]، بعد ذلك حاول تبيان أهم أسماء المؤرخين المسلمين إلى أن وصل إلى السيوطي وأحمد المقري، كما ذكر عددا من المؤرخين قبل الإسلام.[2]

ومن خلال ما قاله الورثلاني الذي دافع عن التاريخ وبين فضله ومنزلته بين العلوم، قد بين أن علم السير ما هو إلا جزء من التاريخ ، فالعالم في نظره هو العالم بالتاريخ وتزيد مرتبته كلما زاد معرفة بالتاريخ فهو علم يزيد الإنسان في الفضائل ويبعد عنه القبائح، فقد نصح الورثلاني الباحث بعدم إهماله فهو يصحح به علمه، شرط الاعتماد على الكتب الصحيحة والمصادر الأصلية .[3]

والمؤرخ في العهد العثماني كان يعيش ضمن حدود ضيقة، وهذا للحياة السياسية والثقافية والجغرافية التي كانت تسيره، كما أن الحكام العثمانيين لم يطورا فكرة التواصل بين المؤرخ وبيئته، والبيئة عنده لا تتعدى قريته أو ناحيته أو الحادثة التي تمر بها البلاد كفتح وهران، كما أن المؤرخ كان يقيم نشاطاته سوى في الزاوية أو المسجد أو المدرسة التي تخرج منها فيترجم أو يؤرخ إلا في نطاق محصور معتمدا بالدرجة الأولى على ثقافته الخاصة، فكان المؤلف يقوم بعدة رحلات داخل الوطن لرصد الأحوال العامة التي كان يعيشها الناس فيسجل بعض الآراء الذاتية أو يسجلها من الذين التقى بهم أثناء رحلته، فمن الكتاب الذين توسعوا في دراسة لتاريخ العرب نذكر احمد المقري في موسوعته "نفح الطيب" وأبو راس في " الحلل السندسية" غير أن هذين التأليفين قد ركزا على الأندلس، ثم إن العلماء الجزائريين اشتهروا بخاصية الحفظ الغزير، وكان مفهوم التاريخ عندهم يعتمد على قوة الحفظ للمؤرخ، ثم إن معظم من تناول قضية تاريخية أو ترجمة، ركز في عمله على شرح قصيدة أو رجز فأصبح التأريخ

[1] – أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، ص94.

[2] – ينظر : أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص323.

[3] – ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص323.

عندهم يعتمد بالدرجة الأولى على الأدب وخاصة الشعر، ويمكن أن نبين بعضها وهي رجز المفتي محمد الحلفاوي في فتح وهران الأول وقصيدة أبي راس في فتح وهران الثاني، ورجز التجاني المسمى بـ "عقد الجمان النفيس"، فبعضها شرحها أصحابه أنفسهم كابن سحنون وأبوراس، والبعض الآخر شرحها غيرهم مثل الجامعي الذي شرح أرجوزة الحلفاوي، وهناك بعض الأعمال التي كتبها أصحابها مباشرة نثرا تاريخيا، أو مجموعة من التراجم، مثل" البستان " لابن مريم ، ومحمد بن ميمون الذي جعل تاريخه قائما على مجموعة من المقامات،" فكم من أبحاث راقية من علمي الكتاب والسنة ومن العبر والموعظة الحسنة والأخلاق يحتويها الشعر."[1] فكان للشعر دور مهم في التأريخ للحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية للجزائر في عهدها العثماني.

كما أن العديد من التآليف ضاع ولا يزال مفقودا كتآليف أبي راس الناصر، وبعض الأجزاء من رحلة ابن حمادوش ومعظم مؤلفات ابن عمار ككتابه " لواء النصر" الذي من خلال عنوانه يظهر انه تحدث عن أهل عصره و ربما يكون ذكر من فضلاء العصر حتى من سبقه من الأعلام، وكان يقصد بذلك صورة الأدب.[2] وهذه المؤلفات تحمل في طياتها الكثير من الشعر وهو مفقود أيضا.

ومن المؤلفات التي تعتبر من أهم المصادر في تاريخ الجزائر وعلمائها في العهد التركي:

- كتاب منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم الولاية لعبد الكريم الفكون، حققه وعلق عليه المرحوم أبو القاسم سعد الله، ونشره في دار الغرب الإسلامي ببيروت في طبعة أولى من سنة 1987م، وهو عبارة عن مذكرات كتبها المؤلف ضمنها حياته الشخصية وعائلته ومدينته وكل ما يتعلق بها وهو يحتوي على معلومات هامة حول الحياة الاجتماعية والثقافية وشيء من

[1]- جعفر شهيدي، الشعر دوره في أخلاق المجتمع- رأي الشريعة فيه، مجلة الأصالة، مطبعة البعث، قسنطينة/الجزائر، د.ت، ع27، ص219.

[2]- ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، 327.

الجانب السياسي في قسنطينة خاصة علاقة العائلات ببعضها البعض وكذا علاقتها بالسلطة، ثم ويذكر حالة العلماء الذين التقى بهم أو سمع عنهم، كما كان له ذكر للمتشبهين بالعلماء ، وفي موضع آخر تحدث عن المبتدعة وقد أطال الحديث عنهم، ثم أورد الكثير من الأخبار عن علماء عصره الذين عاش معهم كما ذكر بعض المساجلات التي جرت بينه وبين أمثاله من العلماء. ويقع مخطوط "منشور الهداية" في 294 صفحة وهو مكتوب بخط جيد عموما، مرقم ترقيما متسلسلا، هذا الكتاب الذي يعد في طليعة نوادر ذخائر المكتبة الجزائرية العربية.[1]

- مدونة عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأبو العباس الغبريني[2] احمد بن احمد بن عبد الله (644هـ- 714هـ) والذي حققه وعلق عليه الأستاذ عادل نويهض، ونشره بمنشورات دار الآفاق الجديدة ببيروت، في طبعة ثانية في أفريل 1979 للميلاد، وهذا الكتاب من أهم المصادر التاريخية في المكتبة العربية الذي يعالج فيه الكاتب الحياة العلمية في القرن السابع الهجري في إقليم بجاية، كما يعتبر سجل حافل لتراجم عشرات العلماء والمؤرخين والأدباء والشعراء وغيرهم ممن عرفتهم المدينة من مشاهير أعلام دول البحر الأبيض المتوسط والأندلس. نشر هذا الكتاب لأول مرة في مدينة الجزائر سنة1910 بعناية الأستاذ محمد بن أبي شنب.3 وقد ترجم فيه الكاتب لأكثر من مائة وأربعين من علماء القرن السابع الهجري، وأغلبهم عاصر العهدين الموحدي والحفصي، وهذه المدينة من أعرق المدن الإسلامية ومركز للإشعاع العلمي لصلتها الوثيقة بمراكز الحركات الثقافية في العالم الإسلامي، فكان للها الأثر

[1] – ينظر: عبد الكريم الفكون، منشور الهداية –في كشف حال من ادعى العلم والولاية–، ص ص(16-17).

[2] – أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي الغبريني، المعروف بأبي العباس، ولد سنة644- 1246م، حيث نشأ في ضواحي مدينة بجاية، أخذ على نحو سبعين شيخ، تولى وظيفة القضاء عدة مرات، آخرها مدينة بجاية. توفي سنة 714هـ-1315م.

[3] – ينظر : الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: عادل النويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979، ص04.

الواضح في الإنتاج الأدبي من شعر ونثر وتاريخ وحتى في العلوم الدينية والإسلامية.كما سجل فيه لبعض الأحداث التاريخية ، وأثبت بعض النماذج النثرية والشعرية لبعض المترجم لهم.

- كتاب البستان بذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لأبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الشريف المليتي المديوني التلمساني الملقب بابن مريم؛ كان حيا سنة1025هـ/1611م حقق هذا الكتاب واعتنى بمراجعته محمد بن أبي شنب؛ وطبعه بالمطبعة الثعالبية لصاحبيها أحمد بن مراد التركي وأخيه بالجزائر سنة 1326هـ/1908م. وفي هذا الكتاب؛ جمع مؤلفه معلومات هامة عن علماء تلمسان أوليائها وفقهائها ، ورجال الفكر فيها. واستقى بعض أخبارهم من كتاب بغية الرواد. والفائدة منه تتمثل في تقصي أخبار الأدباء والشعراء في تلمسان.[1] إضافة إلى ذلك سجل مجموعة من الأشعار وقد نسبها إلى أصحابها المترجم لهم . وقد جمع المحقق مجموعة من النسخ نسخه من مكتبة المدارس العليا الجزائرية المحفوظة تحت رقم 2001 ونسختين للمكتبة الدولية الجزائرية محفوظتين تحت عدد 1736، و1737، كما جمع نسخ أخرى من بعض الأفراد.[2]

- كتاب نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب؛ لأبي العباس احمد بن محمد المقري التلمسان (ت1041هـ/1631م)؛ حققه إحسان عباس؛ ونشر بواسطة دار صادر بيروت سنة 1388هـ/1968م. وهذا المصدر عبارة عن موسوعة أدبية وتاريخية لبلاد الأندلس والمغرب. وقد أفاد مؤلف هذا الكتاب كثيرا خاصة في التعرف ببعض أدباء وشعراء وعلماء تلمسان.[3] وقد طبع في "طبعته الأولى بمطبعة بولاق سنة 1279هـ/

[1] – ينظر: بوزيان الدراجي، أدباء وشعراء من تلمسان، دار الأمل للدراسات ، الجزائر، ط منقحة، ج1، ص20.

[2] – ينظر: ابن مريم، البستان بذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص4.

[3] – ينظر: بوزيان الدراجي، أدباء وشعراء من تلمسان، ج1، ص24.

1862م، ثم طبع بعد ذلك سنة 1302هـ/1885م في المطبعة الأزهرية، فعرفه الناس وتداولوه، فاشتهر لأنه كان أول كتاب تناول الأندلس بالتفصيل، ثم طبع بطبعة ثالثة في مصر سنة1949م" .[1]

- كتاب الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني لأحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، حققه وقدمه الشيخ المهدي البوعبدلي، كما اعتنى به عبد الرحمن دويب، ونُشر في عالم المعرفة للنشر والتوزيع بالجزائر، في طبعته الأولى من سنة2013، ويعد هذا الكتاب من أهم الكتب التي عنيت بتاريخ الجزائر من خلال ذكر مآثر بعض حكامها كما ترجم لجملة من علماء الجزائر خاصة في الفترة العثمانية، وقد نشر أول مرة سنة 1973م، بمطبعة البعث بقسنطينة ضمن سلسلة التراث التي اعتنت بها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية بالجزائر، بتحقيق وتقديم الشيخ المهدي البوعبدلي، وهذه الطبعة الجديدة التي صنفت من جديد مع مراجعة مضمونه وبعض التصحيحات. والمؤلَّف عبارة عن مذكرات لشاهد عيان على الفترة المدروسة، حيث كان يعيش في بلاط الباي، وكان ملازما لولده (وليُّ عهده)، وجاء الثغر الجماني بمناسبة فتح وهران الثاني فكان بمثابة السجل الجامع الذي عني بتاريخ الغرب الجزائري، وهدف ابن سحنون هو الحث على الجهاد والتنويه بأهميته، كما تعرض لحياة الباي محمد بن عثمان، فبين اهتمامه بالثقافة والمثقفين وغير ذلك من المحاسن وقد قال فيه الكثير من الشعر، كما ذكر مجموعة من أعلام الجزائر الذين كان لهم الفضل كذلك في تدوين التراث الجزائري في الفترة العثمانية كالمشرفي وابن راس العين، وأبو راس الناصر، وأحمد ابن عمار، وأمثالهم.[2]

[1] – محمد عبد الغني حسن، المقري صاحب نفح الطيب، الدار القومية للطباعة والنشر، د.ت، ص174.

[2] – ينظر: ابن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح: الشيخ المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013، ص14. من مقدمة الكتاب.

- كتاب أزهار الرياض في أخبار عياض؛ لأبي العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني، حققه كلا من مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ونشر بواسطة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة 1939م، ويشبه هذا المصدر كتاب نفح الطيب؛ إذ يعتبر بدوره موسوعة أدبية تتناول ما أنتجه المغاربة والأندلسيون من تراث أدبي نثري وشعري، وفوائده في هذا المجال كثيرة ومتنوعة.

- كتاب تعريف الخلف برجال السلف؛ أبو القاسم محمد الحفناوي الديسي (1269هـ /1852- 1361هـ/1942م) قدم له محمد رؤوف القاسمي؛ طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية بالجزائر سنة 1991م سبق نشر هذا الكتاب في مطبعة بيير فونتانة الشرقية في الجزائر سنة 1906م، وهو يشتمل على عدد كبير من التراجم المغاربية والجزائرية بالخصوص وهو مفيد جدا لمن يهمه التراث الجزائري القديم خاصة علمائها الذين عاشوا في السلف وما دونوه من أعمال أدبية وتاريخية وشروحات لفتت بذلك أنظار الدارسين والباحثين في هذا المجال.

ومن المراجع[1] التي اعتبرها الباحثون لها أهمية كبيرة في تاريخ الجزائر عبر الزمن نذكر:

- كتاب تاريخ الجزائر العام؛ لعبد الرحمن بن محمد الجيلالي نشر دار الثقافة ببيروت سنة1982م وموضوع هذا الكتاب هو التاريخ العام للجزائر وبلدان المغرب، وهو قيم جدا..تناول المواضيع الثقافية وتراجم لأعلام الجزائر وتلمسان من علماء وشعراء وكتاب.

- كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث لمبارك بن محمد الميلي نشر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر سنة1976م. وهذا الكتاب أيضا خاص بالتاريخ العام للجزائر وبلدان مغربية أخرى، من حيث الاهتمام بالمجال الثقافي، والعناية بأعلام الجزائر ومثقفيها.

[1] – ينظر: بوزيان الدراجي، أدباء وشعراء من تلمسان، دار الأمل للدراسات ، الجزائر، ط منقحة، ج1، ص40.

- كتاب معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر؛ لعادل نويهض، نشر مؤسسة نويهض الثقافية بيروت سنة1980م. يشتمل هذا الكتاب على تراجم لمجموعة كبيرة من أعلام الجزائر، غير أن أسلوبه المختصر يستدعي الحاجة للبحث عن مراجع أخرى لاستكمال ما نقص فيه.

- كتاب تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري؛ أبي القاسم سعد الله، نشر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر سنة1981م.يشتمل هذا المرجع على معلومات هامة حول العلماء والكتاب والشعراء ..

أما الانجازات في تحقيق المخطوطات ودراستها، وأشير إلى أن بعضها سبقت الإشارة إليها، بالإضافة إلى تلك الأعمال التي أنجزها ونشرها المرحوم محمد بن أبي شنب (1869-1929م)، والتي وصلت إلى أكثر من أربعين مؤلفا مابين تحقيق ودراسة، فمما حققه أبي شنب ونشره من أهم المخطوطات هي رحلة ابن عمار المسماة" نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب" حيث نشرت بمطبعة فونتانا- الجزائر- 1902. وهي مقدمة ذكر فيها ابن عمار شعره وشعر غيره ممن عاش معهم كشيخه ابن علي، والمنجلاتي وأمثالهم .كما حقق أبو شنب رحلة "نشر أزهار البستان فيمن أجازني في الجزائر وتطوان" لابن زاكور الفاسي في مطبعة فونتانا، الجزائر، 1902، وأعيد طبعه في الرباط سنة 1967 والذي يحتوي على أسماء العلماء والأدباء الذين التقى بهم في الجزائر وتطوان فتحدث عنهم وأورد بعض القصائد لهم. ونجده حقق أيضا كتاب "البستان في ذكر الأولياء بتلمسان، كذلك في مطبعة فونتانا، الجزائر، 1908م، وأعيد طبعه في ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986 ويحتوي على نحو مائة واثنين وثمانين ترجمة من علماء تلمسان. وحقق أيضا كتاب " نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، للحسين بن محمد الورثلاني والمعروف بالرحلة الورثلانية، مطبعة بيرفونتانا، الجزائر، 1908، وأعيد طبعه في لبنان بطبعة ثانية سنة 1974. إضافة إلى انه حقق كتاب "عنوان الدراية فيمن عرف

من العلماء في المائة السابعة ببجاية، للغبريني، لمطبعة الثعالبية بالجزائر في سنة 1910، وأعاد تحقيقه ونشره رابح بونار في الجزائر سنة 1971، كما حققه أيضا عادل النويهض في لبنان سنة 1969، وله أعمال كثيرة من دراسات ثقافية عن الجزائر العثمانية.[1] والتي تعتبر من أهم المصادر التي اعتمدت عليها، وعلى الدارس الرجوع إليها خاصة إذا تعلقت دراسته بالعصر العثماني في الجزائر.

ونذكر كذلك أعمال وإنجازات أستاذنا المرحوم أبو القاسم سعد الله الذي شملت أعماله دراستي هذه لأنني وجدت أغلب أعماله تدرس العهد العثماني، ومن هذه الأعمال كتاب أشعار جزائرية الذي حققه ونشره في الجزائر بالمؤسسة الوطنية للكتاب سنة 1988م، وموسوعته " تاريخ الجزائر الثقافي" خاصة الجزئين الأول والثاني لانهما تناولا الفترة المدروسة، كما حقق كتاب منشور الهداية والذي سبق الحديث عنه، وله أعمال دراسات معتبرة لعلماء عاشوا في الفترة العثمانية منها دراسته لعبد الرزاق ابن حمادوش التي جاءت في كتابه أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، كما له دراسة لابن علي، وابن عمار، وابن ميمون ، وأبو راس الناصر وغيرهم. ومن الرحلات دراسته عن رحلة الورثلاني، ورحلة ابن حمادوش المسماة" لسان المقال"، وغيرها من الدراسات التي نشرها في بعض المجلات الوطنية والدولية وقد حاول فيه الباحث الاقتراب من العهد المدروس والذي يحمل الكثير من العلم والعلماء الذين لا يزالون في طي الكتمان.

إن الآثار التاريخية والأدبية والثقافية وغيرها، التي كتبت عن الجزائر وعلمائها وشيوخها وشعرائها،أظهرت لنا صورة الجزائر في العهد العثماني وما عانته من هذا الاستعمار الخفي الذي سيطر على السلطة الحاكمة، كما صرف النظر عن الجانب الثقافي والعناية به من جهة، ولتوالي الحملات الاستعمارية على دول المغرب العربي بما فيها الجزائر من جهة أخرى، سبّب ذلك في إتلاف وضياع

[1] – ينظر: مختار حبار، الخطاب الأدبي القديم في الجزائر – دراسة بيبلوغرافيا –، ص 22 .

الكثير من الأعمال والوثائق والمدونات والمخطوطات. ورغم هذه الصعاب إلا انه بفضل جهود علمائنا وما قاموا به من عمليات البحث والتنقيب والشرح والتفسير والتحقيق، فإننا نرى الجزائر العثمانية ولو بصورة رديئة لكننا نراها. وهي مازالت في حاجة إلى بحث العلماء وتنقيبهم، والعناية بمصادرها من مخطوطات ووثائق، لدراستها ونشرها، والبحث عليها في مظان الوثائق ومحفوظها، حتى يتضح الوجه الحقيقي والنقي لحالة الجزائر الثقافية، فيتعرف فيها الجيل الصاعد على وطنه ومرجعيته الثقافية والحضارية خاصة في العهد العثماني. والكتابة عن تاريخ الجزائر "ليس مهمة المؤرخ وحده، فكما أن المؤرخ بالأمس يرجع إلى المذكرات والأشعار وكتب التراجم والروايات، كذلك يستلزم اليوم مساهمة جميع العناصر المنتجة ثقافيا كمذكرات رجال الدولة، والمناضلين القدماء، والعسكريين والصحفيين والكتاب وأساتذة العلوم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وأضرابهم."[1] لان أعمال هؤلاء ستصبح في المستقبل مادة تاريخية هامة، ذلك لأن كل فئة من هؤلاء لها دورها وتفسيرها وموقفها من الأحوال العامة للبلاد، وبهذا التعاون نستطيع جمع المادة التاريخية والحفاظ عليها وتوفيرها للباحثين والمهتمين بهذا المجال.

[1]- أبو القاسم سعد الله، في الصميم عن الكتابة التاريخية، مجلة الثقافة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1 ديسمبر 1981، ع 66، ص 07.

ثالثا – دراسة كتاب أشعار جزائرية – لابن عمار الجزائري – تحقيق: أبو القاسم سعد الله :

3– 1 التعريف بالديوان :

هو عبارة عن مخطوط شعري جمعه الشاعر ابن عمار عنه وعن غيره من الشعراء منهم ابن علي وأحمد المنجلاتي ومحمد سعيد الشباح وغيره من الشعراء الجزائريين، وهو في الحقيقة كتاب بطبعتين الأولى سميت بأشعار جزائرية و الثانية سميت بأشعار مجهولة من الشعر العربي، فقد ضمنا نفس المحتوى بصورتين مختلفتين في الشكل الخارجي للكتاب، وقد حققه وعلق عليه الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله رحمه الله، فبوبه وعرف بأصحابه، كما أشار إلى أعماله الأخرى التي توسع فيها لبعض العلماء الذين وردوا في هذا المخطوط وآخرون ككتابه تاريخ الجزائر الثقافي الذي نعتبره أكبر مصدر وأهمه وقد اعتنى فيه الكاتب بتاريخ الجزائر الثقافي عبر العصور من القديم إلى الحديث، ثم نشر "المخطوط بالمؤسسة الوطنية للكتاب في الجزائر سنة 1988 " [1].

هذا المخطوط مبتور الأول والآخر، ويقع ضمن مجموع يبدأ بفهرسة الشيخ عبد الرحمن الثعالبي المسماة" غنيمة الواجد وبغية الطالب الماجد "أضاف إليها بعض الأشعار والأخبار المتعلقة به، وهذا المخطوط يبدأ من صفحة 68 وينتهي بصفحة 123، وآخر المكتوب فيه هو البيت عدد 16 من قصيدة ابن علي الطويلة، في قوله :

وَأَفَدَتْنِي بِغَرَائِبَ تُجْلَى الدُّجَى وتَخْلُصُ المحْزُونَ مِنْ أَحْزَانِهِ [2]

[1] – مختار حبار، الخطاب الأدبي القديم في الجزائر – دراسة بيبلوغرافيا –، ص 162 .

2 – ابن عمار ، أشعار مجهولة من الشعر العربي، ص 08 . وكتب البيت في التقديم هكذا :

وأفدته بغرائب تجلي الأسى ** وتخلص المحزون من أحزانه

هذا، وقد أكمل أبو القاسم سعد الله القصيدة من رحلة ابن عمار المسماة بـ" نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب"، التي حققها محمد بن أبي شنب.

بداية وفي فاتحة الكتاب بدأه المحقق ببيتن شعريين لابن علي والذي يدعو فيه الشعراء عبر العصور أن الشعراء عانوا في عصره من مظالم مختلفة ويدعوهم بان يصونوا الشعر ويعتنوا به فيقول:

فَيَا شُعَراءَ العَصْرِ إِنَّ زَمَانَنَا زَمَانَتُهُ لمْ تَتَّحِدْ بمَكَانِ

فَصُونُوا يَوَاقِيتَ القَرِيضِ فَإِنَهَا بِعَصْرِكُمْ نَوْعٌ مِنَ الهَذَيَانِ[1]

ومن خلال تقسيم وتبويب المدونة، فقد جاءت بثلاث أقسام، سبق هذه الأقسام مدخل بدأه بتقديمه للمخطوط فيما يتعلق بكيفية حصوله على المخطوط ونسخه له، ثم توضيحاته لمنهج التحقيق، فعصر المخطوط، ثم بين أهميته الأدبية و التاريخية، وختم المدخل بترجمة لشعراء المخطوط وهم ابن علي، ابن عمار، وابن ميمون، والقوجلي، وابن راس العين، والشباح، والمنجلاتي .

أما القسم الأول عنونه بـ مساجلات ابن علي وابن عمار، وتبدأ هذه المساجلات من " وتنزهنا يوما " وتنتهي بقول ابن عمار يخبر عن ابن علي : "وأهدى إليه بعض أبناء الرؤساء فروا "، وأهم ما في هذا القسم هو النزهة التي قاما بها الشاعران ابن علي و ابن عمار في بساتين الجزائر سنة 1163، نزهة أنتج من خلالها الشاعران أشعارا ميزها غرض الوصف لهذه البساتين وجمالها، وهذا القسم ضم مجموعة معتبرة من المساجلات بين الشاعرين وهي قصائد شعرية ونصوص نثرية برعا فيها الشاعرين وأشادا ببعضهما كما وظفا مختلف الأغراض الشعرية كالوصف والمدح والرثاء والتشبيب وغيرها، ووصف ابن عمار قصر ابن عبد اللطيف نثرا وشعرا، وهناك شعراء آخرون في هذا القسم منهم ابن ميمون الذي

[1] – ديوان أشعار جزائرية، ص02.

قال قصيدة في معشوقة ابن علي، والذي بدوره يرد عليه بعدة قصائد من نفس الغرض، وأعقب ذلك بقصيدة يصف فيها طبيعة الجزائر فذكر ديارها وهو يتغزل، وإضافة إلى ذلك ذكر تخميسا لنفسه لأبيات لسان الدين بن الخطيب في المعتمد بن عباد، حين زار قبره وهو يقول فيه :

طَابَتْ بِذِكْرَاكِ أَنْفَاسِي وَ أَوْقَاتِي وَ أَنْتَ مِنِّي مَحَلَّ الرُّوحِ فِي الذَّاتِ

يَا غَائِبًا وَهُوَ مَحْفُوفُ بِمَرْءَاتِ قَدْ زُرْتُ قَبْرَكَ عَنْ طَوْعٍ بِأَغْمَاتِ

رَأَيْتُ ذَلِكَ مِنْ أَوْلَى المُهِمَاتِ [1]

ثم، كانت لابن علي أبيات متفرقة ومختلفة الأغراض، في الغزل، والوصف، والحكمة، وحتى في التأريخ الذي يقول فيه ابن عمار: "وأنشدني لنفسه مؤرخا للمخزن الذي بناه الأمير محمد باشا بين أبواب باب عزون في موضع الصمّارين من محروسة بلدنا الجزائر حرسها الله" [2]:

لَئِنْ كَانَتْ الأَهْرَامُ مِنْ مِصْرِ أَوْدَعَتْ خَزَائِنُهَا دُراً نَفِيسًا وَيَاقُوتًا

فَذَا الهَرَمُ الأَعْلَى أَجَلَّ لِأَنَّهُ جَمِيعُ البَرَايَا مِنْهُ يَلْتَمِسُ القُوتَا

فَدَامَتْ لُبَانِيَةُ السَّعَادَةِ وَانْثَنَتْ كِتَابًا لَهُ فِي صَفْحَةِ الدَّهْرِ مَوْقُوتًا

دِمَشْقُكَ تَارِيخٌ لِإِكْمَالِ وَضْعِهِ وَمَنْ سَاءَهُ ذَا الوَضْعُ لَا زَالَ مَمْقُوتًا

وختم القسم الأول بأبيات لابن علي يمدح فيها أحمد الورززي التطواني* في إحدى زياراته إلى الجزائر، ومما لاحظناه في هذا المخطوط أن قصائد ابن علي أكثر من قصائد ابن عمار صاحب جمع

[1] – ديوان أشعار جزائرية ، ص 78 .

[2] – المصدر نفسه ، ص 82 .

* – أحمد الورززي التطواني : هو سيدي أبي العباس أحمد الورززي من علماء المغرب البارزين خلال العهد العثماني، كان يتردد على مدينة الجزائر يلقي الدروس بها وقد حضر درسا له الشاعران ابن عمار وابن حمادوش بالجامع الكبير سنة 1159، توفي بتطوان بتاريخ 1189 .

هذه النصوص، فقد جمع لغيره دون أن يهتم بأعماله، ونحن نظن أن أعمال ابن عمار تسابق أستاذه وصديقه ابن علي، وهذا ما أكده سعد الله عندما علق على أبيات لابن عمار فقال: " وقد تعمد ابن عمار أن يجيبه بنفس الوزن والقافية، فكأنه بذلك يسابقه ويبارزه ." [1]

وأما القسم الثاني فركز فيه على غراميات ابن علي ونجد في هذا القسم أن ابن عمار يتسلم ديوان صديقه وأستاذه ابن علي فقال : " وناولني ديوانا له بخطه، جاريا على مقتضى الإتقان وشرطه، فكتبت منه ما نصه، ما أخرجته منه من مخرج الغزل، وحام بلبله على روضة الحسن ونزل. " [2] ومن خلال ما ذكر ابن عمار فقد أخذ الديوان فاختار وانتقى منه القصائد الغزلية فقط، في حين ترك باقي الأغراض .

ثم، وبعد قصائد الغزل لابن علي قال ابن عمار: "هذا آخر ما أثبته من غرامياته في هذا الديوان، وجلاه من عرائس غزلياته في هذا الإيوان "[3] . هو يخبرنا أن ذلك هو ما أثبته ابن علي من غزلياته في الديوان الذي أعطاه إياه، وبعد ذلك نجد وصف ابن عمار لهذا الديوان فقال: "قلت، قد أجاد هذا الفاضل في جمع هذا الديوان* العجيب، واتى فيه بكل لفظ رائق ومعنى غريب، غير أنه جمع فيه من كلامه وكلام غيره الغثّ والسمين وأودع صدفه من جواهر الكلم الثمين وغير الثمين."[4] لاحظت من خلال الوصف أن ابن علي أجاد في عملية الجمع والانتقاء حتى أن ابن عمار تعجب من

[1]- ديوان أشعار جزائرية، ص 41 .

[2]- ابن عمار ، الرحلة، ص 73 .

[3]- ديوان أشعار جزائرية، ص 99 .

*- الديوان الأولى تعني مجموع الشعر الغزلي لابن علي ، أما الثانية تعني كشكول ابن علي الذي جمع فيه أشعاره وأشعار غيره بمختلف الأغراض وهو مخطوط الدراسة .

[4]- ديوان أشعار جزائرية، ص 100 .

هذا الديوان! فقد أتى فيه بألفاظ تروق للسامع ومعاني جديدة غريبة على غير العادة، فقد جمع فيه كل من كلامه و كلام غيره الجيد منه والرديء وأضاف إليه جواهر الكلم الثمين وغيره .

وفي نقد ابن عمار لطريقته قال: " فكان فيه كحاطب ليل، وجالب رجل وخيل . فطال بذلك وحقه أن يقصر، وهصر من روض الشعر أغصانا لا ينبغي أن تهصر ." [1] فقد شبهه بحاطب الليل الذي لا يرى الحطب الجيد من الرديء فيأخذ كل ما يأتي في طريقه وهكذا ابن علي. فقد جمع كل ما وجده من أقوال وأشعار دون أن يتخيّر الجيد منه والغث، ثم يبين من خلال نقده أنه أطال كثيرا في بعض المواضع التي يجب فيها الاختصار، كما هصر أي ترك من روض الشعر قصائد لا ينبغي لها أن تترك أي هو كذلك فعل كما فعل ابن عمار انتخب على حسب ذوقه ولم يترك هذه الأشعار لغيره.

كما وجدت نقده لابن علي في الرحلة حول شعره فقال عنه: "..أبقى الله وجوده بالألطاف محفوفا، وبالنفحات الأدبية منفوحا متحوفا، رأيته أول ما لقيته وأنا لا أعرف مسماه، فرأيت صورة تقل على حقيقة الأدب ومعناه، يبادرني بسلام يوذن بعرفان سابق، ويشهد بحب لاحق، فشاءت منه لطافة لو تجسدت لكانت ماء ولألأ، وعاينت فيه ظرافة لو تعللت لود النسيم أن يكون لها اعتلالا. " [2]

فهذا البارع في عهده، المبدع الأديب، ونفحات أدبية متحوفة، وهو يقصد بهذا جمال البيان وبالتالي فهو مدح للكلام وحسن القول وهذه هي البلاغة على حد قول أبو هلال العسكري : "البلاغة كلّ ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفس كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن"[3]، فالكلام بائن ومكشوف المعنى والمغزى، أظهر حقيقة ومعنى الأدب، أدب لو تجسد لكان ماءا ولؤلؤا، وهو يظهر لنا من خلال قوله لو تجسد، أن أدبه كان مختلفا لكنه لم يجد اهتمام ولا

[1] – المصدر السابق، ص100.

[2] – ابن عمار، الرحلة، ص81 .

[3] – أبو هلال العسكري، الصناعتين ، ص 08 .

تذوق من طرف المتلقين والمسؤولين والحكام وهذا نتيجة للأحوال العامة التي كان يعاني منها العلماء الجزائريين في ذلك العهد، فلو تجسد ولقي صدى واهتمام وتذوق لكان ماءا ولؤلؤا، فلا نعلم شاعرا في القرن الثاني عشر على حد قول سعد الله، "قد بلغ مبلغ ابن علي في قوة النفس واتساع العارضة والحبكة الشعرية وطواعية المعاني للألفاظ ومواتاة الصور"[1]. وقوله وعاينت فيه ظرافة لو تعللت لود النسيم أن يكون لها اعتلالا فحتى في نقده نجد استعماله لألفاظ الطبيعة في كلمة النسيم فظرافة شعره تدخل إلى أعماق متلقيه كنسيم الهواء النقي والخالي من الشوائب.

وفي القسم الثالث والأخير الذي كان بعنوان : ما جمعه ابن علي في ديوانه من شعر غيره حيث بدأه بمقدمة ابن علي لديوانه، هذا الأخير افتتحها بحديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لقوله: ﴿إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكمة﴾، مبينا السبب الذي دعاه إلى جمع هذا الديوان بقوله: "فقد دعاني لجمع هذا الديوان، ما منيت به من أبناء الزمان، من شماتة إن ألمت مصيبة، وسهام من نكايتهم مصيبة، فجنحت إلى صرف تلك البلابل، بما يفوق عن احتساء البلابل، واستماع نغمات البلابل، وهو ما صيغ من ألسن بعض أهل العصر.." [2] فقد جمع من الأقوال التي هزت مشاعره، فبلاء البلاد يولد الكثير من المشاعر والأحاسيس التي تلم بالشعوب المضطهدة بما يصيبها من مصائب، وقد تجد هذه المشاعر صدى للكثير من المحبين لكنها في المقابل تجد من يشمت بها ويصخر، وهذه الأقلام المتفرقة التي سماها بالبلابل، وأكمل حديثه باقتنائه لهذه الأشعار التي اعتصرها من ينابيع قرائحهم، وأضاف إليها أحيانا من قريحته الجامدة والفكرة الخامدة وهو يقصد العصر في جموده الثقافي والأدبي. ثم أدرج مجموعة معتبرة من القصائد والأبيات الشعرية المختلفة الأغراض والأشكال، والتي سماها أبو لقاسم

[1] – ديوان أشعار جزائرية، ص 17 .

[2] – المصدر نفسه، ص 103 .

سعد الله كشكول ابن علي أو كناشه الذي جمع فيه أشعار غيره من الشعراء وسماه ديوانا وبداية هذه القصائد لجده محمد المهدي الذي يشكو فيها أمرا لعلماء اسطنبول قال في بدايتها :

أَرْجُو الغَيَّاثَ بِنَاصِرِي الإِسْلَامُ وَمُؤَيِدِيهِ بِأَلْسُنِ الأَقْلَامُ

فَأَرِثُوا لِحَالِي وَاسْمَعُوا لِقَضِيَّتِي وَظَلَّامَتِي وَتَلَهُفِي وَضَرَامِي[1]

الشاعر هنا لم يفصح عن طبيعة الشكوى، فالغالب أنه يشكو من أمرا أو قضية نزلت به في بلاده إلى أحد علماء القسطنطينية مفتي أو عالما أو شيخا في الإسلام .

ثم، ذكر قصائد أخرى لجده في الشوق وغيرها من نفس الغرض، بعد ذلك كانت أبيات لعدة شعراء وهم سعيد الشباح في الاستغاثة، ومحمد القوجلي في وصف قصة نثرا وشعرا صارت مع جد ابن علي وسعيد قدورة* وبعد، ذلك تخميس لابن راس العين، فقصيدة للقوجلي في شيخه الأنصاري مع تعليق ابن علي عليها، متبوع بعدة قصائد كذلك للقوجلي في شيخه الأنصاري، ثم أبيات له أيضا في رثاء أحمد الزروق بن داوود، وأخرى في مدح المفتي ابن قراوش ويذكر زلزال بالجزائر، كما له أيضا قصائد في الغزل والنقد والوصف وكلها في موضوعات مختلفة كضيافته بتونس، وحديثه عن الربيع و رأيه في الطرب وغيرها .

وعاد لابن راس العين في موشح له في الغزل والمدح . وقصيدة المنجلاتي في مفتي اسطنبول حول نفي قدورة وأحوال الجزائر .نعود لابن علي وهو يشيد باللسان العربي، ويذكر أبياتا لمفتي اسطنبول، وفي الأخير يذكر بداية قصيدة للمنجلاتي في المديح النبوي الذي قال فيها:

---

[1]- المصدر السابق، ص 104 .

* - سعيد قدورة : هو مفتى المذهب المالكي بالجزائر في ذلك العهد توفي سنة 1066 هـ.

يَا حُسْنَ بَدْرٍ لَهُ كَلَامُ يُجِلُّهُ الرُوحُ وَالكَلِيمُ

عَلَى هَوَاهُ اِنْطَوَتْ عِظَامُ وَجَاهُهُ فِي الوَرَى عِظَامُ [1]

هذا، وقد أوضح أبو القاسم سعد الله، أن بهذين البيتين انتهى المخطوط، فالظاهر أن قصيدة المنجلاتي في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم غير منتهية فرقم صفحة المخطوط هو 112، وبعدها صفحة بيضاء، فقصيدة ابن عمار الرائية، وقد حاول سعد الله إيجاد بداية سليمة للمخطوط لأنه كما ورد في تعريف الديوان مبتور الأول والآخر، وقد بقيت نهايته مبتورة لأنه يبدو أن ابن عمار، أو الناسخ قد توقف في ديوان ابن علي عند بيتي المنجلاتي في المقام النبوي، وفيما يظهر في وصف ابن عمار لديوان ابن علي فإنه أورد وجمع شعر غيره من القرن 17/11 ولم يستوفهم، كما انه لم يتحدث بعد إلى شعراء عصره وهو القرن 18/12، والجدير بنا أن نواصل البحث عن بقية الديوان والذي بيّن سعد الله انه يتكامل مع كتاب "لواء النصر في فضلاء العصر "لابن عمار الذي ما يزال مفقودا ليومنا هذا.[2] وهذا لأن عنوانه يتوافق مع محتوى المخطوط الذي يحتوي على جملة من شعراء عصره، من شعر ونثر.

3 – 2 عصر الديوان :

إن الأزمنة التي قيلت فيها قصائد هذا المخطوط تناولت إنتاج القرن 17/11 والقرن 18/12، ذلك أن كشكول ابن علي اشتمل على قصائد لشعراء عاشوا في القرن الحادي عشر الهجري، ومنهم جداه الأعلى والأدنى ووالده ومحمد القوجلي وأحمد المنجلاتي ومحمد ابن رأس العين ومحمد الشباح، إضافة إلى ذلك جاء في المخطوط على ذكر شاعران، أولهما التونسي محمد بن عثمان ضاي، والمغربي الشريف السوسي، وقطعة لمفتي اسطنبول أسعد أفندي، كما اشتمل على شعراء عاشوا في القرن الثاني

[1] – ديوان أشعار جزائرية ،ص 137.

[2] – ينظر : المصدر نفسه ، ص 137 .

عشر منهم: ابن علي وأحمد ابن عمار ومحمد بن ميمون، كذلك ما أشار إليه ابن عمار في الرحلة لأحمد المنجلاتي الذي أشاد به واعتبره من الشعراء المجلين في هذا العصر ولقبه بمثلث طريقتي ابن الفارض والبوصيري فشعره في المخطوط قليل وربما يكون في الجزء المبتور. وبداية الديوان كانت بشعراء العصر الحادي عشر وتابع ذلك إلى أن وصل إلى شعراء عصره، وقد كان يشير إليهم باسم " أهل العصر "، والملاحظ أن ابن علي لم يستوف كل شعراء القرن الحادي عشر ولا الثاني عشر ذلك لان المخطوط مبتور الأول والآخر كما أشار إلى ذلك سعد الله .[1]

وقد عرض ابن علي نماذج منوعة غير مرتبة من الأشعار، لشعراء القرنيين المذكورين، فذكر بذلك مناسبة لكل قطعة أو قصيدة تتصل بها مضيفا إلى ذلك بعض المعلومات والإشارات للتوضيح، وأحيانا للتنبيه، دون أن يهتم بالترجمة لأصحاب النصوص وهو يختلف بطريقته هذه عن ابن عمار الذي اختار أن يجمع في عمله " لواء النصر في فضلاء العصر" بين الترجمة والنص معا، وهذا ما ظهر في رحلته المسماة "رحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب " فقد ترجم لابن علي ثم أورد له بعض من شعره، وقد سار على نفس الطريقة مع الشيخ أحمد المنجلاتي ونحن نعلم على حد قول أبو القاسم سعد الله انه توسع أكثر في كتابه فضلاء العصر ما قصر في الرحلة .[2]

وقد شهد القرن الحادي عشر (17م) ازدهارا اقتصادي في الجزائر، حتى إن مدينة الجزائر أصبحت تدعى باسطنبول الصغرى . ففي ولاية الحاج علي آغا الذي أعطى تعاليم صارمة في كيفية التنظيمات في ولايته، "فأثرى بذلك التجار وعاش الناس في رخاء، وحاز الناس على غنى وافر في الذهب والفضة، وأقاموا الدّور وأحسنوا تزيينها، وزرعوا البساتين ورفعوا وسطها القصور الفاخرة."[3]

[1] – ينظر : ديوان أشعار جزائرية ، ص 14.

[2] – ينظر : المصدر نفسه، ص 15.

[3] – ابن المفتي، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، ص66.

فقصدها علماء مسلمين من المشرق والمغرب طالبين الرزق والعيش السليم، من هؤلاء العلماء على بن عبد الواحد الأنصاري وابن زاكور من المغرب وهذا الأخير "الذي عُدت رحلته من أهم المصادر التي غطّت فترة من أزهى عصور الدولة العثمانية بالجزائر، وخاصة في أخباره عن عدد من علماء الجزائر في ذلك العهد كمحمد المنجلاتي، محمد بن حمودة الجزائري"[1]، وغيرهم كما تحدث عبد الكريم الفكون عن زيارة المولى علي له في كتابه منشور الهداية فقال: "واجتمع* بالقاضي الشهير المولى علي، وكان أتى من باب السلطنة الأحمدية، من الموالي، وله معرفة ونجابة وقوة عارضة، مشاركا في كل العلوم وعنده كتب جمة."[2] وهو يبين أن المولى علي من أشهر العلماء في عصره، كما بين علمه ومعرفته ومشاركته في كل العلوم المختلفة كما بين مجموعة من أعماله من كتب ومصنفات.

وقد ذكر أبو القاسم سعد الله، أن كتاب منشور الهداية لعبد الكريم الفكون، وكتاب كعبة الطائفين لمحمد بن سليمان، ألفا في القرن الحادي عشر (17م)، كما تحدث عن الحياة السياسية في هذا القرن أنها كانت غير مستقرة بسبب الثورات الداخلية التي من أشهرها ثورة الذواودة في الشرق وثورة الأمحال في الغرب، إضافة إلى توتر العلاقات بين الجزائر واسطنبول أو باشوات الجزائر والسلاطين، أما في القرن التالي فقد شهدت تطورا عكسيا، حيث استقرت الأوضاع السياسية فيما ضعفت الحياة الاقتصادية وزادت في تدهورها تدريجيا، إضافة إلى فرض الدولة للضرائب الداخلية، مما أدى لقلق دائم للسكان، وتحكم اليهود على التجارة الداخلية والخارجية، ويضاف إلى ذلك توتر العلاقات بين اسطنبول والدول الأوروبية الأخرى، كالحروب مع اسبانيا والحملات الفرنسية المتوالية على الدول العربية

[1] - ابن زاكور، نشر أزاهي البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص29.

* - يقصد أنه اجتمع مع علي البهلولي صاحب المؤلف في بيته.

[2] - عبد الكريم الفكون، منشور الهداية- في كشف من ادعى العلم والولاية-، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط1، 1408هـ- 1987م، ص225.

كمصر والجزائر وغيرها، فيقول أبو القاسم سعد الله :" في ذلك الجو قال ابن علي وابن عمار وابن ميمون شعرهم، وكان شعرا في اغلبه يعبر عن متانة ثقافة هؤلاء الشعراء و تمكنهم من البيان العربي والذوق الفني والثقافة الإسلامية العربية ." [1] فرغم الاضطرابات السياسية التي تنعكس على الحياة الاجتماعية للسكان مما أدى إلى عدم الاستقرار الذاتي خاصة عند الشعراء، لكنهم ورغم هذه الأوضاع المتدنية برع هؤلاء الشعراء في قول الشعر كما نوعوا في أغراضه لتمكنهم من البيان والذوق العربي الفني.

3-3 الأهمية الأدبية والتاريخية للديوان :

لقد ضم الديوان مجموعة معتبرة من القصائد والمقطوعات الشعرية، وحتى النصوص النثرية، أظهرت وعبرت عن متانة الثقافة التي تميز هؤلاء الشعراء، فتمكنوا من الثقافة العربية الإسلامية التي تمتد جذورها عبر إنتاج شعراء الأندلس وبغداد ودمشق و الحجاز ومصر، إضافة إلى بروز آثار المدرسة الأندلسية من موشحات، ووصف للرياض والطبيعة على العموم، والتشبيب، ورقة الألفاظ و المعاني وبعد الأخيلة، فقد تكونوا من مدرسة الطبيعة وفي جامعة الفطرة يقول سعد الله : " فلم يكن ورائهم صالونات بغداد أيام عزها، ولا عطايا خلفاء دمشق أيام مجدها، ولا خمارات الأندلس أيام انحلالها، فلا نعلم أنهم درسوا في مؤسسات علمية لها شهرة كالأزهر أو الزيتونة أو القرويين وإنما هي الفطرة و النبوغ والعبقرية." ولهذا هؤلاء لشعراء منهم ابن علي وابن عمار وابن الشاهد وغيرهم نعتبرهم مفخرة للتراث الجزائري العربي.

لقد أُرخ لهذا الديوان في فترة من فترات التاريخ الجزائري الذي ما يزال إلى يومنا هذا غامضا لنقص المصادر والأعمال التي تدرس هذا العهد، وقد عرفت الفترة العثمانية تدهورا في الحياة الثقافية لأسباب سبق وأن أشرت إليها، وهذا المخطوط ضمَّ خاصةً أعمال فترة القرن الحادي عشر والثاني

[1] – ديوان أشعار جزائرية، ص16.

عشر الهجري ، وقد أعطى صورة حقيقية للأوضاع الأدبية التي تحلى بها علماءنا وشعرائنا في فترة نحاول أن نسميها أنها امتازت بالجمود الفكري. كما يُظهر المخطوط المكانة العلمية التي ميزت علماء تلك الحقبة الزمنية وكيف كانت نشأتهم وما هي أوضاعهم والمواضيع المختلفة التي عالجوها في أعمالهم الأدبية، وتكمن هذه الأهمية التاريخية أنه يحتوي على قصيدتين تتناولان العلاقات بين الجزائر واسطنبول وهما قصيدة محمد القوجلي التي تقدم بها إلى مفتي الدولة العثمانية، فقد جاء القوجلي على رأس وفد جزائري من العلماء و الأعيان و الوجهاء لمقابلة السلطان في مسائل تهم المصلحة المشتركة، وخاصة عند تأزم الوضع الداخلي في الجزائر بين يوسف باشا وخصومه، وكانت هذه البعثة سنة 1065هـ، ثم أن هذه البعثة طالبت السلطان بإعطاء موافقته على تعيين يوسف باشا حاكما على الجزائر، وهذا الأخير الذي عرف أنه كان محبوبا من طرف العلماء و بار الدولة، ومنهم الشيخ علي بن عبد الواحد الأنصاري، وعيسى الثعالبي، ويحي الشاوي، وعبد الكريم الفكون، ومحمد البوني وغيرهم . وهذه القصيدة التي مطلعها:

سَعِدْتَ فَدَمْ فِي العِزِّ واسْتَكْمَلَ العُلْيَا وَدَمُ فِي اِقْتِنَاءِ المَعْلُوَاتِ مَدَى المَحْيَا

وَوَاصِلُ ذَوِي الحَاجَاتِ عِنْدَ اِضْطِرَارِهِمْ مَوَاصِلَهُمْ فِي النَّاسِ أَحْسَنَهُمْ هَدْيَا[1]

هذه القصيدة تسلط الضوء على الظروف العامة التي يعاني منها السكان الجزائريين، كما تلقي ضوءا هاما على دور العلماء في العلاقات السياسية و بالأخص دورهم الشعري .

أما القصيدة الثانية هي قصيدة أحمد المانجلاتي التي كتبها للتعريف بالمفتي سعيد قدورة لدى مفتي اسطنبول، فقد حدث اضطراب بين سعيد قدورة وحكام الجزائر لأسباب غير معروفة، ومنها نفي إلى اسطنبول، وخوفا من عقابه سارع أصدقائه للدفاع علية منهم المنجلاتي الذي بعث برسالة إلى مفتي

[1] – ديوان أشعار جزائرية،ص126.

اسطنبول بمكانة سعيد قدورة وبمقامه الرفيع وأن ما جرى له مجرد تلفيق من حاسديه، ونعلم أنه عاد إلى الجزائر وبقي مفتيا إلى أن وافته المنية سنة 1066 وأنه ورّث وظيفته لابنه محمد، ويقول أحمد المنجلاتي في مطلع القصيدة :

سربَ القطا سِرْ بالسلام واسعدِ وَانْهَضْ إلىَ قَمرِ السَّعَادَةِ أَسْعَدَ

مُفْتِي البَسِيطَةَ شَمْسَهَا وَهِلَالِهَا وَأَمَامَهَا وَهِمَامَهَا وَالمُهْتَدِي[1]

3-4 منهجية تحقيق المخطوط :

تعتبر عملية التحقيق من أصعب الأعمال التي يقوم بها الناقد، الباحث بحيث يتطلب عليه الإلمام والشمولية في عدة عناصر وهي تبدأ بالاطلاع على أمهات الكتب ذات الصلة بموضوع التحقيق، وقد اطلع أبو القاسم سعد الله في تحقيقه لهذا الديوان على مجموعة من المصادر الأدبية ككتب الأدب والتاريخ والتراجم والرحلات والمجاميع والكنانيش ومختلف الوثائق والمخطوطات، بالإضافة إلى المقالات في المجلات الكثيرة التي يتناول أصحابها ظواهر متنوعة ذات صلة بفترة الشعراء الواردين في الديوان، ومن هذه المصادر نذكر عبد الرحمن الجامعي في كتابه شرح الحلفاوية، ورحلة مساقة ضمن المخطوط، وكتاب "تعريف الخلف برجال السلف" لابن الشيخ الحفناوي، الأنطاكي في كتابه "تزيين الأسواق"، وكتاب "تاريخ تطوان" لمحمد داود المجلد الثالث القسم الأول، وكتاب "الأعلام" للزركلي، ومحمد بن محمد الوزير في كتابه "الحلل السندسية في الأخبار التونسية"، أبو القاسم سعد الله في كتابه "تجارب في الأدب والرحلة"، وكتابه "شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون"، وكتابه "تاريخ الجزائر الثقافي"، كما استفاد من تقييدات ابن المفتي، و كتابي "منشور الهداية"، و"محدد السنان" وهو مخطوط لعبد الكريم الفكون، وكتاب "محمد عثمان باشا" لتوفيق المدني، وكتاب"نفح الطيب"

[1] – ديوان أشعار جزائرية،ص134.

للمقري، وكتاب "التحفة المرضية في الدولة البكداشية "لابن ميمون، وكتاب "صفحات من تاريخ مدينة الجزائر" لعبد القادر نور الدين ومن الرحلات رحلة "نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب" لابن عمار التي "طبع منها نبذة في الجزائر سنة1904(1323هـ)، وقد ذكر أنه استفاد منها في عملية التحقيق لما احتوت عليه من الأشعار الموجودة في المخطوط كان يعود إليها لتدارك النقص أو لمقارنة بعض النصوص" [1]. ورحلة "ماء الموائد" للعياشي، ورحلة ابن حمادوش المسماة بـ" لسان المقال " .[2]

وقد أشار أبو القاسم سعد الله إلى أن هذه المجموعة ليست كل ما استعان به في عملية التحقيق فهناك الكثير ، ولا يمكن أن ندرجها كلها لأنه من الصعب وضع قوائم بكل تلك المراجع في هذا العمل واكتفى بذكر بعضها لتكوين دليلا نفعيا لمن يريد التوسع في أعمال قادمة .

وفيما يخص معرفته لحياة الشعراء فقد اشتغل كثيرا في التنقيب والبحث، وقام بترجمة مفصلة لبعضهم ممن وجد لهم مثل ابن علي وابن عمار الذي قام بترجمتهما في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي، كما قام ببحث لابن حمادوش في مجلة مجمع اللغة العربية المجلد الثاني في العدد الخمسين والذي قدم فيه رحلته، كما قام بدراسة مفصلة وخاصة في كتاب سماه شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، واكتفى ببعض الإشارات لغيرهم ممن لم يتمكن في الحصول على المعلومات لهم، هذه الأعمال وغيرها أشار إليها في هذا المخطوط، كما قام بالمقارنة بين أشعار المخطوط التي وجدها في رحلة ابن عمار مشيرا ومنبها إليها مبينا الاختلاف كما حاول تصحيح ما أمكن تصحيحه، كما اهتم كثيرا برحلاتهم التي وجد فيها الكثير من المعلومات الأدبية والتاريخية والثقافية وحتى السياسية التي تعلقت بهم، من هذه الرحلات نذكر رحلة ابن عمار، ورحلة ابن حمادوش، ورحلة الورثلاني، وقد أفرد عملا كاملا خصصه لهذا الموضوع وهو كتابه "تجارب في الأدب و الرحلة".

[1] – ديوان أشعار جزائرية، ص09.

[2] – المصدر نفسه، ص ص 139-140.

كما اعتمد التهميش لكل زيادة أو نقصان بالمقارنة مع نصوص أخرى لها علاقة بالديوان، ثم أنه وضح مناسبة لكل نص شعري أو نثري ورد في الديوان.وتهميشه اعتمد فيه على تهميش كل صفحة على حدى والترقيم خاص بكل فصل.

أما النقطة المهمة في هذا العمل ان أبو القاسم سعد الله حاول إيجاد بداية للمخطوط فقد أوضح انه مبتور الأول والآخر، فقد بدأه بنص من الرحلة ، وهو قول بن عمار في الرحلة : "وتنزهنا يوما..." [1]كما قسم المخطوط إلى أقسام ووضع كل نص في قسمه الذي وجد فيه تناسبا مع الموضوع الأصلي.كما أتى ببعض النصوص من بينها النص الذي وجده من خلال الشيخ المهدي البوعبدلي وهو وصف ابن عمار لقصر ابن عبد اللطيف وهذه القصيدة غير موجودة في رحلته.ثم انه أشار إلى انه غيّر في ترتيب الأقسام التي كانت كالتالي :

- القسم الأول : غراميات ابن علي.
- القسم الثاني : ما جمعه ابن علي في ديوانه من شعر غيره.
- القسم الثالث : مساجلات ابن علي وابن عمار.

وبهذا فإن هذا الديوان الذي يضم مجموعة من القصائد لشعراء جزائريين عاشوا في العهد العثماني، هذه القصائد التي عالج من خلالها هؤلاء الشعراء مختلف الأغراض الشعرية كالمدح والوصف والرثاء والغزل وغيرها من الأغراض، كما ضم بعض الموشحات لهؤلاء الشعراء والتي أفردت للمديح النبوي، يعد من أهم الآثار الأدبية التي أثْرت الثقافة الأدبية العربية، وأضيف بذلك إلى الموروث الثقافي الأدبي الجزائري.

[1] – ديوان أشعار جزائرية، ص11.

الفصل الثالث: ابن عمار الجزائري/ دراسة موضوعاتية

أولا: التعريف بالشاعر ابن عمار الجزائري.

ثانيا: أحمد ابن عمار /المواضيع الشعرية الذاتية.

ثالثا: الخصائص العامة لشعر ابن عمار الجزائري.

أولا: التعريف بالشاعر ابن عمار الجزائري:

عرّف لابن عمار مجموعة من المصادر[1] القديمة والحديثة، حيث تناولت جوانب مختلفة من حياته خاصة ما ذكره تلميذه أبو راس الناصر، وما ذكره صديقه عبد الرزاق ابن حمادوش في رحلته (لسان المقال)، والورثلاني في رحلته " نزهة الأنظار"، وتلميذاه إبراهيم السيالة واحمد الغزال المغربي. لكن هؤلاء اكتفوا ببعض أوصاف التجلة والاحترام لهذا العالم الجليل الذي تألق في عصره. ولكن رغم ذلك فإننا نجهل بعض المعلومات البسيطة التي يجب أن يتطرق إليها المترجم في أغلب الأحيان، وهذه المعلومات هي تاريخ مولده ووفاته ونسبه، وكيفية تعليمه وتربيته، وكيفية تأثره بالوسط الذي عاش فيه. لكن التعرف إلى هذه المعلومات إلا بعد المقارنات والموازنات ولملمة بعض الأخبار من المعاصرين له ومن تلامذته المهتمين به وبشخصيته كابن راس العين، وعلاقاته مع بعض الشخصيات المعروفة في عصره، وهذا ما قام به المرحوم أبو القاسم سعد الله عندما تقرب من هذه الشخصية وغيرها من الشخصيات التي غابت معالمها خاصة من الذين عاشوا في العهد العثماني كابن علي وابن الشاهد واحمد المنجلاتي وأمثالهم.

كما أن ابن عمار كان من المهتمين بالترجمة لعلماء عصره فكتب للعديد منهم ودوّن أشعارهم ومؤلفاتهم ودوراتهم، لكنه وللأسف نسي نفسه فلم يورد إلا بعض الأشعار الخاصة به وهو ما وجدناه في كتاب أشعار جزائرية الذي حققه المرحوم أبو القاسم سعد الله، ومقدمته في رحلته "نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب"، التي حققها محمد بن أبي شنب (نبذة 1904م)، وأخبار قليلة لا تفي

[1] – من المصادر التي عرفت لابن عمار نذكر : تعريف الخلف لرجال السلف للحفناوي، تاريخ الجزائر الثقافي لأبو القاسم سعد الله، فتح الإله لأبو راس الناصر، معجم أعلام الجزائر لعادل النويهض، الخطاب الأدبي القديم في الجزائر، والشعر الصوفي لمختار حبار، تجارب في الأدب والرحلة لأبو القاسم سعد الله وكذلك في ديوان أشعار جزائرية الذي حققه أبو القاسم سعد الله.

بالغرض المطلوب، وربما يكون في أحد مؤلفاته الضائعة منها مؤلفه" لواء النصر في فضلاء العصر" أو رحلته التي وجدت منها إلا المقدمة أو النبذة المعروفة.

1-1 اسمه ونسبه :

هو أحمد بن عبد الله بن عمر بن عبد الجزائري، أبو العباس من أعلام زمانه في العلوم النقلية والعقلية، كما برع أيضا في الحديث والتاريخ .[1] كما عرفه الشيخ محمد الحفناوي في كتابه تعريف الخلف برجال السلف فقال:" هو العلامة المحقق والفهامة المدقق أبو العباس سيدي أحمد بن عمار مفتي مالكية الجزائر رحمه الله تعالى ورضي عنه، كان من نوابغ عصره وأفاضل مصره وهبة الله حظا من سيلان القلم وطلاقة اللسان. لحق به شأن لسان الدين والفتح بن خاقان. وبديهة في البيان والمعاني، زاحم بها الحريري والهمذاني، وذكر في المشارق والمغارب"[2].

ينحدر ابن عمار من أسرة عريقة في الجزائر، فقد ذكر أبو القاسم سعد الله أن هناك عالما يسمى أحمد زروق بن عمار كان متوليا الفتيا سنة 1028هـ، وقد ذكر الفكون في كتابه منشور الهداية أن احد علماء مدينة الجزائر باسم أحمد بن سيدي عمار بن داود قد ورد عليهم في قسنطينة في نفس العهد المذكور ونتسائل كما قال سعد: "هل كان هذا أحد أجداد أحمد ابن عمار الذي نتحدث عنه؟"[3]. ذكر أبو القاسم سعد الله انه جاءته رسالة[4] من الشيخ المهدي البوعبدلي أخبره فيها أن والد ابن عمار هو عمار المستغانمي، وأن من المرجح أن ابن عمار كان من تلمسان.

---

[1] – عادل النويهض، معجم أعلام الجزائر، ص97.

[2] – محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، ص83.

[3] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص226.

[4] – الرسالة كانت من الشيخ المهدي البوعبدلي إلى الأستاذ المرحوم أبو القاسم سعد الله بتاريخ 1982/01/07.

ومن أسرته أيضا نذكر خاله محمد بن سيدي الهادي أحد العلماء البارزين في مدينة الجزائر في القرن الثاني عشر، فابن عمار ينحدر من العائلات التليدة في مدينة الجزائر، والتي كانت تتمتع بصيت واحترام وكانت من أصل أندلسي مرتبطة ارتباطا وثيقا بالوظائف الدينية، كالخطابة والفتيا.

إن أحمد ابن عمار من كبار علماء القرن الثاني عشر (18م) في الجزائر، وأقدم مصدر يحدثنا عن ابن عمار في الجزائر هو صديقه عبد الرزاق ابن حمادوش في الجزء الثاني من رحلته ذلك أن ابن عمار قد قرظ له كتابا بعنوان "الدرر على المختصر" سنة 1159[1]، فقد اعتبره ابن حمادوش من العلماء المنصفين الذين لا يحملون حسدا ولا ضغينة، وقد عاش ابن عمار إلى ما بعد سنة 1205 وهو تاريخ إجازته لمحمد خليل المرادي الشامي والتي توجد ضمن مجموعة إجازات محمد خليل المرادي بالمكتبة الظاهرية بدمشق وبأسفلها خاتم ابن عمار المكتوب فيه" الواثق بالجبار، عبده احمد ابن عمار."[2] وبذلك يكون عمره سنة 1159 حوالي أربعين سنة، فقد ولد حوالي 1119هـ حسب ما رجّح أبو القاسم سعد الله. كانت ثقافته علمية ودينية عميقة ظهر ذلك من خلال مؤلفاته، ثم إن تعليمة الأول كان بالجزائر حيث أن رحلاته خارج البلاد كانت بعد توليه المناصب المذكرة في بلاده.

كما استمد العلم والجاه من أسرته أيضا، فقد كان والده من علماء الدين حيث جاء والده من تلمسان أو من مستغانم وتولى الفتوى في مدينة الجزائر، كما كان ابن عمار يستمد من أصوله الأندلسية الأدب والفن وحب الطبيعة والجمال. ومن أساتذته في الجزائر المفتي ابن علي كان يدعوه "شيخنا" والذي طالما تطارح معه الشعر وجالسه في بيئته وفي متنزهات المدينة الجميلة (الجزائر)، كما أنه كان يتردد على مجلس أحمد الورززي المغربي الذي كانت له زيارات متعددة بالجزائر.

[1] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص224.

[2] – أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص64. وأنظر في تاريخ الجزائر الثقافي ج2/ص 227. ويذكر أبو راس الناصر في كتابه فتح الإله أنه كانت على خاتمه عبارة" سليل الأشراف الصالحين وخلاصة مجد التقى والدين" .

اشتغل ابن عمار في وظائف مختلفة في الجزائر حيث قد تولى الفتوى في الجزائر بين سنوات 1180-1184 وكان مالكي المذهب. وتولى ابن عمار وظيفة الفتوى في عهد الداي محمد عثمان باشا الذي طال عهده في الحكم من 1179 إلى 1205 وكان عهده عهد استقرار نسبيا. كما اشتغل مدرسا بالجامع الكبير بالعاصمة، واخذ عنه العلم والأدب عدد من التلاميذ منهم أبو راس الناصر المعسكري، واحمد الغزال المغربي.

ومن معاصريه في مدينة الجزائر الأديب محمد بن ميمون، وعبد الرزاق ابن حمادوش، والمفتي محمد بن محمد المعروف بابن علي، ومحمد بن نيكرو[1]، والمفتي عبد الرحمن المرتضي، والمفتي احمد الزروق بن عبد اللطيف،(وهو ابن عم صاحب القصر الذي وصفه ابن عمار)، والمفتي محمد بن جعدون، والمفتي علي بن عبد القادر بن الأمين، والمفتي محمد بن الشاهد، والقاضي محمد بن مالك، وهناك من عاصرهم في أقاليم أخرى للمدن الجزائرية منهم أبوراس الناصر المعسكري الذي كان يتردد على مدينة الجزائر لطلب العلم فتتلمذ على يد ابن عمار، ونذكر أيضا عبد القادر الراشدي الذي اشتهر بالتأليف والإفتاء والتدريس في قسنطينة، والمفتي احمد العباسي وعلي الونيسي بقسنطينة، والحسين الورثلاني، أما من الولاة فقد عاصر ابن عمار، علي باشا بوصبع(1168-1179)، ومحمد عثمان باشا(1179-1205)، هذا الأخير الذي تولى ابن عمار الفتوى خلال عهده كما ذكرت سابقا.

1-2 تلامذته:

من تلاميذه محمد أبو راس الناصر من الجزائر الذي درس عليه بعض العلوم، من بينها فقه الامام أبي حنيفة، واحمد الغزال من المغرب، وإبراهيم السيالة من تونس، ومحمد خليل المراي من الشام، وعمر بن عبد الكريم من مكة المعروف بابن عبد الرسول المكي الحنفي (ت1247)، أصبح يدعى

[1]- محمد بن نيكرو مفتي المذهب المالكي في وقته توفي 1152، ذكره أبو القاسم سعد الله في ديوان أشعار جزائرية.

"بشيخ الإسلام"[1]، كما ذكر الحفناوي في كتابه تعريف الخلف برجال السلف ان ابن الشاهد كذلك من تلاميذه وأورد قصيدة يشيد فيها بأستاذه ابن عمار.[2]

1-3 رحلاته /أسبابها:

نستطيع أن نبين مجموعة من الأسباب التي كانت سبب في رحلات ابن عمار فقد جمعت بيت الأسباب الدينية والعلمية وحتى السياسية.

أ- الأسباب الدينية: كانت رحلة ابن عمار الدينية قصد أداء مناسك الحج، فكانت نفسه تتشوق إلى البقاع المقدسة ومجاورة بيت الله الحرام، وهذا ما كان في مقدمة رحلته التي تتحدث عن الآية ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّه غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾[3] ، كما كانت وسيلة دافع فيها على التعاليم الإسلامية والمبادئ الدينية التي تميزت بها الشريعة الإسلامية حيث أنه ذكر بعض العادات السيئة والتجاوزات التي كانت تقام أثناء الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في الأماكن المقدسة وخاصة التي تتصل باختلاط النساء بالرجال التي ينبغي أن تبقى بعيدة عن التبرج والتزين.

ب- الأسباب العلمية: من العوامل الأساسية لاكتساب العلوم وتنوعها هو الرحلة التي نوّه ابن خلدون عن أهميتها حين قال:" والرحلة لا بد منها في طلب العلم، ولاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال."[4] رحل ابن عمار إلى مجموعة من البلدان العربية كتونس والمغرب والحجاز بهدف طلب العلم وزيادة في التحصيل ومخالطة العلماء لتصحيح معلوماته أو توثيقها. كما

---

[1] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص235.

[2] - ينظر: أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، ص318.

[3] - سورة آل عمران، آية97.

[4] - حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1978، ص 80.

نعرف أن ابن عمار قد تلقى تعليمه الأول في بلاده الجزائر وأن ثقافته هي ثقافة أدبية ودينية عميقة فلم يتلق تعليمه خارج الجزائر إلا في كهولته وبعد توليه الوظائف المذكورة في الجزائر. وفي هذا المقام نذكر أن ابن عمار عالج في رحلته الحجازية موضوع وصف رحلته في كل مراحلها ومناسكها فكانت رحلته من النماذج الحية الصادقة وقد أورد فيها الكثير من الشعر من قصائد ومولديات لشعراء جزائريين ومشارقة ومغاربة، كما زخرفها بتلك المقدمات النثرية المرموقة والمتقنة بالسجع فتألق في كل الأنواع الأدبية. وبهذا فإن الرحلة تعتبر عماد التلاقي والاتصال وأساس المعرفة والاطلاع، فهي تساعد على تنمية المعارف وتطويرها وتساهم في تهذيب النفوس وتقويم الطباع، فهي أكثر المدارس تثقيفا للإنسان، فالسفر درس تجريبي ومدرسة تعلم الناس وترشدهم إلى الصواب، ولهذا " فإن السفر تعليم للصغير وخبرة للكبير."[1] ومن خلال رحلته التي سنتعرف عليها قد أكسبت ابن عمار خبرة ظهرت في ثنايا رحلته التي لم تصلنا كاملة إلا نبذة من مقدمتها.

جـ- الأسباب السياسية : وهذا ما وجدناه من خلال تأثره بباي تونس الذي خص له بتأليف تناول فيه سيرته الذاتية، بعدما غادر إلى تونس قصد الاستيطان بها لكنه غادرها بعد وفاة الباي قاصدا الحرمين الشريفين حسب ما شهد به أبو راس الناصر.

ونستطيع أن نحدد رحلتين أساسيتين لابن عمار الأولى مشرقية حين شدّ الرحال إلى البقاع المقدسة ففي سنة 1166 أدى ابن عمار فريضة الحج رفقة زميله الحسين الورثلاني صاحب الرحلة وهذا ما دونه في رحلته " اعلم وفقني الله وإياك لمرضاته، وعصم كلامنا من الخطأ والخطل والزلل في

[1] - المرجع السابق، ص15.

حركاته وسكناته ولحظاته، أني عزمت على الرحلة إلى الحجاز، عزما نسخت حقيقته المجاز، أوائل سنة 1166 ست وستين ومائة وألف"[1] وقد عبر على شوقه وحنينه لرؤية الحبيب فقال:

وَالشَّوْقُ أَعْظَمُ أَنْ يُحِيطَ بِوَصْفِهِ فَلَمْ وَإِنْ يَطْوِي عَلَيْهِ كِتَابُ

وَاللهُ مَا أَنَا مُنْصِفٌ إِنْ كَانَ لي عَيْشٌ يَطيبُ وَجِيرَتي غِيَابُ

أَقْطَعُ لَيْلِي تمَلْمُلاً وَسِهَادًا كَأَنَّ الأَرْضَ لمْ تَجْعَلْ لي مِهَادا[2]

فهو لا يقدر أن يعبر على حرارة شوقه لأنه أعظم من يصفه في صفحات كتاب، فلا عيش يطيب له وهو بعيد عن مقام الحبيب المصطفى صلوات الله عليه فيقطع ليله دون أن ينام ويرتاح وهذا لشوقه لرؤية الأراضي المقدسة.

وهو في مصر أخذ الطريقة الخلوتية (الرحمانية عندنا) وترك فيها رسالة من تأليفه.كما تتلمذ على بعض مشائخ الأزهر منهم الشيخ خليل المغربي في مسجد الحسين بالقاهرة وكان ذلك مع صديقه الحسين الورثلاني فقد حجا معا وقرآ معا في القاهرة فقال الورثلاني :" الفاضل بالاتفاق والعلامة على الإطلاق"[3]. ثم واخبرنا عبد الحي الكتاني أن ابن عمار كان سنة 1172 مجاورا بمكة .وعاد ابن عمار إلى الجزائر، واخبرنا أحمد الغزال المغربي الذي جاء إلى الجزائر سنة1182 في شأن صلح بين الجزائر والمغرب وحضر درسا لابن عمار في الجامع الكبير، وكان ابن عمار مفتيا فيها فأعجب بعلمه.

وفي رحلة ثانية له فقد رحل ابن عمار من الجزائر إلى تونس سنة 1195 قاصدا الاستيطان بها، كما يقول تلميذه إبراهيم السيالة. وبعد إقامته بتونس فقد شارك في الحياة الأدبية والدينية هناك وقام

[1] – ابن عمار، الرحلة، ص10.

[2] – المصدر نفسه، ص10.

[3] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر القافي، ج2، ص225.

بتأليف عملين الأول هو رسالة في التفسير والأدب، كما ألف كتابا في باي تونس علي باشا بن حسن، وأسهم في مناظرة العلماء بحضرة الباي وبجهل مدة إقامته، حيث كانت له بعض الأسباب فمنافسة العلماء له ووفاة الباي وصديقه حمودة عبد العزيز سنة 1202[1]، حمله على الهجرة من جديد إلى المشرق ومجاورة الحرم، وانقطعت أخباره حتى وجدت له أنه أجاز محمد خليل المرادي الشامي صاحب كتاب" سلك الدرر" سنة 1205هـ.[2] ويذكر أبو راس في "فتح الإله" أن ابن عمار توفي بالحرمين الشريفين بعد أن جاورها مدة من الزمن أسبل الله عليه ما يعطّر أردانه، وأحله من رياض الفردوس حيطانه[3].

1-4 إشعـاعه:

كان ابن عمار يطمح إلى الكتابة على طريقة لسان الدين ابن الخطيب والفتح ابن خاقان لتأثره الشديد بهما لما تميز به أسلوبه بالسجع الخفيف غير المثقل وطريقته فيه غير متكلفة ولا مبتذلة ومن تآليفه نذكر:

- لواء النصر في فضلاء العصر ألفه في الجزائر والذي قيل أنه ترجم فيه لعلماء القرنين 11 و12هـ (18/17م)، وقد ألف هذا الكتاب قبل رحلته المعروفة وللأسف أنه مفقود.

[1] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص226.

[2] – ابن عمار، أشعار مجهولة من الشعر العربي، ص25.

[3] – أبو راس الناصر، فتح الإله ومنته، ص49.

- نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب* التي قال عنها أبو راس الناصر:" ..الرحلة الجمة الفوائد، حلوة الموائد، عذبة الموارد.."[1] والتي لم تسلم من الضياع حيث لم يعثر إلا على نبذة من مقدمتها التي حققها ونشرها في الجزائر، محمد بن أبي شنب سنة 1902م، وقد بلغت هذه المقدمة حوالي(254)ص حيث أشار ابن عمار إلى أقسام الرحلة التي تتكون كما ذكرها من مقدمة وغرض مقصود وخاتمة فنجده يقول عن تقسيمه:" فأما المقدمة ففي ذكر ما أنتجه العزم وتقدم على الارتحال، وأما الغرض المقصود ففي ما يحدقه السفر إلى الإياب وحط الرحال، وأما الخاتمة ففي ما نشأ عن ذلك بعد السكون وانضم إليه وجره الصدر من العجز ورده عليه."[2] فما ضاع منها هو أصل الرحلة من غرض وما وصل إليه من أثر هذه الرحلة الطيبة**. هذه الرحلة التي نقل عبرها ابن عمار صورا عميقة عن الاحتفال بالمولد النبوي في الحجاز وفي الجزائر في عهدها العثماني حيث مثله ببعض الأخبار، وفي بعض المولديات، والمدائح النبوية، التي تحتفل بسريان النور المحمدي في الوجود، وقد رصد هذه الأجواء بمختلف الأنواع الشعرية كالقصائد الكلاسيكية والموشحات إلى السمطية، وهذه الأنواع كلها تصب في قالب واحد أو فكرة واحدة. [3]

* - الرحلة توجد نسخة منها مطبوعة في مكتبة مؤسسة علال الفاسي بالرباط، ويوجد أصلها بالمكتبة الوطنية بالجزائر تحت رقم 2757 وتحمل عنوان "رحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب". ينظر: عبد الهادي التازي في كتاب" رحلة الرحلات..مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة".

[1] – أبو راس الناصر، فتح الإله ومنته، ص92.

[2] – ابن عمار، الرحلة، ص04.

** - يقول مصحح هذه النبذة أنه يظن بوجود نسخة منها كاملة بالحرمين الشريفين والقاهرة وتونس لأن المؤلف أقام في كل هذه البلدان عدة سنين. ينظر: رحلة ابن عمار.

[3] – ينظر: مختار حبار، الحضور الصوفي في الجزائر على العهد العثماني، مجلة التراث العربي، سوريا، 57، 1994، ص 63.

وقد كتب هذه الرحلة عندما كان بالجزائر متوليا وظيفة الفتوى سنة 1180[1] وأتمها في الحجاز أثناء مجاورته بالحرمين الشريفين.

- قصيدة شعرية يبلغ عدد أبياتها ستة وتسعون بيتا، وديوان شعر في المديح النبوي[2].
- رسالة في مسألة وقف-[3]، وهي جديرة بالقراءة والتأمل." [4] حيث أورد فيها ابن عمار مجموعة من الآراء التي هاجم فيها الجمود العقلي في عصره وضعف العارضة عند العلماء، وهذا يؤكد يقول سعد الله أن ابن عمار كان محسودا لعلمه وقلمه واستقلاله، وهي من كتاباته التي كانت هي الأولى في مسألة وقف حيث قال أبو القاسم سعد الله:" لا نعرف أن هناك تأليفا خاصا بقضايا الوقف غير رسالة أحمد ابن عمار .
- وله رسالة في تفسير قوله تعالى:﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ﴾ [5]حلّاها بأدبه المعروف بالجمال والسلاسة وذكرها له تلميذاه إبراهيم السيالة، وأبو راس الناصر في كتابه فتح الإله[6]، وله أيضا رسالة في وصف قصر عبد اللطيف مع قصيدة طويلة في نفس المعنى، والتي سندرسها في الفصل الأخير.
- ثبته المسمى منتخب الأسانيد في وصل الأجزاء والمصنفات والمسانيد.

---

[1] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص229.

[2] – بشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، ص 384.

[3] – هذه الرسالة منشورة ضمن " المنح الإلهية في طمس الضلالة الوهابية"، تونس 1910.

[4] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص85.

[5] – سورة المائدة، آية 29.

[6] – أبو راس الناصر، فتح الإله ومنته، ص 90.

- مجموعة من الإجازات والتقاريظ والقطع الشعرية، منها تقريظه لكتاب" الدرر على المختصر" لابن حمادوش والذي كان موضوعه في المنطق، حيث قال سعد الله أن ابن عمار تميز عن غيره من العلماء فكان من أقطاب الصنعة الأدبية نثرا وشعرا، وكان في الغالب يكثر من المحسنات البديعية ومما جاء في تقريظه للكتاب المذكور نثرا قوله:" ناهيك به مؤلفا جموعا، مبذولا خيره لا ممنوعا، قد أحكم فيه الرصف والالتئام، واستخدام لطائف المعاني في بديع الكلام، حتى أفض عن(المختصر) الختام، وكشف عن وجوه خرائده اللثام، ووضع كنوز فرائده على طرف الثمام، فأصبح به إذ ذاك في أعلى الذرى، وطلع في سماء المعالي والمكارم بدرا، هذا ولا عيب فيه غير أنه كتاب صغر جرما، وغزر علما، قد أودع فيه من لطائف المعاني العجيبة الرائقة، والألفاظ البديعة الفائقة، ما هز به أعطاف الآداب، واستمال قلوب أولي الألباب"[1]، وختم هذا التقريظ بأبيات من الشعر. ومن التقاريظ التي أجاد فيها ابن عمار أيضا تقريظه الذي كتبه سنة 1196هـ /1781م من شهر صفر، وقد كتب ابن عمار هذا التقريظ* بطلب من المؤلف صديقه الوزير التونسي الحاج حمودة بن عبد العزيز صاحب" الكتاب الباشي"كما أننا لا نعرف عنوان المؤلَف وهو كما يذكر سعد الله لا يخرج عن علم الكلام [2]، وهذا التقريظ يقع في صفحتين ونصف، فتألق فيه بصنعته اللفظية المتميزة والبديعة، وأشاد به لأنه كان من أهل السنة ومما جاء فيها قول ابن عمار:" وقد أطلعني... على الرسالة المحبرة، المنقحة المحررة، التي لهذا التاريخ أملاها، وأولاها من باهر التحقيق والتدقيق ما أولاها... أطلع شموس

[1] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص183.

* - هذا التقريظ موجود –كما ذكر سعد الله في مقالته بمجلة مجمع اللغة العربية ع65– في قسم المخطوطات العربية بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم 6880، وهو بقلم المفتي أحمد ابن عمار الجزائري.

[2] – ينظر: أبو القاسم سعد الله،تقريظ للمفتي ابن عمار ظروفه ونصه، مجلة مجمع اللغة العربية، الأردن، ع65، 2003، ص243.

معارفك وعوارفك في أفلاك البداعة والإتقان.."[1] وكان هذا التقريظ أثناء مجاورته بتونس. ويذكر أبو القاسم سعد عدة إجازات لابن عمار مثل إجازته لإبراهيم السيالة التونسي، وعبد الستار بن عبد الوهاب المكي الكندي، وإجازته المذكورة سابقا لمحمد خليل المرادي الشامي، فهي كما قال سعد الله جيدة النسج قوية العبارة ومسجعة في أغلبها وهو يقول: "...و قد أجزت السيد المستجيز المجاز، ورجل الحقيقة لا المجاز، مفتي الشام والغيث الذي تستمطر بروقه وتشام، السيد محمد خليل المذكور أعلاه دام فضله وعلاه راجيا منه أن لا ينساني من دعواته، خصوصا في أوقات توجهاته وصلواته، والله جل جلاله المسؤول وكرمه المأمول أن يحييني وإياه حياة طيبة وأن يغدق علينا أجمعين من سحائب رحمته الغيوث الصيبة وأن يختم لي وله بالحسنى، ويرقيني و إياه المقام الأسنى..."[2]، وله رسالة بديعة لأستاذه ابن علي وهي من أجود الرسائل في عهده فقال:" فلقد طوفتني بها رعاك الله طفا ما شب عمري عليه، وقلدتني عقدا تصر زهر الكواكب لديه، وخلعت علي قميص البشير، وألبستني سواري كسرى وتاج ازدشير، وتركتني أرجل في حلل ثناقك وأميس، واتمثل بقول أبي عبد الله بن خميس." [3] وتمثل بعد ذلك أبيات لابن خميس وأكمل الرسالة.

- تاريخ في سيرة علي باشا بن حسن، باي تونس، ذكره له تلميذه إبراهيم السيالة*.
- وله أيضا رسالة في الطريقة الخلوتية نسبه له الكتاني وقال عنها إنها "عمل نادر".

[1] – المصدر السابق، ج2، ص185.

[2] – أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص68.

[3] – ابن عمار، الرحلة، ص53.

* - أشار إليها إبراهيم السيالة في كتاب له مخطط عنوانه" مباهج الأزهار ودوحة الأفكار" المكتبة الوطنية. انظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج2/ص 230. وينظر أيضا تجارب في الأدب والرحلة لأبو القاسم سعد الله.

- حاشية علي الخفاجي التي ذكرها أبو راس الناصر في كتابه " فتح الإله" بأنها حاشية عاطرة الأنسام، لما احتوت عليه من العلوم فقال:" المنظومة في سلك التحقيق عقدا مكنونا، الجارية بفنون الإفادة في بحورها فلكا مشحونا، فتقلدت بعلومها كاعب الدنيا وتحلت وألقت إليها أرض البلاغة ما فيها وتخلت."[1] وهو يبين أن هذه الحاشية عبارة عن منظومة متكاملة من مختلف العلوم والتي أبدع فيها من روائع شعره المشحون بتنوع بحوره، وبراعته في البلاغة التي اكتست جمالية في كتاباته النثرية.

- شرح على البخاري، ذكره له محمد بن أبي شنب في مقاله الذي تقدم به لمؤتمر المستشرقين الرابع عشر في الجزائر سنة 1905.[2]

1-5 أقوال بعض العلماء في ابن عمار الجزائري:

ذكر أبو راس الناصر في كتابه فتح الإله مجموعة من الأوصاف الجليلة التي تليق بعالم مثل ابن عمار حيث قال فيه:" شيخنا الذي ارتدى بالنزاهة يافعا وكهلا، وكان للتلقيب بـ شيخ الإسلام أهلا. امجد النظار، عالم الجزائر، كان غاية في الحديث والأدب، ينسلّ إليه من كل حدب،.. أخرج بالجزائر الأسانيد من التلاميذ والفقهاء النحارير، والعلماء الجماهيرن.. ولكماله التاج المحلى، حبر الأكارم، وبحر المكارم، تاج المفاخر، وقليل " كم ترك الأول للآخر"..."[3] كما ذكر أنه كان يتحلى بصفة الذكاء التي فك بها كل عويص جليل. كان أبو راس الناصر من التلاميذ الذين تتلمذوا على يد شيخ الإسلام أحمد ابن عمار وهذه الأوصاف تعكس الدرجة العلمية والأدبية التي تحلى بها ابن عمار، كما تبين مدى

[1] – أبو راس الناصر، فتح الإله ومنته، ص48.

[2] – فارس كعوان، بن شنب والمشروع الاستشراقي من خلال الإسهام في دائرة المعارف الإسلامية، سلسلة محاضرات الملتقى الدولي محمد بن شنب والاستشراق، منشورات مديرية الثقافة، المدية، 2015، ص242.

[3] – أبو راس الناصر، فتح الإله ومنته، ص48.

تعلق تلاميذه به وحبهم لهذا العالم الجليل فهو مجد الجزائر وتاجها الذي حلت به وتألقت بفضل هذا العالم الجليل الذي برع بعلمه وأدبه حتى وصل إلى درجة أنه زاحم بها علماء من مشارق الأرض ومغاربها كالحريري والهمذاني ولسان الدين وغيرهم.

ونجد الشاعر أحمد المغربي يمدح احمد ابن عمار بأنه سار مسرى أبيه فقد اقتدى به في العلم والدين فقال:

بِوالِدِهِ دِيناً وَعِلْمًا قَدْ اِقْتَدَى لَقَدْ جَلَّ نجْلُ كَانَ بِالأَبِ يَقْتَدِي[1]

كما أوسم تعريفه الحفناوي بكلمات جليلة جميلة فقال:" هو العلامة المحقق والفهامة المدقق أبو العباس سيدي أحمد بن عمار مفتي مالكية الجزائر رحمه الله تعالى ورضي عنه، كان من نوابغ عصره وأفاضل مصره وهبة الله حظا من سيلان القلم وطلاقة اللسان. لحق به شأن لسان الدين والفتح بن خاقان. وبديهة في البيان والمعاني، زاحم بها الحريري والهمذاني، وذكر في المشارق والمغارب"[2]. فقد مدحه بصفات عالية كانت تخص عالم جليل كالعلامة، والفهامة، المحقق، والمدقق، المفتي، النابغ، الفاضل وغيرها من الصفات التي تميز بها عن غيره من العلماء في عهده.

ونجد أحمد الغزال الذي مدح شيخه أحمد ابن عمار، حيث جاء إلى الجزائر في مهمة سياسية كما ذكرت سابقا وهو صاحب الرحلة المشهورة" نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد"، وقد اتصل الغزال بعلماء الجزائر وعلى رأسهم أحمد ابن عمار الذي حضر له درسا في الحديث بالجامع الكبير،[3] فارتجل قصيدة في شيخه وهو يقول:

[1] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص227.

[2] – محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، ص83.

[3] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص273.

رَوَيْنَا الأَحَادِيثَ الأُولَى وَرِثُوا العُلاَ قَدِيمًا فَفَازُوا بِالثَّنَاءِ المُؤَبَّدِ

هَلُمُوا إِلىَ مَأْوَى المَفَاخِرِ وَالعُلاَ هَلُمُوا إِلىَ الأَسْمَى اِبْنُ عَمَارِ أَحْمَدِ

فَمَا سمِعَتْ أُذُنِي وَلاَ العَيْنُ أَبْصَرَتْ شَبِيهًا لَهُ غَرْبًا وَشَرْقًا بمَعْهَدِ

هَلُمُوا إِلَى بَحْرِ العُلُومِ وَمِنْ غَدَا بِأَنْوَارِهِ إِلىَ سَبْطِ الرَّسُولِ مُحَمَّدِ [1]

وأجابه تلميذه ابن الشاهد بمثلها بمدح الغزال وأشاد بابن عمار –حيث كان ابن الشاهد تلميذ ابن عمار أيضا– في قصيدة بديعة جميلة وهو يقول:

كَمَدْحِكَ مَوْلاَنَا وَقُطْبُ بِلاَدِنَا وَبَدْرُ عُلاَهَا بَيْنَ نَسْرٍ وَفَرْقَدِ

فَلَسْتَ وَقَدْ أَبْصَرْتَهُ وَسَمِعْتَهُ وَخَاطَبْتَهُ فِي مَدْحِهِ بمُقَلَّدِ[2]

ومن هذه الأبيات يظهر أن مكانة ابن عمار لم تكن عالية في الجزائر فقط وإنما في العالم العربي فشاع خبره وصيته في مشارق الأرض ومغاربها ونحن نعتز بهذا الشرف الكبير.

أما أبو القاسم سعد الله فقال فيه الكثير لما وجده لهذا العالم الجزائري فقام بدراسات متعددة له في أغلب مؤلفاته كدراسته المعمقة حول مسار حياته في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي وخصه في فصل النثر، كما أشار إليه ببعض أشعاره كلما حان المقام للمقال .كما قدم له بتعريف وجيز في كتابه تجارب في الأدب والرحلة عندما أدرج إجازته لمحمد خليل المرادي. وأدرج رحلته المعروفة ضمن فصل خاص بالرحلات الجزائرية الحجازية في كتابه أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، وقال في كتاب أشعار جزائرية الذي ضم مجموعة من أعمال ابن عمار من شعر ونثر:" لقد سابقت عارضته الشعرية عارضة صديقه ابن

[1] – محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، ص316.

[2] – المصدر نفسه، ج2، ص318.

علي لكنها لا تدركها، وفي المقابل فقد فاق علماء عصره في ميدان النثر الفني فقد ظل أسلوبه فذا مقصورا عليه وحده في عهد تعثرت فيه الأساليب الأدبية بالجمل الفقهية ومحفوظات الشروح الكلامية."[1] كما نشر مقال في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني يخص تقريظ للمفتي ابن عمار في كتاب ألفه الوزير حمودة بن عبد العزيز التونسي حيث أورد تعريفا موجزا له مع نص التقريظ .هذا وعكس تقديره وإعجابه بهذا العالم الجليل هذه الأعمال والبحوث الجليلة التي خص بها ابن عمار وغيرها التي كانت المصدر الهام والوحيد في عملي هذا.

وعتب عليه عندما اخذ ابن عمار ديوان ابن علي الذي وجده يحتوي على الغث والسمين فاختار منه ما رآه جيدا بالنسبة له ومقبولا للذوق الشعري في حين أهمل الباقي الذي ظن النقاد أنه يمكن أن يكون أجود وأحسن، وأن اختيار ابن عمار لبعض الأشعار بترت الديوان فلم يصل إلينا كاملا فيقول سعد الله:" ورغم اجتهاد ابن عمار فيما ذهب إليه فنحن لا نتفق معه في تصرفه في ديوان صديقه وشيخه بالطريقة التي سلكها معه." [2]لكن في المقابل قد اتفق مع الشيخ ابن عمار لان الديوان الذي اختار منه بعض الأشعار كان يحمل غرض الغزل والتشبيب وربما كان الشعر الذي بتره لا يمكن أن يصل إلى الجميع فهو يخص الشاعر المتغزل وحده خاصة عندما قال ابن علي وهو يخاطب ابن عمار في هذا البيت الذي طلب منه كتمان سره:

وَاكْتُمْ أَبَا العَبَاس سِرَّ تَغَزُلِي فَالسِّرُ عِنْدِي أَنْتَ مِنْ خُزَّانِهِ[3]

ونجد عبد الهادي التازي من خلال كتابه "رحلة الرحلات.. مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة" بعدما عرض رحلة ابن عمار المعروفة ذكر سبب حديثه عن الرحلة فقال:" أوردت كل هذا عن رحلة

[1] – ديوان أشعار جزائرية، ص 26.

[2] – المصدر نفسه، ص15.

[3] – المصدر نفسه، ص40.

ابن عمار لأذكر مرة أخرى بأنه كان يقصد في رحلته هو دعوته أن تجري المناسك على أحسن الطرق وأفضل السبل، ثم قال : "أن ابن عمار – إلى جانب كونه كاتب رحلة – أديب كبير لم يستطع أن يحمي نفسه، وهو يتحدث عن الرحلة إلى الحجاز، مما يكنه ويكنه كل مسلم من حب للرسول صلى الله عليه وسلم، ومن هنا كان حديثه المستفيض عن المولديات".[1] وهو يتفق مع سابقيه في أن ابن عمار كاتب كبير ومبدع، هذا العالم الذي كرس حياته للعلم ونشر التعاليم الإسلامية ودعوته في الحث على الأخلاق الكريمة والكف عن البدع والمنكرات، وكما اشتهر في الجزائر عرف أيضا في ارض الحجاز برأيه السديد وحكمته وبلاغته.

وأما أستاذه وصديقه ابن علي قال فيه:

وَبِحَضْرَتِي الفَذُّ الذِي بَهَرَ الوَرَى أَدَبًا وَأَخْرَسَهُمْ بِسِحْرِ بَيَانِهِ

فَهُوَ اِبْنُ عَمَارَ الذِي لَوْ أَنَّهُ لاَقَى اِبْنُ عمَارَ[2] لَغَص بِشَانِهِ

خَدَمَ القَرِيضَ بِسَاطِهُ وأَبَاحَهُ أنْ يَجْتَنِي الأَزْهَارَ مِنْ بُسْتَانِهِ

وَكَأَنَّمَا زَهْرُ الكَوَاكِبَ نَثْرَهُ فِي الحُسْنِ أَوْ كَالرَّوْضِ فِي نِيسَانِهِ

جَالَسْتُهُ وَلَزِمْتُهُ فَوَجَدْتُهُ مَلَكَ القُلُوبَ بفِعْلِهِ وَلِسَانِهِ[3]

[1] – عبد الهادي التازي، رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، تح: عباس محمود طاشكندي، مؤسسة لفرقان للتراث الإسلامي، الرياض، دط، 1426هـ/2005م، ج1، ص398.

[2] – يقصد ابن عمار الأندلسي، كان وزيرا وشاعرا، ويلقب بذي الوزارتين. وقد تولى الوزارة للمعتمد بن عباد، توفي سنة 477هـ.

[3] – ديوان أشعار جزائرية، ص38.

ويقول في موضع آخر:

يَا شَاعِرًا سَحَرَتْ بَلاَغَةُ شِعْرِهِ مُتَجَاوِزًا فِيهَا مَدَى مِهْيَارِ
ضَعَّفْتَ قِوَى فِكْرِي بِنَظْمِكَ مِثْلَ مَا ضَعُفَ النَّبَاتُ بِكَثْرَةِ الأَمْطَارِ
قَسَمًا بِمَنْ قَسَّمَ الفَضَائِلَ فِي الوَرَى مَا أَنْتَ إِلَّا دُرَّةَ الأَفْكَارِ
فَرِيدُ عَصْرٍ صَاغَ كُلَّ فَرِيدَةً مِنْ فِكْرِهِ الوَقَّادِ صَوْغَ نُضَارِ
إِنْ قُلْتَ أَنْتَ اِبْنُ الخَطِيبِ فَأَنْتَ فِي حَلَبَاتِ نَظْمِ اِبْنُ الخَطِيبِ مُجَارِ[1]

وفي هذا الخطاب الذي وجهه ابن علي لصديقه ابن عمار الذي يشيد فيه بشعره وبلاغته الفائقة فهو يقر به وبقوة بلاغته ويشبه ضعف شعره أمام شعر ابن عمار بضعف النبات الذي تغمره مياه المطر، كما يقسم بهذه العارضة الجيدة التي جعلت من ابن عمار كالدرة التي أثقلت بكثرة الأفكار فكان فريد عصره من فكر وقاد وصياغة نظرة يستطيع بها أن يباري ابن الخطيب وغيره من الشعراء الأفذاذ في العالم العربي.

ونقول في خاتمة هذا المبحث أن دور ابن عمار الأدبي أكبر بكثير مما قيل فيه، وهذا لضياع معظم آثاره التي ما تزال موزعة بين مكتبات الجزائر وتونس والقاهرة والحرمين الشريفين، التي أطال فيها الإقامة، فهو بشهادة معاصريه مثالا للاستقامة والتواضع والأخلاق الكريمة، فترك التآليف المكتنزة بمختلف العلوم الأدبية والدينية، كما ترك الطلبة في كل البلدان التي حل بها وهذا ما شهد به أبوراس حين مدحه بتخريج: "الأسانيد من التلاميذ والفقهاء النحارير والعلماء الجماهير"[2]، فكان موسوعيا ميزته الأدب أسبل الله عليه ما يعطّر أردانه، وأحله من رياض الفردوس حيطانه، وحقا إننا نكن له كل الحب والتقدير.

[1] – ديوان أشعار جزائرية، ص 56.
[2] – أبو راس الناصر، فتح الإله ومنته، ص48.

ثانيا: أحمد ابن عمار الجزائري /المواضيع الشعرية الذاتية :

تعد الدراسة الموضوعاتية منهجا من المناهج التي تعالج النصوص حسب مدلولاتها ومقتضيات أصحابها النفسية والاجتماعية والدينية، وهذا المنهج يعطي للقارئ حرية التأويل والتعليق ليعالج النصوص من عدة زوايا وهو بهذا يبرز مباشرة قيم النصوص الفنية والجمالية، ويستعين هذا المنهج خاصة بالمنهج التحليلي الفني والوصفي عند القيام بتصنيف النصوص الشعرية إلى موضوعات قصد دراستها وتحليلها لإبراز قيمها الفنية والجمالية، وقد اخترت هذا المنهج لتصنيف نصوص ابن عمار الشعرية وإظهار موضوعها وقيمها الجمالية ولذلك لا بد من تعريف موجز للمقاربة الموضوعاتية .

بداية بدأ تقريب المعنى الموضوعاتي المشتق من كلمة موضوع وهو من المفاهيم المؤسسة للنقد الموضوعاتي، وقد عرّف عبد الكريم حسن الموضوع فقال:" هو المبدأ الذي تلتقي عنده كافة المفاهيم التي تؤسس المنهج الموضوعي. ولعله من قبيل التزيد أن نشير إلى أن الموضوعية هنا ليست إلا نسبة للموضوع"Thème" مما يضع الموضوع في المقام الأول بين بقية المفاهيم"[1]، وقد مثّل هذا المنهج مجموعة من النقاد الغربيون أبرزهم الناقد الفرنسي المعروف " جان بيير ريشارد – J.P.Richard" [2]. هذا الأخير الذي عرّف الموضوع "على أنه مبدأ تنظيمي محسوس، أو ديناميكية داخلية، أو شيء ثابت يسمح لعالم حوله بالتشكل والامتداد. والنقطة المهمة في هذا المبدأ تكمن في تلك القرابة السرية؛ في ذلك التطابق الخفي والذي يراد الكشف عنه تحت أستار عديدة"[3]، وإلى جانبه من رواد هذا المنهج

[1] – عبد الكريم حسن، مفاهيم النقد الموضوعي، مجلة المعرفة، سوريا، 304-305، ديسمبر 1987، ص09.

[2] – عبد الكريم حسن، مصادر النقد الموضوعي، مجلة المعرفة، سوريا، 300-301، مارس 1987، ص90.

[3]– عبد الكريم حسن، مفاهيم النقد الموضوعي، ص10 نقلا عن :جون بيير ريشارد،

L'UNIVERS IMAGINAIRE DE MALLARM ,ed , seuil, p.24.

نذكر أيضا جان روسيه (Rousset)، وجان ستاروبنسكي (Starobinski)، وجورج بوليه (Poulet)، وغيرهم، كما يعد غاستون باشلار (Bachlard) الأب الروحي للنقد الموضوعاتي[1].

1- مفهوم الموضوعاتية:

أ- الموضوعاتية لغة: يشتق مصطلح (الموضوعاتي/thèmatique)، "في الحقل المعجمي الفرنسي من كلمة (thème)، وهي التيمة، هذه الكلمة التي وردت في عدة معان مترادفة، كالموضوع، والغرض، والمحور، والفكرة الأساسية، والعنوان، والحافز، والبؤرة، والمركز، والنواة الدلالية،..ويقابل كلمة (thème)، عند اللسانيين الوظيفيين، مصطلح التعليق (Rème)؛ لأن التعليق عبارة عن موضوعات جديدة أو أخبار تسند إلى المسند إليه، أو تضاف إلى الفكرة الرئيسية المحورية أو النواة البؤرية. ولقد استعمل المصطلح الموضوعاتي أو التيمي بشكل انطباعي وعفوي من قبل جان بول ويبر(Jean Paul Weber)، إذ أطلقه على الصورة المتفردة والملحة في تكرارها والمتواجدة بشكل مهيمن في عمل أدبي عند كاتب معين، وقد كان تحديد مفهوم النقد الموضوعاتي صعبا نظرا لتعدد مدلولاته الاشتقاقية والاصطلاحية"[2].

ب- الموضوعاتية اصطلاحا: تعتمد المقاربة الموضوعاتية على الفكرة العامة أو الفكرة المهيمنة أو البنية الدالة التي تتجلى في النص أو العمل الأدبي المدروس، وذلك اعتمادا على النسق البنيوي وإجراءاته التعبيرية المختلفة، كما يضم أيضا البحث عما يجسد وحدة النص العضوية والموضوعية اتساقا وانسجاما وتنظيما، كما تعتمد القراءة الموضوعاتية في دراسة النص على البدء من القراءة الصغرى إلى القراءة الكبرى، والتعرف على الجنس الأدبي، ورصد حيثياته المناصية والمرجعية، وتفكيك النص إلى

[1] - جميل حمداوي، المقاربة النقدية الموضوعاتية، مؤسسة المثقف العربي، سيدني، ط1، 2015، ص 26.

[2] - جميل حمداوي، المقاربة النقدية الموضوعاتية، ص 06.

حقول معجمية، وجداول دلالية إحصائية لمعرفة الكلمات والعبارات والصور المتكررة في النص أو العمل الإبداعي، كما ترصد المقاربة الموضوعاتية كل الكلمات الموجودة في العمل الإبداعي من مفاتيح، وصور، وعلامات لغوية بارزة، والرموز الموحية، وقراءتها إحصائيا وتأويليا. ولن تكون القراءة الموضوعاتية ناجعة وسليمة إلا بقراءة السياق النصي والذهني للكلمات، واستكشاف المفردات المعجمية المتكررة. ويمكن الاستعانة في هذا المجال بمجموعة من الإجراءات المنهجية، كالتشاكل، والتوازي، والتعادل، والترادف، والتطابق، والتقابل، والتكرار، لتحديد البنيات الدالة المهيمنة والمتكررة في النص، كما تتطلب الدراسة الموضوعاتية قراءة نص أو مجموعة من النصوص والأعمال الإبداعية التي تعود إلى المبدع، والبحث عن بنياتها الداخلية، ومع جمع الاستنتاجات المستنبطة لهذه النصوص وتركيبها تركيبا متجانسا، واستقراء البعد النصي للمبدع.[1]

تعتمد الدراسة الموضوعاتية على مجموعة من الركائز المنهجية التي تتحكم في العمل الأدبي ونذكر منها[2]:

- ✓ قراءة النص قراءة شاعرية عميقة ومنفتحة.
- ✓ الانتقال من القراءة الصغرى إلى القراءة الكبرى.
- ✓ تحديد مكونات النص المناصية والمرجعية.
- ✓ الجمع بين القراءة الذاتية والقراءة الموضوعية.
- ✓ البحث عن التيمات الأساسية، والبنيات الدلالية المحورية، والموضوعات المتكررة، والصور المفصلة في النص الإبداعي.

[1] – ينظر: المرجع السابق، ص10.

[2] – المرجع نفسه، ص11.

- ✓ رصد الأفعال المحركة والمولدة للمعاني في سياقاتها الصوتية والإيقاعية والصرفية والتركيبية والتداولية، مع دراسة دلالاتها الحرفية والمجازية، واستنطاقها فهما وتأويلا.

هذا، وقد ورد إضافة إلى هذه الركائز غيرها من المبادئ التنظيمية في المقاربة الموضوعاتية للنص الإبداعي باعتبارها منهجا جديدا في النقد الجديد.

2- المواضيع الشعرية الذاتية لابن عمار:

2- 1 المدح :

المدح هو "غرض من الأغراض الشعرية، يقوم على فن الثناء وتعداد مناقب الإنسان الحي، وإظهار محاسنه وإشاعة محامده التي خلقها الله فيه بالفطرة أو التي اكتسبها اكتسابا والتي يتوهمها الشاعر فيه" [1]، وكان المدح في العصر الجاهلي واجبا مقدسا وأداء لحق القبيلة، على الشاعر أن ينهض به لإظهار فضائلها وتخليد أمجادها ومفاخرها، وكان الإعجاب يعتبر الدافع الأول الذي ينطق بمدح الممدوح، والشاعر في القديم لا يتكسب بالشعر "وإنما ينظم الشعر في مقابل حق يراه فيؤدي واجبه"[2].

ويعد غرض المدح أبرز الأغراض الشعرية التي ارتبطت في مفهومها بعادة التكسب لدى بعض الشعراء؛ في المقابل كان بعضهم لم يلتمسوا مالا وإنما يشكروا لمن أيدوهم ومدحوهم. فالمدح غرض شعري يتناول فيه الشاعر وصف محاسن الممدوح ويعدد مآثره، وقد شاع غرض المدح واستثرى في الشعر العربي، وبلغ مبلغا متقدما في اعتماده من طرف الشعراء، كما كان المدح ينبع من دافع حقيقي يدل على كرم الخلق، ثم تطورت هذه الدوافع إلى حب المال هذا الحب الذي جر بعض الشعراء إلى

[1] – غازي طليمات وعرفان الأشقر، الأدب الجاهلي –قضاياه. أغراضه. أعلامه. فنونه–، دار الإرشاد، حمص/سوريا، ط1، 1992م/1412هـ، ص160.

[2] – ابن رشيق القيرواني، العمدة، ج1، ص80 .

غاية التكسب[1]. وقد ظهرت هذه الغاية في أواخر العصر الجاهلي، فقد قام بعض الشعراء يقدمون على السادة والملوك يمدحوهم وينالون جوائزهم، حتى أنهم جعلوا من الشعر كمصدر هام لجلب المال فكانت عنايتهم بالقصائد عناية بالغة حتى تحقق لهم ما يريدون من خلال التأثير في ممدوحيهم.[2]

كما اهتم النقاد بموضوع المديح، وأرشدوا الشعراء إلى مواطن الإجادة ومواطن الضعف، وبينوا لهم نيل الحضرة عند ممدوحيهم، ويرجع قدامة بن جعفر صفات المدح إلى مجموعة من الفضائل والخصال وتتمثل في العقل والشجاعة والعدل والعفة[3] وهذه الخصال الأربعة اعتبرها أصولا وكل أصل يتفرع إلى صفات ثانوية، فالعقل أصل ترجع إليه من الفضائل كالمعرفة والحياء والبيان والعلم والحجة والحلم والسياسة والكفاية والصدع بالحجة، والشجاعة أصل ترجع إليه فضيلة الحماية والدفاع والإقدام، والعدل يحمل الكثير من الخصال كالسماحة والتبرع بالنسائل وإجابة السائل وقرى الأضياف، كما نجد العفة ترجع لها الفضائل كالقناعة وقلة الشره وطهارة الإزار وغيرها .[4]

إضافة إلى هذا التقسيم الذي وضعه النقاد مقياسا للجودة والذي يمدح فيه الشاعر بفضيلة ما من الفضائل المذكورة، دعا النقاد إلى مراعاة الممدوح فلكل ممدوح ما يناسبه من المعاني والصور والأساليب والتشبيهات.

وأما من ناحية المضمون فالشاعر يبرز في ممدوحيه الصفات التي تُظهر الإعجاب وهي صفات تقليدية يطيب للعربي أن يوصف بها كالمروءة والشجاعة والكرم وما يدور حول انتصارات الممدوح التي تعد نصرا للدين والأمة، ويدخل أحيانا في وصفه المعارك والسلاح والجيوش .

---

[1] – ينظر: غازي طليمات و عرفان الأشقر، الأدب الجاهلي –قضاياه. أغراضه. أعلامه. فنونه–، ص161.

[2] – ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي –العصر الجاهلي–، دار المعارف، القاهرة، ط11، د.ت، ج1، ص211.

[3] – قدامة بن جعفر، نقد الشعر، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، ط1، 1302هـ ، ص20 .

[4] – المصدر نفسه، ص21 .

والمديح عند شاعرنا ابن عمار لا يختلف كثيرا عن المديح في القصيدة العربية الأصيلة، فقد نظم شعر المدح وأبدع فيه حتى إنه كان ينافس أستاذه ابن علي في إبداع المعاني والصور واختيار اللغة وحتى في عدد الأبيات وهذا ما أوضحه أبو القاسم سعد الله بقوله : " هذه القصيدة هي جواب ابن عمار لابن علي على قصيدته السابقة.. وقد تعمد ابن عمار أن يجيبه بنفس الوزن والقافية وحتى عدد الأبيات، فكأنه بذلك يسابقه ويبارزه" [1] .

فقد غلب على شعره موضوع المدح وغالبا ما توجه مدائحه إلى المديح النبوي والتحبيب إلى إحياء هذه الذكرى المقدسة في ديننا الحنيف، كما توجه مديحه كذلك إلى الأمراء والخلفاء والعلماء خاصة أستاذه ابن علي الذي كان له النصيب الأكبر، فتغنى ببطولات الحكام والسادة ومكارمهم وخصالهم الحميدة في السلم والحرب،كما تغنى بشخص ابن علي وذكائه وفطنته وعلمه .

كما أعجب شاعرنا بالخلق الرفيع والرأي السديد وبالشجاعة الفائقة والكرم الواسع، فأثنى على رجال العلم والأدب ونظر إليهم نظرة افتخار وإعجاب، فتفنن في ذلك مستحضرا المعارف الأدبية والتشابيه وأسماء كبار الأدباء والشعراء، ونظر نظرة اعتزاز وإكبار تجاه الملوك والوزراء بطريقة حكمهم ورشاد سياستهم، وبعظيم انتصاراتهم وبقيم تسامحهم .

أ- المديح النبوي: قبل أن نبدأ بأنواع المدح وما مدح فيه الشاعر من العلماء والأصدقاء والأمراء والحكام، وجب أن نذكر أولا مديحه للنبي صلوات الله عليه وهذا لتعظيم هذا الموسم الذي شرف به الإسلام فقد "كان ابن عمار من كبار الشعراء في القرن الثاني عشر الهجري، وله شعر كثير"[2] وهذه القصيدة الموشحة التي بين أيدينا اخترت منها هذه الأبيات :

[1] - ديوان أشعار جزائرية، ص41 .

[2] - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في المغرب الأقصى، ج10، ص217.

يَانَسِيمًا بَاتَ مِنَ زَهْرِ الرُّبَى يَقْتَفِي الرُّكْبَانَ

اِحْمِلْنَ مِنِّي سَلاَمًا طَيِّبًا لِأُهَيْلَ البَانَ

اِقْرَأْنَ منِّي سَلاَمًا عبِقًا إِنْ بَدَتْ نَجدُ

إِنَّ لِي قَلْبًا إِلَيْهَا شَيِقًا شَفَّهُ وَجَدُ

وَفُؤَادِي يجْتبَيِهَا حَرَقًا وَضَنّي يَعْدُو

وَدُمُوعُ العَيْنُ تَهْمَى سَحَبًا قَطْرُهَا هَتَّانَ

وَالكَرَى عَنْ مُقْلَتِي قَدْ غَضِبَا وَجَفَا الأَجْفَانَ

يَا رَعَى اللهُ فُؤَادِي كَمْ لَهُ لِلْحِمَى تَوْقُ

كُلَّمَا حَثَّ الرِكَابُ بِزَلِهِ هَزَّهُ شَوْقُ

وَحَنِينًا يَنْقَضِي لَيْلُهُ إِنْ سَرَى بَرْقُ[1]

وهو ينادي هذا النسيم الطيب الذي يقتفي وراء زائرين مقامه الطيب وديارة الطيبة ويقرئه السلام، ويسلم على عرب نجد، فقلبه متشوق وفؤاده يحترق ودموع عينه تهمى كالسحب، فشدّه الغضب والحزن والحنين إلى أرضه الطاهرة والطيبة، فقد تاقت نفسه ومما زاد في شوقه وحنينه هؤلاء الركاب الذين يشدون الرحال إلى الأراضي الطاهرة المقدسة.

وقوله في نفس الموشح:

[1] – ابن عمار، الرحلة، ص16.

وَأَنَا الجَانِي الذِي قَدْ هَرَبَا لِعُلَى ذِي الشَانَ

وَرَأَى مَدْحَ النَبِّي مَذْهَبًا وَبِهِ قَدْ دَانَ

ظَلَّ القَلْبُ بمَدْحِ المُصْطَفَى عِنْدَ إِبْعَادِهِ

وَاتَّخَذَ عِيدًا وَعُرْسًا قَدْ صَفَا يَوْمَ مِيلاَدِهِ

يَوْمَ نِلْنَا الفَوْزَ وَصْفًا ظَلَّ إسعادِهِ[1]

وَعَلَى الآلِ وَمَنْ قَدْ صَحِبَا هَاطِلُ الرِضْوَانَ

مَا هَمَا غَيْثٌ وَمَا هَزَّ الصِبَا عَذْبَةُ الأَغْصَانَ[2]

ويظل قلبه يمدح المصطفى عليه السلام فيقربه منه رغم بعده عنه، فيتخذ من يوم ميلاده عرسا وفرحا، ودائما يتجدد شوقه، وتتجدد صبابته، ويتجدد هيامه، وقد فاز بهذا اليوم الطيب الطاهر الذي ينادي فيه محبيه فيصلون عليه ويبدعوا في أمداحهم له أفضل الصلاة والسلام، والشاعر يقول بعد هذه القصيدة البديعة أن له غيرها من المنظومات والقصائد الموشحة التي تصل إلى عدد الديوان في مدح الرسول الكريم لكن هذا الديوان مفقود للأسف.

ب– مدح العلماء :

من النعم الجليلة التي أنعمها على عباده نعمة العلم فهو الخير والهداية والبركة والرفعة، مدحه الله عز وجل في كتابه وعلى لسان رسوله (صلى الله عليه وسلم) بل أمر نبينا (عليه الصلاة والسلام) بان

[1] – ابن عمار، الرحلة، ص21.

[2] – المصدر نفسه، ص27.

يطلب الاستزادة منه في قوله عزوجل:﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾[1]. فقد افتتح به عند نزوله على نبينا الكريم فكان أول ما نزل عليه وذلك في سورة العلق قوله تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ﴾[2] وقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تحث على طلب العلم والاستزادة فيه، من مدح العلماء، وحثٌ على طلب العلم، وبيانٍ لأهمية العلم في حياة الإنسان، وكما حثنا على طلب العلم، مدح العلماء ورفعهم إلى منزلة الأنبياء، ورفع من قدرهم وعظيم مكانتهم في آيات كثيرة ونذكر منها قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**﴾ [3]، وقوله:﴿**فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[4]، وفي موضع آخر قال: ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ**﴾[5] "وقد قرن شهادته بشهادتهم وشهادة ملائكته، وهذا يدل على عظيم منزلتهم، ورفيع مكانتهم، وعلو درجتهم"[6]، ففضلهم يدل على ما يحملون من علوم سواء كانت نقلية أو عقلية.

ومن خلال ما تقدم عن فضل مدح العلماء نجد أن ابن عمار قد أبدع في هذا المجال خاصة عندما خص مدحه على شيخه وصديقه ابن علي وشعره، قائلا عنه انه إلى جانب جودة الشعر كان راوية للحديث مفسرا للقرآن، وكان تقيا ورعا، وأديبا ناسكا فقال فيه :

أَدَبٌ يريكَ الروضُ وقتَ ربيعهِ وَتَنَسُكٌ يدْنيكَ من رحْمانهِ

[1] – سورة طه، آية114.

[2] – سورة العلق، آية 01.

[3] – سورة فاطر، آية 28.

[4] – سورة النحل، آية، 43.

[5] – سورة آل عمران، 18.

[6] – الحسن الدليمي، أعلام الدين في صفات المسلمين، تح: آل البيت، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، ط2، 1414هـ، ص86.

فالعِلْمُ أنْتَ اليَوْمَ خائِضُ بَحْرِهِ وَالشِعْرُ أَنْتَ اليومَ ربُ عنانَهِ [1]

يرى الشاعر في ممدوحه أن أدبه هو كالروضة وقت الربيع عندما تزهو بالألوان والأنواع والجمال والبهاء، كما صنف علم ابن علي في أعلى المراتب في عصره فإذا وُجد العلم خاض بحره وإذا ذُكر الشعر اعتلى وتألق .

ونجده في موضع آخر يمدح براعته في الكتابة والشعر وغيرها من الميزات الفنية كصياغة المعاني واختيار الألفاظ وأفكاره المتجددة التي تميز بها عن غيره من الكتاب في عصره فقال فيه:

يَا بَارِعًا بَرَزَتْ سَوَابِقَ فِكْرِهِ فِي حَلَبَةِ الشُعَرَاءِ وَالكُتَّابِ

صُغْتَ المَعَانِي فِي اِنْتِظَامِكَ أَعْيُنًا وَرَقَائِقَ الأَلْفَاظِ كَالأَهْدَابِ

أَبْرَزْتَهَا مِنْ خَدْرِ فِكْرِكَ خَرْدًا تَخْتَالُ فِي حُلَلٍ مِنَ الآدَابِ

ذِهْنٌ يَسِيلُ وَفِكْرَةً مَشْبُوبَةً وَذَلِيقُ نُطْقٍ صَادِعٍ بِصَوَابِ[2]

وفي موضع آخر تحدث فيه عن إحيائه للعلم فقال فيه :

العَالِمُ العِلمَ الذي أحْيا لنَا ما قَدْ أمَاتَ الدَهْرَ مِنْ نَعْمَائِه [3]

فوصفه بالعالم الذي أحيا العلوم التي مضى عليها الدهر وأماتها، كما زاد في جمال هذا البيت المحسن البديعي حين طابق الشاعر بين (أحيا وأمات)، وهذا لإبراز ممدوحه في علمه المنير والذي تألق

[1] – ابن عمار، مختارات مجهولة من الشعر العربي، ص47 .

[2] – ابن عمار، الرحلة، ص54.

[3] – المصدر نفسه ، ص 47.

في مختلف العلوم، وذكر لنا من هذه العلوم التي أبدع فيها، وهي راوي الحديث النبوي الشريف ومفسر للذكر الحكيم والتأويل إلى غير ذلك من العلوم في قوله :

رَاوِي حديثَ المصْطفَى ابن عَلي المعْدودِ في ذَا العَصْر منْ أعْيانِه

ومفَسّر الذِكْر الحَكِيم و مُظهِـر التَأْويلَ والممَنُوحَ فَهْم بيَانِه

والمرَشِفَ الآذان مِن سِلسَالـهِ والمقْطفَ الأذْهانَ منْ بسْتانهِ [1]

وعن طريقته في النظم قال :

نظمٌ لهُ تتدفّقُ الآدابُ منْ جنُباتهِ و العِلمُ من أرْكانهِ

فيقول عنه :" ولما أملى علي شيخنا الأديب النبيه، البارع في فنون المجاز والتشبيه، بعض بدائع حكمه ..." [2] وهي مقدمة نثرية بديعة لابن عمار تسبق قصيدة شعرية في شخص ابن علي فقد تميز ابن عمار عن إبداعه في النثر أكثر من الشعر حتى أن أبو القاسم سعد الله صنفه في فصل النثر في حين صنف ابن علي في فصل الشعر في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي .

وبعد المقدمة النثرية التي تحدثت عنها ذكر أغراض الشعر التي اتسم بها شعره (ابن علي) فقال :

فَإِذَا يُشَبِّبُ فَهُـوَ عُـرْوَةَ رِقَـةً يَهْدِي رَقِيقَ النَّسْجِ مِـنْ غِيلاَنِهِ

وَإِذَا يَصُـوغُ المَـدْحَ فَهُـوَ زَهِيـرُهُ مَهْمَا اِنْبَرَى لِلْقَوْلِ فِي اِبْنِ سِنَانِهِ

وَإِذَا اِغْتَدَى يَصِفُ المَبَانِيَ وَ الذَرَى خَرَّ اِبْنُ حَمِدِيسَ عَلَـى أَذْقَانِهِ

[1] – ابن عمار ، مختارات مجهولة من الشعر العربي ، ص47.

[2] – ديوان أشعار جزائرية، ص 46.

أَوْ جَالَ فِي وَصْفِ الرِّيَاضِ أَوْ الرُّبَى أَعْـرَى أَبَا إِسْحَاقَ مِنْ إِحْسَانِهِ

فَهُوَ الـذِّي رَاضَ الْبَيَانَ وَ سَاسَهُ حَتىَّ اِغْتَـدَى يَنْقَادُ فِي أَرْسَانِهِ

فِي النَّظْمِ أَوْ فِي النَّثْرِ تَحْسَبُهُ الـذِّي يُعْزَي إِلَى سَلْمَانِ أَوْ خَاقَانِهِ

هَذِي القَلاَئِدُ صَاغَهَا وَوَشَّتْ لَنَـا رَيْحَانَـةَ الكُتَّابِ غِـرُّ بَنَانِهِ

لَوْلاَ الإِحَاطَةُ بِالبَلاَغَةِ مَـا ثَنَـى عَنْ مَطْمَحِ العَلْيَاءِ أَهْـلَ أَوَانِهِ [1]

فقد ذكر ابن عمار من خلال هذه الأبيات أغراض الشعر التي اتصف بها شعره هي التشبيب والمدح والوصف، وكما برع في الشعر برع في النثر وهذا لثقافته الأدبية والعلمية وتمكنه من البيان العربي والذوق الفني والثقافة الإسلامية التي تمتد جذورها عبر إنتاج شعراء الأندلس وبغداد ودمشق والحجاز ومصر، فقد عرف "بقوة النفس واتساع العارضة والحبكة الشعرية وطواعية المعاني للألفاظ ومواتاة الصور " [2]؛ فأحاط بالبلاغة واعتلى في زمانه ولا نعلم شاعرا في القرن 12 في المشرق أو في المغرب، بلغ مبلغ ابن علي- ونلاحظ أن ابن عمار يتفنن في مواضع شعره فهو ينتقد طريقة الشعراء- في عصره حتى أن ابن عمار قال إن الشعر قد أصيب برقدة طويلة وغلقت عليه الأبواب قبل ابن على وهذا ما يظهر في قوله :

قَدْ كَانَ بَابُ النَظْم قَبْلكَ مُغْلَقًا فَفتَحْتَهُ يَا فَاتِحَ الأَبْوَابِ

ونَشَرْتَهُ مِنْ بَعْد طَيِّ بِسَاطِهِ وَرَدَدْتَهُ مِنْ بَعْدِ طُولِ ذَهَابِ

وَاسْلَمْ بِطُولِ الدّهْرِ تُوَضِحْ مُشْكِلاً صَعْبًا وَ تُحْي مَيِتَ الآدَابِ [3]

[1] – ديوان أشعار جزائرية، ص44.

[2] – المصدر السابق، ص 17.

[3] – المصدر نفسه، ص47.

فقد فتح باب كان مغلقا هو باب النظم لعلمه ونظرته الثاقبة، فنشره بعد ما كان مهملا ميتا، فجاء ابن علي ليحييه من جديد ويسهله بعد ما كان صعبا فتجاهله الكثير من العلماء.

هذا شعره عن إمامه وأستاذه وصديقه ابن علي، ونجده كذلك يذكر في شعره آخرون عاصرون أو عاش بينهم أو تعرف إليهم فيقول عن الزروق بن عبد اللطيف الذي تولى الفتوى والتدريس والخطابة:

إِمَامُ الهَدْيَ مُفْتِي الأَنَامُ وَشَيْخَهُمْ فَتَى الرَّأْيَ وَالتَدْبِيرَ وَالعِلْمَ وَالنَّظَرَ

ذَكِيٌ إِذَا مَا جَالَ فِي لَيْلِ مُشْكِلٍ جَلاَ جُنْحَهُ مِنْ ذِهْنِهِ سَاطِعٍ بَهَرَ [1]

كما ذكرت أنه يتحدث عن الزروق بن عبد اللطيف، فوصفه بعدة أوصاف وهي الإمام وهذا لأنه يوجه ويرشد والمفتي، لأنه يشرح ويفسر المسائل الدينية، والشيخ لكبره ورزانته وهيبته، ونعته بفتى الرأي لرأيه السديد وعلمه، ووصفه بالذكي لنظرته الثاقبة وبراعته في حل المسائل المصتعصية؛ فهذا المدح الجميل الذي مهما حاولنا شرحه لا نستطيع الوصول إلى الصورة الرائعة التي عبر بها ابن عمار.

ويقول عن احمد بن عبد اللطيف الذي نسب إليه الوزارة :

كَمَا سَطَعَتْ أَنْوَارُ وَجْهَ وَزِيرَنَا إِذْ اِقْتَحَمَ الهَيْجَاءَ أَوْ مُنِحَ البَدْرَ

سُنِيٌ سِرِيٌ مَـاجِـدٌ مُتَفَضِّلٌ زَكِيٌ فَلاَ يَعْرُوهُ جُبْنُ وَلَا خُوَرَ[2]

[1] – ابن عمار، أشعار مجهولة من الشعر العربي، ص 68 .

[2] – ديوان أشعار جزائرية، ص62.

فيرى الشاعر في ممدوحه وجها مشرقا ساطعا بأنواره، فيقتحم به الهيجاء ويمنح البدر، ويقول سعد الله في التعليق انه لم يكن في الجزائر العثمانية وظيفة بهذا اللقب، فنلاحظ أن شاعرنا أوسم الوزارة إلى ممدوحه لجدارته وإعجابه به ووجد فيه قدرا كافي من الذكاء والفطنة والعلم.

شخصية أخرى من عائلة عبد اللطيف، وهو عبد الرحمن، والذي وصفه أنه كان كاتب سر ويقول فيه:

كَمَا فَضَحَتْ دُرُّ القَلَائِدَ صَفْحَةً وَشَتْهَا بِنَانَ الكَاتِبُ السِرِّ أَنْ نَثَرْ

أَبِي زَيْدٍ المَطبُـــوع أَبلَـــغُ كَاتِبٍ تَصَدَّرَ لِلْتَرْسِيـــــلِ أَوْ شَاعِرٌ شَعَرْ

إِذَا مَا وَشَى بالنَّظْمَ وَ النَثْرَ صَفْحَةً تَنَظّـــمَ دُرُّ العِقْـــدَ وَانتَثَرَ الزَهَرْ [1]

هي صورة صوّرها ابن عمار عندما تحدث عن الكاتب البليغ، وهو بهذا التصوير يبين لنا أنه يجيد الشعر كما يجيد في النثر، فقال "تنظّم در العقد" ويقصد به الشعر، وقوله "انتثر الزهر" فشبه نثره بالأزهار المنتثرة الجميلة الباهية وهذا لجمال كتاباته وسلاستها.

شخصية أخرى خصها كذلك بالمدح من عائلة عبد اللطيف، وهو محمود الذي كان متوليا للقضاء فقال فيه :

كَمَحْمُودِهِمْ قَاضِي القُضَاةَ أَبِيُّ الثَنَا تَوَطَّى عَلَى مَتْنِ القَضَاءِ لَهُ الـــمَقَرَّ

سِرِّيٌ سَرَى نَحْوَ العُـــلَا يَبْتَغِي المُنـــا وَأَسْهَرَ طَرْفَ الحَزْمِ كَيْ يَبْلُغَ الوَطَرَ

فَقِيهٌ إِذَا مَـــا الخَصْمُ حـــاوَلَ فَصْلَهُ تَرَاءَى لَهُ النُعْمَانُ فِي الوَرْدِ وَالصَدْرَ [2]

[1] – ديوان أشعار جزائرية، ص62.

[2] – المصدر نفسه، ص 62.

وظف الضمير "هم" للدلالة على انتمائه إلى عائلة ابن عبد اللطيف، وهنا أثنى عليه لعلمه وجدارته بهذا المنصب وعلى عائلته، فهو يستحق الثناء والتقدير واستطاع بذلك التفوق على خصومه فاعتلى بفضل هذا العلم ووقوف النعمان في صفه .

ثم ختم القطعة الشعرية بمدح ابن ميمون[1] فقال :

أَديبٌ أَرِيبٌ بَـارِعٌ مُتَفضِّـل تَبَحَّرَ في الآدابِ وَ انْهَلَّ كَالمطَر

إِذَا خَاضَ في الآدَابِ أَوْ جَادَ وَاحْتَبَى رَأَيْتَ الهُزْبُرَ الوَرْدَ وَ الرَوْضَ وَ النَهَر

فالشاعر هنا يبين براعة الأديب والشاعر "ابن ميمون"، فكان من المفضلين عند ابن عمار في شعره وكتاباته، وما زاد الصورة جمالا وأناقة، ذلك التشبيه الذي وظفه، ليبين مدى براعة الشاعر وكثرة أعماله في قوله :" انهل كالمطر" فشبه كثرة أعماله وتنوعها بغزارة المطر .

وفي صورة أخرى جعل من ابن ميمون بارعا في كل لون أدبي خاض فيه شعرا كان أم نثرا وهذا عندما وظف أسلوب المبالغة في تنوع أعماله مستعينا بتشبيهات من جمال الطبيعة الخلابة.

جـ- المدح بالقوة و الشجاعة :

وقد بالغ ابن عمار في وصف عائلة ابن عبد اللطيف وهذا لإعجابه الكبير بهم ولإعلاء مكانتهم في ذلك الوقت فقال :[2]

إِذَا اِقْتَحَمُوا الهَيْجَاءَ خَلَتْ صُدُورُهُمْ لَسَمِرَ القَنَا الأَتْرَاسِ وَ المِغْفَرُ الغُرَرْ

[1]- محمد ابن ميمون صاحب كتاب " التحفة المرضية " فقد كان معاصرا لابن عمار، وأستاذا وشاعرا وكان عميق الثقافة في عصره .

[2]- ابن عمار، أشعار مجهولة من الشعر العربي، ص 62 .

قُلُوبٌ كَصَمِّ الصَخْرِ تَقْتَحِمُ الـوَغَى وَإِنْ شَاهَدُوا المِسْكِينَ فَهِيَ صَبَا سَحَرْ

إِذَا جُـنَّ لَيْلُ النَقْـعُ وَاشْتَجَرَ القَنَا تَجْلُوا بُدُورًا تَمْـــحَقُ اللَّيْلَ وَ السَّمَرَ

فَمَـا أَبْرَقَتْ تِلْكَ الأَسِنَّةِ وَ الضِبَا عَلـــــىَ مَعْرَكٍ إِلَّا الدِّمَـاءُ لَهُ مَـــطَرَ

وَإِنْ شَهَرُواْ اَلأَسْيَافَ أَوْ ثُقِفُواْ القَنَـا رَأَيْتَ قَتِيلاً أَوْ طَعِينًا عَلَـــى الأَثَـــرَ

الشاعر يتفنن في استعمال البديع والبيان ويغوص بين التشابيه النادرة والمجازات الغريبة فيستثير إعجاب النقاد وغيرهم ممن أولعوا بالصنعة وأعجبوا بتنميق الكلام، ونحس بشعور عميق يحرك الشاعر ويدفعه إلى المبالغة في المدح ، هذه الخاصية الفنية في المدح تعود إلى "صدق الشاعر في إظهار الحقيقة ليس بصورتها المرئية وإنما بالصورة القادرة على إظهارها بقسمات مؤثرة وممتعة"[1].

ودلالة الكلمات" اقتحموا، قلوب كصم الصخر، تمحق، الدماء، شهروا السيوف، قتيلا، طعينا..." على قوة وشجاعة هؤلاء الأشخاص وصلابتهم فهو بهذه الأوصاف يبدع ويعطي صورة مميزة لهم فهم شرسون وخطرون في قلب المعركة؛ ويقول أبو القاسم سعد الله في تعليقه على هذه الأبيات: "يبدو أن هذه الأوصاف العسكرية لعائلة ابن عبد اللطيف قد بالغ فيها ابن عمار، لان دراستنا لتاريخ الجزائر لم تكشف لنا عن قائد قوي بهذا الاسم، ونفس الشيء يقال عن مبالغته في دورهم السياسي"[2]. نستطيع أن نكشف من خلال هذه الأبيات شاعرا مبدعا جديرا بأن يمثل شعره بشعراء كبار كابن الخطيب وغيره شاعرا يجمع بين غزارة شعوره وتدفقه، شاعرا يملك ناصية الصياغة الشعرية والصناعة الكلامية وله قصائد تخللت أحاسيس الشوق والحنين.

[1] – غازي طليمات وعرفان الأشقر، الأدب الجاهلي –قضاياه. أغراضه. أعلامه. فنونه–، ص176.

[2] – ديوان أشعار جزائرية، ص 61.

د- المدح السياسي :

تعتبر المأدبة التي وصفها أحمد ابن عمار في قصيدته المعروفة لقصر آل عبد اللطيف لها أكثر من مغزى، فهي مناسبة التقى فيها العلماء والرؤساء من ملوك ووزراء وأمراء، حتى يقول سعد الله: "أحسسنا من وصف ابن عمار لها، نثرا وشعرا، أننا في مجتمع راق يزدهر فيه الفن والأدب "[1].فتألق شاعرنا في مدح آل عبد اللطيف في أغلب أبيات القصيدة. فتجاوب فيها الشعر والسياسة فمزج بينهما، وتنوعت أغراض شعره في قصيدة واحدة، وقد ظهرت تلك المناسبة كحلم أبدعه خيال شاعرنا، ذلك أن لغة التخاطب والاهتمام لم تكن واحدة؛ فيبدأ بمقدمة يصف فيها القصر إلى غرض المدح الذي خص به عائلة ابن عبد اللطيف وبعض الأصدقاء الذين حضروا تلك الليلة البديعة والمليئة بالأخبار والأشعار. ففي مدحه عن دورهم السياسي في عهدهم قال :

لَئِنْ بَطُرَتْ أَرْضُ الجَزَائِرَ وَازْدَهَتْ عَلَى جُلَةِ الأَمْصَارِ حَقٌ لَهَا البَطَرَ

كَأَنَّ بِهَا وَ المَلِكُ يَحْمِيهِ رَأْيُهُمْ بِبَغْدَادِ لاَ جُورًا نَخَافُ وَلاَ أَشَر

لَنَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ مُحَمَّدُ وَمِنْهُمْ رَشِيدٌ أَوْ بَرَامِكَةُ غُرَرُ[2]

يشبه الشاعر محمد باشا في الجزائر بهارون الرشيد في بغداد وابن عبد اللطيف بالبرامكة، وهو يبين من خلال هذه الأبيات حيث عبر عن آراء محمد باشا الصائبة هذه الآراء التي يشترك فيها الأمراء والعلماء فلا جدال ولا خوف في ظل هؤلاء الحكام وأمثالهم .

[1] – ديوان أشعار جزائرية، ص 20 .

[2] – المصدر نفسه، ص67.

هـ- المدح بالجود والكرم :

في الجود والكرم قال عن ابن عبد اللطيف :

كَجُودِ بَنِي عَبْدِ اللَّطِيفِ إِذَا هَمَى فَمَا أَنْ يُقَاسُ بِالجَدَاوِلِ وَ النَّهَرَ

هُمْ أَوْثَقُوا لِلْمَجْدِ أَوْثَقَ عُرْوَةٍ كَمَا فَجَّرُوا لِلْجُودِ بَحْرًا بِهِمْ اِنْهَمَرَ[1]

و- مدح المدونات والكتب:

ويمكن أن نظيف إلى شعر المدح ذلك الشعر الذي قيل في تقريظ الكتب ونحوها، ومن ذلك تقريظ ابن عمار لكتاب" الدرر على المختصر" لابن حمادوش، حيث ختم ابن عمار هذا التقريظ بأبيات شعرية نذكر منها هذا البيت في قوله:

هَنِيئًا هَنِيئًا أَيَا مُخْتَصَرُ بِشَرْحٍ بَدِيعٍ جُمُوعٍ أَغَرْ

ونجده في موضع آخر كتب تقريظا لكتاب ألفه الوزير حمودة بن عبد العزيز التونسي، وهو تقريظ مثل فيه شاعرنا احمد ابن عمار بأساليب البلاغة الموروثة عن المدرسة الأندلسية في بلاد المغرب، وهي -كما قال أبو القاسم سعد الله- المدرسة التي كان ابن عمار من أواخر فحولها في الجزائر[2]، وكعادته مزج في هذا التقريظ النثري بأبيات من الشعر، وتتألف القطعة من اثني عشر بيتا من بحر البسيط، وقد التزم ابن عمار بأربعة أحرف في قافيتها، وهي اللام والياء والهاء والألف وكانت بدايتها وهي قوله:

[1] - ديوان أشعار جزائرية، ص66.

[2] - أبو القاسم سعد الله، تقريظ للمفتي ابن عمار ظروفه ونصه، مجلة مجمع اللغة العربية، الأردن، ع65، ص237.

شَمْسٌ تَجَلَتْ فَمَا أَسْنَى تَجَلِيهَا لاَحَتْ عَلَى غُرَّةِ الدُنْيَا تُحَلِيهَا

أَبْدَ مَطَالِعُهَا أَسْنَى طَوَالِعُهَا* مِنْ أَيْنَ لِلشَّمْسِ تُجْلِّي فِي مَجَالِيهَا

قَوِيَ** بِهَا عَضَدُ التَوْحِيدَ مَنْشَئُهَا فَالسَّعْدُ يَكْتُبُهَا وَالفَخْـــرُ يُمْلِيهَا

دَلَّتْ مَعَالِمُهَا عَلَى إِبَايَتَهَا*** وَمِنْ إِشَارَتِهَا لاَحَـــــتْ مَعَالِيْهَا

مَوَاقِفُ يَكْبُرُ النِّظَامُ مَدْخَلُهَا وَهِيَ النَجَاةُ لمَنْ أَضْحَـــى يُوَالِيهَا

لِلَّهُ أَبْكَارُ أَفْكَارٌ شَفَعَتْ بِهَا تَمْلِي عَلَيْهَا فَمَا أَحْلَى أَمَالِيهَا

قُوتُ القُلُوبَ وَإِحْيَاءِ النُّفُوسِ لمَنْ (يَبْغِي)**** مَقَاصِدَهَا وَالحَقُ يُعْلِيهَا

صَحَائِفُ نَقْعُ التَجْرِيدَ حَاصِلَهَا يُبْلِي الزَمَانَ وَلاَ يَسْتَطِيعُ يُبْلِيهَا

اِسْطَعْ بِبُرْهَانِهَا المَنْخُولِ وَأسْمَى إِلَى شَمْسُ المَعَارِفِ فِي أَسْمَى تَجَلِيهَا

فَاللهُ يَحْرُسُ مُنْشِيهَا وَيُسْكِنَهُ أَثْنَى (وَإِنْ عَمَرَتْ)***** أَوْقَاتُ مُمْلِيهَا

لاَزَالَ يُنَظِمُ فِي جَيدِ الإِيَالَةِ****** مِنْ دُرِّ المَحَاسِنِ مَا يحْكِي لِآلِيهَا[1]

---

* - في الأصل طولعها

**- في الأصل قوّ .

***- يقول سعد الله هكذا مرسومة في الأصل حيث مازال اللفظ والمعنى غير دقيق في نظره .

****- مابين قوسين كلمة اجتهد سعد الله في تخريجها لأنها غير واضحة.

*****– ما بين قوسين غير واضح في الأصل وقرأه سعد الله على النحو المذكور.

******- الإيالة هي الولاية أو الإقليم الإداري في العهد العثماني، وكانت الكلمة شائعة بالنسبة للجزائر وتونس.

[1] – أبو القاسم سعد الله، تقريظ للمفتي ابن عمار ظروفه ونصه، مجلة مجمع اللغة العربية، ع 65، ص248. وينظر في كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي، ج2/ ص277.

فأثنى فيها على الرسالة وعلى صاحبها بعبارات شعرية رقيقة فشبه الرسالة بالشمس عند تجليها وشروقها فيصل نورها إلى أي مكان في الأرض فحلت وجملت الدنيا وما فيها، فقوى بها علم التوحيد، ونجد أن ابن عمار بهذا المدح يجعل الكاتب من المنشئين الأوائل لعلم التوحيد وهذا لبراعته في هذا العلم وهو يفخر به وبعلمه وقد واصل في مدح المؤلِف والمؤلَف إلى نهاية القطعة الشعرية.

2 -2 الوصف :

في التعريف اللغوي للوصف فهو التحلية والتجميل، ويقال: وصف الشيء له وعليه وصفا، وصفه: حلاه وجمله، وللصديق أوصاف حسنة وصفات جميلة، وتواصفوا الكرم إذا وصف بعضهم بعضا، وقد جعله النحويون أنه يتناول المدح والذم، والحسن والقبيح، فيقال: هذا فتى وسيم، وذاك رجل ذميم، وفلان له أصل كريم، والآخر له نسب لئيم. فهو عندئذ تصوير للظواهر الطبيعية بصورة واضحة التقاسيم، وتلوين الآثار الإنسانية بألوان كاشفة عن الجمال، وتحليل المشاعر الإنسانية تحليلا يصل بك إلى الأعماق، فالوصف هو عمود الشعر وعماده، كما يعد الوصف كالوعاء الذي تصب فيه كل الأغراض الشعرية، فالمدح وصف نبل الرجل وفضله، والنسيب وصف النساء والحنين إليهن، والشوق إلى لقائهن، والرثاء هو وصف محاسن الميت، وتصوير آثاره وأياديه، والهجاء وصف لسيئات المهجو، وتصوير نقائصه وعيوبه، وهكذا نستطيع أن ندخل جميع الأغراض الشعرية تحت فن الوصف، ولهذا لم يضع له بعض النقاد والشعراء بابا خاصا به. [1]

كان الوصف موضوع الشاعر العربي الذي اعتاد فيه وصف الحيوان والطبيعة، وكان من بين الأوصاف الكثيرة وصف الفرس والناقة، والتي كانت أساس حياته وقوام معيشته، فكان وصفه لهذين

[1] – عبد العظيم علي قناوي، الوصف في الشعر العربي– الوصف في العصر الجاهلي–، مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1949م/1368هـ، ج1، ص 42.

الحيوانين دقيقا لما له من صلة وثيقة به ومعرفته التامة بهذين الصديقين، فعلاقته بهما كعلاقة الأخ بأخيه أو ما شابه ذلك فقد تكون أوصافه بذكر أعضائه وعاداتهما، أو يذكر تعبه جراء السفر الطويل وغير ذلك، وقد يصف بعض المخاطبة التي توهمها مع ناقته، وفي هذا وصف جميل وهو وسيلة من وسائل التعبير عن النفس وهي صورة رائعة لأحاسيس العربي .[1] ومن خلال ما وجد الشاعر لهذين الحيوانين وغيرهما من الحيوانات الأليفة من منافع على الإنسان العربي القديم وما تحمله له من صبر جميل والوفاء الكريم ومن فوائدها نذكر مايشربه من ألبان وما يكتسي من نسج وبرها وصوفها، وما يأكله من لحمها، هذا ونذكر كيف كانت الأنيس له في وحشته فتخفف عليه وحده فتنقاد له كانقياد الصديق، وقد وجدنا وصف طرفة ابن العبد أحسن مشهد يصور فيه ناقته في معلقته المعروفة فهي أبيات كما قيل عنها تنبض بالحياة وتفيض بالحركة.[2] وقد غطت أوصافه معظم ما عرفناه من الطبيعة الحية والطبيعة الميتة فشملت أوصافه اغلب الحيوانات الموحش منها والمؤنس، وقد استمدوا مختلف صورهم وتشبيهاتهم من بيئتهم الصافية والهادئة وقد اعتمدوا في ذلك على الألفاظ الجزلة، والكلمات الصلبة التي تستمد صلابتها من صخور صحاريهم، كما تستمد ضخامتها من أعالي جبالهم، أما إذا غيروا الفن جاءوا بألفاظ رقيقة وكلمات لينة وهم بهذا كانوا بارعين في تطويع الكلام على حسب الصورة الظاهرة لهم.

وقد قسم الدارسون غرض الوصف إلى قسمين أساسيين هما وصف الظواهر الطبيعية التي خلقها الله تعالى، ووصف الآثار الإنسانية التي اخترعها الإنسان المبدع، وأن الظواهر الطبيعية بدورها تنقسم إلى قسمين هما :

1 – الظواهر المتحركة (الطبيعة الحية): ومنها الخارجية وهي كل ما ينبض بالحركة والحيوية من حيوانات والتي صنفها العلماء إلى الحيوانات الأليفة مثل(الناقة والفرس، والكلب والمعز والغنم

[1] – ينظر: ابتسام مرهون الصفار، الأمالي في الأدب الإسلامي، دار المناهج، عمان، د.ط، 2005، ص 193.

[2] – ينظر: عبد العظيم علي قناوي، الوصف في الشعر العربي– الوصف في العصر الجاهلي–، ج1، ص59.

وغيرها مما تفيد الإنسان وحتى تعيش معه)، وحيوانات موحشة مثل(السباع، والأفاعي، الذئب والثعلب والحشرات وغيرها مما تضر بالإنسان)، وقد سماه العلماء الغربيون بالوصف الموضوعي، وأما الظواهر الداخلية التي سماها الغرب بالوصف الذاتي وهي التي تمثل حالة الشاعر، فتصف ما يجول في خاطره، من خفقان قلبه، أو تقرح كبده، وما حرك وجدانه وشعوره وغيّر أفكاره، وكل ما يصوره من تلك التموجات النفسية والاهتزازات العاطفية.

2- الظواهر الساكنة(الطبيعة الميتة): والتي لا حركة فيها ولا حياة وتتمثل في كل ما خلقه الله تعالى من السموات والأرض من كواكب، وجبال وصحاري، وبحار وانهار، وكل ما ينشأ منها من مد وجزر، وبرق ورعد، وغيث ومطر، وزلازل وبراكين وأعاصير وغيرها.. [1]

وأما الظواهر لتي كانت من آثار الإنسان وسميت بالطبيعة المصنوعة وهي التي كان للإنسان دخل في بنائها كالقصور والنوافير والصحف والمخابر ووسائل الحرب والسفن والأساطيل وكل ما له علاقة بالتطور الحضاري الذي لحق بالإنسان وكان له الدخل في هذا التطور.

إن الشعر العربي زاخر بغرض الوصف، وهذا ما وجدناه في الدواوين والكتب والمدونات التي أرخت للشعر العربي منذ القدم فالوصف في الشعر العربي قد تداخل مع كل الأغراض الشعرية المعروفة وما حمل هذا الغرض من الدقة والجودة في التصوير، فقد نوعوا في أوصافهم مابين الطبيعة الميتة والحية، فوصفوا عاداتهم وأحوالهم وما تعلق بنفوسهم وتغيرها وغرائزهم المختلفة واستطلاعاتهم، وبهذا فقد بلغ غرض الوصف مبلغا عظيما سواءا في القديم أو في العصور اللاحقة والتي أبدع بواسطته الشعراء في قصائدهم .

[1]-ينظر: عبد العظيم علي قناوي، الوصف في الشعر العربي- الوصف في العصر الجاهلي-، ج1، ص45.

ومن شعراء وصف الطبيعة نجد أنَّ ابن عمار يتصدرهم في هذا الغرض وفي هذا المقام يقول سعد الله:" يعتبر ابن عمار بدون شك من كبار الأدباء وأبرز الشعراء، وخصوصا في ميدان الوصف، فهو فيه كشيخه ابن علي في الغزل" [1]، فقد وصف الرياض والمتنزهات التي زارها خاصة تلك النزهة التي قادته نحو بساتين الجزائر لما فيها من جمال يسحر العين ويثلج الصدر وقد نوع في وصفه مابين الطبيعة المتحركة والساكنة والمصنوعة ونصنف وصفه كما يلي:

أ- وصف الطبيعة المتحركة:

ونجد ابن عمار يتشوق إلى السهر مع الأصدقاء من علماء وشعراء لتكون فيها أحلى ما يسمع ويسمع فيرتوي من الكلام المختار الساري على ألسنة الشعر والطرب وهو يقول في هذا البيت الشعري:

أَدِرْ الكُؤُوسَ مَعَ الأَصَائِلِ وَالبِكَرِ وَاشْرَبْ عَلَى نَغَمِ البَلَابِلِ وَالوَتَرِ [2]

ومن خلال هذه الأبيات يظهر أن ابن عمار كان مع مجموعة من الأصدقاء في هذه النزهة وهو يقول:

مَعَ فِتْيَةٍ مُتَعَاقِدِينَ عَلَى الوَفَا فَكَأَنَّهُمْ فِي مَنْظَرِ الدُنْيَا غُرَرِ

مِنْ كُلِّ مُشْتَمِلٍ بِبَرْدِ مُرُوءَةٍ أَوْ كُلَّ مُلْتَحِفٍ بِثَوْبٍ مِنْ خَفَرِ

الرَّوْضُ يَهْوَى مِنْهُمْ أَخْلاَقَهُمْ وَالبَدْرُ يَعْشَقُ مِنْهُمْ حُسْنَ الصُوَرِ [3]

[1] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص295.

[2] – ابن عمار، الرحلة، ص92.

[3] – المصدر نفسه، ص91.

إعجاب ابن عمار بالخصال الحميدة التي تميز الأشخاص الذين رافقوه في نزهته فهو يشير إليها كما يلي: وهي المروءة والخفر والأخلاق والوفاء والحب، فهذه الخصال ميزته هو كذلك فهذه الصفات أضافت إلى قدرته الأدبية والجمالية وهو بهذا الوصف يحبب ويدعو كل قارئ لهذه الأبيات للتميز بها .

ونجده في موضع آخر يصف صاحبه وصديقه ابن علي –رفيقه في الرحلة– ليصفه بأجمل وأحلى الأوصاف فقال:

لَيْسَ الجَمَالَ وَمَاسَ فِي أَثْوَابِهِ مُتَبَخْتِرًا وَاعْتَزَّ فِي سُلْطَانِهِ

الغُصْنُ غَضَّ وَالشَبِيبَةُ رَطِبَةً فِي شَرْخِهَا وَالحُسْنُ فِي إِبَانِهِ

مَا لاَحَ لِي إِلَّا أَرَانِي شَكْلَهُ مَا ضَمَّهُ الفِرْدَوْسَ مِنْ وِلْدَانِهِ

سَكَنَ الفُؤَادَ وَجَدَّ فِي تَعْذِيبِهِ مَا رَأَى يَوْمًا بِالنَّقَا أَوْ بَانِهِ

مَرْأَى يُرِيكَ فَرْنَدَهُ بِحُسَامِهِ مَاءُ الشَّبَابُ يَجُولُ فِي نِيرَانِهِ[1]

ب– وصف الطبيعة الساكنة:

نزهته في بساتين الجزائر. هكذا بدأ ابن عمار مساجلاته مع ابن علي في التعريف بها حيث قاما الشاعران بنزهة في بساتين الجزائر الزاهية. فنجده نوع في وصف الطبيعة الحيوانية والنباتية وأحيانا يجمع بينهما فكانت هذه الأوصاف كاللوحات الزيتية التي تألقت فيها ريشة لرسام ماهر، ويصف ابن عمار تلك النزهة وهو يقول:

[1] – ديوان أشعار جزائرية، ص 42.

أَنَسِيمُ رَوْضٍ رَقَّ فِي سَرَيَانِهِ وَثَنَى القَضِيبُ فَرَاقَ فِي مِيلَانِه (الطويل)

بَعَثْتُ أُرَانِجُهُ السَّلْوَ فِي خَاطِرِي فَتَخَلَّصَ المُحْزِنَ مِنْ أَحْزَانِهِ

أَمْ رَوْضَةٌ غَنَّاءُ رَاقَ رِوَاؤُهَا خَلَعَ الرَّبِيعُ بِهَا حَلَى أَلْوَانِهِ

وَتَبَرَّجَتْ كَالْخُودِ فِي مُوشِيَةٍ مِنْ وَرْدِهِ المَطْلُولِ مَعَ سُوسَانِهِ

وَبَدَا لِذَلْقِ الطَّيْرِ فَوْقَ غُصُونِهَا شَدْوٌ يُثَارُ الوَجْدُ مِنْ أَلْحَانِهِ

وَجَرَى بِهَاتِيكِ الجَدَاوِلَ مَاؤُهَا فَبَدَا اِنْسِيَابُ الرَّقْطِ مِنْ جَرَيَانِهِ

وَأَمَالُ أَعْطَافُ الغُصُونِ نَسِيمُهَا لَمَّا اِنْبَرَى لِلرَّكْضِ فِي مَيْدَانِهِ

وَتَفَتَّقَتْ أَكْمَامُهَا عَنْ زَهْرِهَا فَتَعَطَّرَ المِضْمَارُ عَنْ رَيْعَانِهِ[1]

حيث بدأ ابن عمار مقدمته بوصف بساتين الجزائر المحروسة فأبدع التصوير وعلق على كل ما وقعت عينه عليه حتى نسيم الهواء كان في هذه الصورة الزاهية المحلات بالأزهار والألوان والأغصان، كما زاد من الصورة جمالا تلك الجداول التي تجري فيها المياه الصافية الجارية بصوتها الرنان، مع طيورها المغردة، فهذه اللوحة الزيتية الجميلة التي صورها الشاعر من واقعه المحسوس عكست الصورة مباشرة وكأنك تراها. وهي خاصية مميزة من خصائص الوصف، وكما نلاحظ أن عناية ابن عمار بالوصف تعتمد على اللوحات الخارجية، وقليلا ما تتغلغل في الوجدان.

[1] – ديوان أشعار جزائرية، ص 41.

ويقول أيضا في موضع آخر وهو يصف بعض المتنزهات:

في رَوْضَةٍ نَسَجَ الرَّبِيْعُ بِسَاطَهَا	مِنْ سُنْدُسٍ وَوَشَى مَطَارِفَهَا المطَرْ	(البسيط)
غَنَّاءُ تُسْلِيْ رَوْنَقًا وَنَظَارَةً	قَلْبَ الشَّجِيِّ إِذَا أَجَالَ بِهَا النَّظَرْ	
بَاكَرْتُهَا وَنَسِيْمُهَا مُتَأَرِّجٌ	يُفْشِيْ الذيْ سَتَرَتْهُ أَكْمَامُ الزَّهَرْ	
وَالوَرْقُ تُفْصِحُ بِالهَدِيلِ كَأَنَّهَا	خَطْباءُ مُنْشِدَةٌ مَنَابِرُهَا الشَّجَرْ	
فَمُصَقّرٌ طَرَباً بِوَصْلِ حَبِيْبِهِ	وَمُغَرِدٌ بَاكٍ أَلِيْفاً قَدْ نَفَرْ	
وَتَمَايَلَتْ أَغْصَانُها طَرَباً بِمَا	تُنْشِيْهِ مِنْ أَلْحَانِهَا وَقْتَ السَّحَرْ	
وَتَرَنَّحَتْ أَعْطَافُهَا فَتَنَاثَرَتْ	مِنْهَا الدَّنَانِرُ وَالدَّرَاهِمُ وَالدُّرَرْ	
وَلَوَاحِظُ الأَزْهَارِ تَقْطُرُ بِالنَّدَى	وَالرَّوْضُ يَضْحَكُ وَالغَمَامُ قَدِ انْهَمَرْ	
وَالدَّوْحُ قَدْ ضَرِبَتْ رِوَاقاً فَوْقَنَا	وَالطَلّ يَرْقُمُ طُرْسَهَا مَهْمَا قَطَرْ	
وَالظِّلُّ مِنْهَا قَدْ تَجَسَّدَ عَنْبَرًا	مَهْمَا يَشُبُّ القَيْظُ مُسْكِتُهُ انْتَشَرْ	
وَاسْتَبْشَرَتْ أَغْصَانُهَا بِقُدُومِنَا	فَتَمَايَلَتْ كَيْمَا تُعَانِقُ مَنْ حَضَرْ	
وَافْتَرَّ ثَغْرُ الأُقْحُوَانِ تَبَسُّمًا	وَاحْمَرَّ خَدُّ الوَرْدِ مِنْ فَرْطِ الخَفَرْ	
وَالنُّوْرُ يَرْمُقُنَا بِمُقْلَةِ عَاشِقٍ	لَمْحَ الذيْ يَهْوى فَادْهَشْنَ إِذْ نَظَرْ	
هَلْ رَوْضَةٌ أَمْ جَنَّةُ الخُلْدِ التي	هَامَ الفُؤَادُ بِحُسْنِهَا لَمَّا بَهَرْ	
مَا إِنْ وَرَدْتُ عَلَى جَحِيْمٍ قَبْلَهَا	حَتَّى دَخَلْتُ رِيَاضَهَا ذَاتَ النَّهَرْ	
وَظَفِرْتُ مِنْ أَزْهَارِهَا وَطُيُورِهَا	بِمُنَى التَّنَسُّمِ وَالمَسَامِعِ وَالبَصَرْ	
وَجَنَيْتُ مِنْ أَدْوَاحِهَا ثَمَرَ المُنَى	إِذْ كَانَتِ الفِرْدَوْسُ دَانِيَةَ الثَّمَرْ[1]	

[1] – ابن عمار، الرحلة، ص91.

وأنت أمام وصف تصويري تشخيصي لفصل الربيع فعناصر الطبيعة فيه كثيرة ومتنوعة مثل (الربيع، الطيور، النهر، الروضة، النور، الأغصان، الورد، المطر، ..) وقد أورد من خلاله ابن عمار هذه اللوحة الطبيعية الرائعة الزاهية بالألوان الجميلة والأشكال البديعة التي شكلتها أغصان الطبيعة وأزهارها المختلفة الألوان والروائح الطيبة، وهذا النسيم النقي الجذاب، وهذه العصافير المغردة وصوت لهديل الحمام الباهر، وكل هذه الأشكال تشكلت فوق بساط أخضر ربيعي تنبعث من حوله الروائح العطرة، مما زاد هذه الروضة بهاء وجمال، وتوظيفه لأنواع الأساليب الإنشائية والخبرية وأحرف الوصل وغيرها زاد الصورة جمالا وماءا وحيوية تسلب الناضر وتفرح السامع، كما أكثر الشاعر من الصور البيانية مثل (واحمرّ خد الورد، واستبشرت أغصانها بقدومنا، والروض يضحك،...) وفي وصفه هذا يستعرض أجزاء الطبيعة الجميلة في غير تساوق وتلاحق، وهذا المشهد عند ابن عمار عبارة عن أجزاء مصقولة مصورة خالية من هيكلية البناء. فما أروع هذه المائدة الزاهية وما أروع ضيفها ابن عمار.

ج – وصف الطبيعة المصنوعة:

ونجد ابن عمار يجيد في موضع آخر في وصف قصر ابن عبد اللطيف، وقد جمع فيه بين النثر والشعر، وما يهمنا في هذا المقام، القصيدة الشعرية التي جمع فيها مجموعة من الأغراض الشعرية، ونود أن نذكر ما وصفه نثرا فقال:" فاحتللنا قصرا وما أدراك من قصر، تقابل الوصف أوصافه بالحبس والقصر، وتعبث بالزهر" ثم وصف انفساخ عرصاته ووفرة الأرائك والمنصات والزرابي والدسوت والفرش والأكواب والفاكهة، وقال إنهم ظلوا في القصر حتى الصباح، يغازلون القدود والبدور الملاح، وكان السرور يغمرهم بحمياه وقد أرخى عليهم الليل سدوله وأداروا الكؤوس ومقطر الورود. وكان الحاضرون لهذه الحفلة كما قال لمة من الأعيان، تهابهم القلوب وجلهم الأعيان، فيهم رجال من الأدب والعلم وأهل الراية والحرب، وقال إنهم قطعوا هناك ليلة أنس قصيرة ولكنها في الفخر ليلة طويلة، وأضاف ابن عمار إلى هذا الوصف، قصيدة طويلة فقال:

وَلَيْلَةُ أُنْسٍ لَذَّ فِيهَا جَنَى السَّهَرْ فَنَاهِيكَ مِنْ أُنْسٍ جَنَيْنَاهُ بِالسَّهَرِ (الطويل)

هَصَرْتُ بِهَا غُصْنَ المَسَرَّةِ وَالمُنَى وَجَرَّرْتُ أَذْيَالَ السَّعَادَةِ وَالظَّفَرِ

وَفُزْتُ بِمَنْ أَهْوَى عَلَى صَوْلَةِ النَّوَى فَنَزَهْتُ فِيهِ القَلْبَ وَالسَّمْعَ وَالبَصَرِ

وَبِتُّ وَلِلْبَدْرِ المُنِيرِ تَضَاؤُلٌ أُغَازِلُ مِنْهُ الحِقْفَ وَالغُصْنَ وَالقَمَرِ

فَلاَ غُصْنَ إِلاَّ مِنْ رَشِيقِ قِوَامِهِ وَلاَ بَدْرَ إِلَّا مَنْ آزَرْتَهُ ظَهَر

فَيَا لَيْلَةَ الأَفْرَاحِ وَالأُنْسِ طُولِي قَلِيلاً وَيَا لَيْلَ المَسَرَّةِ فَاعْتَكِرِ

وَيَا صُبْحُ لاَ تُصْفِرْ عَلَيْنَا فَإِنَّنَا غَنِينَا بِأَسْفَارِ الغَلاَئِلِ وَالغُرَرِ

إِلَىَ اللهِ أَشْكُو مَا جَنَتْ لَيْلَةُ اللِّقَا عَلَى قَلْبِي المَشْغُوفِ مِنْ شِدَّةِ القَصْرِ

خَلِيلَيَّ هَلْ يَسْخُو الزَّمَانَ بِلَيْلَةٍ تَبَسَّمَ فِيهَا السَّعْدُ عَنْ شَنَبِ الوَطَرِ[1]

وصف جال فيه ابن عمار في فنون الأدب والبلاغة ليبدع قطعة شعرية جميلة حيث يصف تلك الليلة المؤنسة التي ابدع فيها العلماء والشعراء والامراء بكل ما يحملونه من عواطف واحاسيس آنست وحشتهم واستلذوا من شعرها وحديثها الشيق مع جمال القصر وما تمتعوا به من رؤية هذه المنصات والأفرشة الجميلة والزرابي المبثوثة والمؤكولات المتنوعة وهذا عندما قال "فنزهت فيه القلب والسمع والبصر" ، والجمال فيها هو المحسنات البديعية التي كانت كالأزهار الزاهية مثل(الليل، الصبح، ال كما نمق هذا الوصف بالسجع الذي كان له وقع في السمع وبهذا فإنه يتفوق على علماء عصره وحتى العصور اللاحقة له؛ فكان هو المبدع والمتألق العفيف والصالح.

[1] – ديوان أشعار جزائرية، ص58.

2-3 الغزل: هو من أبرز الموضوعات التصاقا بالقلب وأقربها إلى طبيعة الإنسان، فكان سجل لعواطف الإنسان وعلاقته بالمرأة في ذكر محاسنها وصفاتها وسحرها، وما يصدر منهم من شوق وحنين، "والغزل لغة العاطفة، صوروا فيه أشواقهم وإحساساتهم نحو المرأة وما يلقون منها من وصال أو هجر، من وعد وإخلاف، صوروا فيه سعادتهم وشقاءهم أمالهم وآلامهم،.. ولذلك كان الغزل الفن الكبير الذي اعتنوا به وصرفوا إليه أكثر شعرهم".[1] ونجد مرادفان للغزل هما النسيب والتشبيب لما ذهب إليه ابن رشيق القيرواني بأن "النسيب والتغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد.."[2]. وفي المقابل أشار بعض العلماء إلى أن هناك اختلاف بين معاني هذه الألفاظ فقيل عن" الغزل: حديث الفتيان والفتيات.. واللهو مع النساء.. ومغازلتهن، وأما النسيب: رقيق الشعر في النساء، والتشبيب هو النسيب بالنساء، وتشبيب الشعر أي ترقيقه بذكر النساء"[3]. فالغزل هو الأقوال والأفعال التي تتم بين المحبوبين، فيه وصف وإطراء ومداعبة فهو لا يخص الشاعر فقط. أما النسيب فهو رقيق الشعر، والتشبيب فهو يرقق الشعر بإدخال العنصر الرقيق فيه وهو المرأة وهذه الخاصية تخص الشاعر وحده.

وفي غرض الغزل وجدنا ابن عمار ينوب عن صاحبه ابن علي حين قال له: "نب عني في الإعراب عن القضية واستعمل في وصف الحال سيوف أفكارك المنضية"[4] فشحدت – يقول ابن عمار- صارم الفكر وجردته، ثم رويت وأنشدته وتتكون هذه القطعة من أربعة عشر بيتا نورد منها هذه الأبيات:

---

[1] – يحي الجبوري، الشعر الجاهلي قضاياه وفنونه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1407هـ/1986م، ص281.

[2] – ابن رشيق القيرواني، العمدة، ص286.

[3] – غازي طليمات وعرفان الأشقر، الشعر الجاهلي- قضاياه. أغراضه .أعلامه. فنونه-، ص108.

[4] – ابن عمار، الرحلة، ص67.

بِنَفْسِي رُبَّمَا رَاشَ لِي اللَّحْظِ شَفْرُهَا وَمَا غَيَّرَ أَحْشَائِي لَدَى الرِّشْقَ مِنْ تَرَسِ

رَمَتْنِي بِسَهْمِ اللَّحْظِ مِنْ قَوْسِ حَاجِبٍ فَوَاكَبِدِي ! مِنْ ذَلِكَ السَّهْمِ وَالقَوْسِ

هِلاَلٌ وَلَكِنَّ الجَوَانِحَ أَفْقَسَهَا مَهَاةٌ وَلَكِنْ تَنْتَمِي لِمَهَى الأُنْسِ

يَمِيسُ بِبَدْرِ الوَجْهِ غُصْنَ قِوَامِهَا فَيَا خَجْلَةَ الأَغْصَانُ مِنْ ذَلِكَ المَيْسِ

وَمُولَعَةٌ بِالظُّلْمِ تَحْسَبُ ظُلْمَهَا يَشُوبُ لَدَى الرِشْقَ المَجَاجَةُ بِالْجَلْسِ

فَلَوْ سُئِلَ المِسْوَاكُ عَنْ ذَلِكَ اللَّمَى لاَ خَبَّرَ أَنَّ الرِيقَ فَاقَ عَلَى الكَأْسِ[1]

وهو بهذه الأبيات الشعرية الغزلية يصف حبيبته ولحظاته الأولى التي هزت مشاعره وأحاسيسه فقال:" رمتني بسهم اللحظ" وقوله وهو يستعمل أسلوب التألم " فواكبدي من ذلك السهم" فدخل حبها مباشرة كالسهم، وما شدّه حاجبها المقوس الجميل. كما وصفها بعدة أوصاف وهي: الهلال، نور الشمس، البدر.. وهي أوصاف تدل على الرفعة والعلو والدرجة الكبيرة التي وصلت إليها حبيبته.وهو مشهد من مشاهد الحياة المنبثقة من عاطفة الشاعر وصدق شعوره ويجعلك تلمس الدقة والإيجاز الإيحائي وصدق التصوير

إلى أن قال:

فَيَا طَلْعَةُ الشَّمْسِ اِرْفِقِي وَتَصَدَّقِيْ عَلَى مُقْلَتِي مِنْ نُورِ وَجْهِكِ بِالقَبْسِ

يَا قُرَّةَ العَيْنِ اِسْمَحِي بِزِيَارَةٍ فَلاَ زِلْتِ أَهْلاً لِلتَّفَضُلِ وَالرَّقْسِ[2]

[1] – ابن عمار، الرحلة، ص68.

[2] – المصدر نفسه، ص68.

فكان وجهها نورا مشرقا شبهه الشاعر كطلوع الشمس وسطوعها عند حضورها، وقد وضعت لنفسها مكان في قلب الشاعر فكانت قرة عينه وهي المفضلة عن غيرها من الفتيات.

ومن خلال دراستي لم أعثر لابن عمار إلا بعض المقطوعات في غرض الغزل هذا لأنه كان مفتيا يميل إلى التصوف فابتعد عن هذا الغرض قدر المستطاع وهذه الأبيات قالها فقط بطلب من صديقه ابن علي الذي كان مريض وهي صورة عبّر عنها من خلال زيارة امرأة ابن علي له وهو على فراش المرض، واستطعنا بذلك ان نتعرف على إحساس ابن عمار الجميل العاطفي والمؤثر.

وفي موضع آخر كتب نثرا مسجعا يقدم فيه مناسبة هذه القصيدة فقال:" ..فافخر أبا العباس بما أوتيته من الصناعة وحق لك الفخر، فشعرك اليوم لباب اللباب، وأنت المعول عليه في هذا الباب، فلازلت محروس الجناب محفوظا، وبعين العز والعناية ملحوظا، آه ولما زفت إليَّ هذه العروس المجلية، والغزالة المتجلية، بل الروض الناضر، وسلوى القلب ونزهة الناظر، حلت مني محل الروح من قلب الجبان، ولذيذ الكرى من الأجفان، فهززت للجواب زندا، وقدحت من نار الفكر زندا وقلت"[1]:

مَاذَا أُعَانِي مِنْ جَحِيمِ أُوَارِ مِنْ أَجْلِ حَالِيةِ الطَلَا مِعْطَارُ

خَفَاقَةُ القُرْطَيْنِ ذَاتِ سِوَارُ شَرَادَةُ الأَذْهَانُ وَالأَفْكَارُ

مَنْهُوبَةُ مَا تَحْتَ عِقْدِ أَزَارِ نِهَايَةُ الأَلْبَابُ وَالأَعْمَارُ

فَتَانَةُ العِطْفَيْنِ وَالصَدْفَيْنِ الـ خَدَّيْنِ والعَيْنَيْنِ وَالأَشْفَارِ

قَيْدُ التَوَاطُرِ وَالمَسَامِعِ غَادَةٌ نَارُ القُلُوبِ وَجَنَّةَ الأَبْصَارِ

[1] – ابن عمار، الرحلة، ص58.

فَأَنَا القَتِيلُ صَبَابَةً مِنْ قَدِهَا أَوْ شَفْرِهَا بِمُثَقَّفٍ وَشِفَارِ

ظَلَّتْ تُعَاطِينِي سُلاَفَ حَدِيثِهَا فَظَلَّتْ نَشْوَانَا جَمِيعَ نَهَارِي

نَاغَيْتُهَا فَسَمِعْتُ مِنْ نَغَمَاتِهَا شَدْوَ الهِزَارِ وَرَنَّةَ الأَوْتَارِ

هَا أَنَّنِي أَلْبَسْتُ مِنْ نَغَمَاتِهَا وَعَلَى مَحَاسِنِهَا خَلَعْتُ عُذَارِي

ويقول فيها أيضا:

قُلْ لِلَّتِي نَشَأَتْ لِتَعْذِيبِ النُهَى حُزْتِ الأَمَانِي فَاسْمَحِي بمَزارِ

يَا كَمْ أَمْلَتْ بِذَا النَشِيدِ مُعَاطِفًا مَيْلَ الغُصُونَ بِغُنَةِ الأَطْيَارِ

يَا جَارتَا رُدِي عَلَى طَرَفَيْ الكَرَى وَتَفَضَلِي كَرَمًا بِبَرْدٍ أَوْ أَرَى

جَاوَرْتِ صَدْرِي فَاحْفَظِيهِ مِنَ الرَدَى فَاللهُ قَدْ أَوْصَى بِحِفْظِ الجَارِ [1]

وأنت أمام وصف وجداني فيه من الوجدان رقة وعاطفة نباظة، فعند قراءتها من الوهلة الأولى تتراءى لك أنه يغازل امرأة، لكنه يقدم هذا الشعر ردا على قصيدة* ابن علي، التي شبهها " بالعروس المجلية" التي آنست وحشته وكأنه بذلك يغازل امرأة، هذه القصيدة التي تكاملت في نسيجها وأفكارها ونغماتها، وشدت ابن عمار كل نهاره وقد حاول من خلال هذه القصيدة أن ينسج على منوالها من وزن وقافية وحتى أفكارا وأسلوبا، وفي الأخير حاول أن يبين قيمة من القيم الإسلامية التي أوصى بها الله

[1] – ابن عمار، الرحلة، ص58.

* - القصيدة موجودة في ديوان أشعار جزائرية مدح فيها ابن علي تلميذه ابن عمار، وتبدأ بقوله: وبديعة أزرت بدر سخاب وبحلية صيغت بدرّ سحاب، ص4.

ورسوله الكريم وهي حسن معاملة الجار .ونظرا لتدفق عواطف الشاعر أمام هذه القصيدة أردت أن أدرجها في هذا الغرض .

ويقول في قطعة أخرى متغزلا أيضا:

نَشَدْتُكَ الرَحْمَنُ يَا هَاجِرِي عَذَّبَ فُؤَادِي بِسَوَى الهَجْرِ

كَمْ لَيْلَةً قَطَعْتُهَا حَسْرَةً وَأنْتِ فِي تِيهِكَ لَا تَدْرِي

فَقَدْتُ مِنْ قَدِّكِ غُصْنَ النَقَا وَمِنْ محْيَاكِ سَنَا البَدْرِ

حَمَلْتُ فِي حُبِكِ مَا لمْ يَقُمْ بِحَمْلِهِ تَهلانُ مَعَ بَدْرِ

لَوْ كَانَ مَا قَدْ حَلَّ بِي بِالصَفَا وَبِالصِبَا ذَابَتْ ولَمْ تَسْرِ

يَا صَالِي القَلْبَ بِهِجْرَانِهِ رِفْقًا بِهِ فَأَنْتَ فِي الصَدْرِ

نَاظِرُكِ الدَاعِي لِدِينِ الهَوَى قَدْ أَيَّدَتْهُ آيَةَ السِحْرِ

يَدْعُو إِلَى الوَرْدِ أَهَلِ التُقَى وَيمْنَعُ العُشَاقَ مِنْ صَدْرِ

نَادَى إِلَى الحُبِ وَأَوَلُ مَنْ لَبَّاهُ قَلْبِي مِنْ جَوَى صَدْرِي

يَا قَلْبِي الغِرُّ بِشَرْعِ الهَوَى صَبْرًا فَأَحْكَامُ الهَوَى تَجْرِي[1]

[1] – ديوان أشعار جزائرية، ص65.

وهو في هذه القطعة يظهر حبه وحنينه للتي سكنت قلبه، ويبدو أن هذه الحبيبة بعيدة عنه وهو يتعذب جراء هذا الهجران فيقطع ليله تململا، وهو يحمل هذا الحب في قلبه ويصبر على قدر الله وحكمه.

2-4 الهجاء: هو غرض من أغراض الشعر، حيث يتناول فيه الشاعر مجموعة من الصفات التي تتعلق بالذّم والتشهير لعيوب الخصم المعنوية والجسمية، وهو نقيض المدح، هذا الأخير الذي نذكر فيه الفضائل التي تميز الممدوح، أما الهجاء فيذكر فيه الشاعر الرذائل وصفات البغض التي تختلج في نفس الشاعر؛كما يعبر الشاعر فيه فيخرج عواطف الكره والنفور والغضب، وغرض الهجاء أعنف من المدح وأصدقه لأنه انفعال نابع من الذات حيث يضيق صدر الشاعر فتنطلق نفسه ثائرة متفجرة، فمصدر الهجاء الشاعر، ومصدر المدح الممدوح.[1]

وقد وجدت لابن عمار هذه الأبيات عندما تحدث عن أعداء ابن علي وحساده فقال في غرض الهجاء:

فَاهْنَأْ بِمَا خَوَّلْتَهُ مِنْ عِزَّةٍ وَدَعِ الغَبِيَّ مُكَابِدًا لِهَوَانِهِ

وَاتْرُكْهُ فِي قَفْرِ البِطَالَةِ تَائِهًا وَأَذِقْهُ سُمَّ الهَجْوِ فِي كِيسَانِهِ

وَانْبُذْهُ مَفْصُومَ العَرَى بِحَضِيضِهِ وَكَفَاهُ مَا يَلْقَاهُ مِنْ حِرْمَانِهِ

لاَزِلْتَ ذَا شَرَفٍ وَعِزٍ بَاذِخٍ يُضْفِي عَلَيْكَ الدَّهْرُ ظَلَّ أَمَانِهِ[2]

[1]- ينظر: غازي طليمات وعرفان الأشقر، الشعر الجاهلي- قضاياه. أغراضه .أعلامه. فنونه-، ص179.

[2]- ديوان أشعار جزائرية، ص45.

وقد جمع ابن عمار في هذه الأبيات مجموعة من الكلمات التي تدل على انفعال الشاعر ونبذه لهم ونذكر منها(الغبيّ، مكابدا، هوانه، تائها، أذقه سمَّ، انبذه، حرمانه)، وفي المقابل نجده يمدح ابن علي ويذكره بعزه وشرفه وانه أكبر من أن يفكر في هؤلاء.

2-5 الفخر: الفخر هو ضرب من الحماسة، والشاعر فيه يتغنى بالفضائل والمثل العليا، والتباهي بالسجايا النفسية والصفات القومية، بحيث يتحدث الشاعر عن نفسه وخصاله وأخلاقه، وتتمثل في الشجاعة والكرم والمروءة وحماية الجار، كما يتحدث عن أصله وعراقته ونسبه، وغير ذلك من المثل العليا التي يتميز بها كل مفتخر. ويقول ابن رشيق:" الافتخار هو المدح نفسه، إلا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه، وكل ما حسن في المدح حسن في الافتخار، وكل ما قبح فيه قبح في الافتخار"[1]، ويكون الفخر حسنا مستحبا إذا عبر فيه الشاعر عن مدحه للفضائل النفسية والخصال الخلقية التي تتعلق بالأخلاق والطبائع كالكرم والشجاعة والمروءة وحماية الجار وغير ذلك، ونجد بعضهم استبعدوا بعض الأمور الأخرى، كالتباهي بالأمور المادية والقوة الجسدية أو التفاخر بالأنساب والأصول والقبائل، فخير الفخر ما كان تغنيا بالفضائل وتمدحا بالمثل العليا دون مبالغة مفرطة ولا مجاوزة للمألوف.[2] فالفخر كغيره من الأغراض الشعرية يعبر فيه الشاعر للدفاع عن نفسه إذا اقتضى الأمر لذلك فيذكر خلقه ونسبه ويتباهى به،كما يبرز فيه مجموعة من الخصال الحميدة التي وجب على كل فرد أن يتحلى بها كالشجاعة والمروءة وطيبة النفس والتسامح وغيرها. ص156 غازي طلمات وعرفان

ونذكر في غرض الفخر هذا البيت الذي يفتخر فيه ابن عمار بشيبه وهو يقول:

[1]- ابن رشيق، العمدة، ص305.

[2]- ينظر: - يحي الجبوري، الشعر الجاهلي قضاياه وفنونه، ص301.

شَبَابِي وَالَ جَاءَ شَيْبِي بِعَزْلِهِ فَقَامَ بِأَعْلَى الرَأْسِ أَيُّ خَطِيبُ[1]

ويشرح ابن عمار هذه الصورة فيقول:" أن الشيب لما ولى قام بأعلى الرأس خطيبا لما كان من شأن الوالي الخطبة والصعود لها على المنبر وحسن أن يستعار ذلك للشيب لما كان نذيرا زاجرا."[2] فهو يتفاخر بهذا الشيب الذي وصل به إلى العلو والرفعة، عكس ما كان الناس يتداولونه ضد الشيب وهو الكبر والذي يكون بذلك نذير الشؤم.

ونذكر له كذلك هذه الأبيات التي يفتخر بفيها بأستاذه ابن علي وهو يقول:

أَخْمَلْتَ ذِكْرَ ابْنَ الحُسَيْنِ وَفَقْتَ مَنْ فِي عَصْرِهِ يُعَزِى إِلىَ حَمْدَانِهِ

وَطَلَعْتَ فِي أُفُقِ البَلاَغَةِ كَوْكَبًا يَسْطُو بجِنِّ الضِدِّ أَوْ شَيْطَانِهِ

فَافْخَرْ أَبَا عَبْدِ الإِلَهِ وَجُرَّ مِنْ حُلَلِ البَيَانِ فَأَنْتَ مِنْ فُرْسَانِهِ

فَالْعِلْمُ أَنْتَ اليَوْمَ خَائِضُ بَحْرَهُ وَالشِّعْرُ أَنْتَ اليَوْمَ رَبُّ عِنَانِهِ

لاَ زِلْتَ ذَا شَرَفٍ وعزٍّ باذخٍ يُضْفِي عَلَيكَ الدَّهْرُ ظلَّ أَمَانِهِ[3]

والشاعر يخاطب ابن علي ويفتخر بعلمه وبشرفه وبعزه، فكان يتصدر العلماء، فهو فخر الخلف، وأعلم الناس بعلوم البلاغة، والبيان، والشعر، وفي كل علم خاض بحره فقد فاق المتنبي في عصره، وأضاف أنه فاق أيضا أبا فراس الحمداني وألجم والبحتري في باقي القصيدة.

[1]- ابن عمار، الرحلة، ص 126.

[2]- المصدر نفسه، ص126.

[3] - ديوان أشعار جزائرية، ص45.

2-6 ومن الموضوعات المستحدثة :

- الغزل بالمذكر : برع ابن عمار في هذا النوع من فتغزل بصاحبه ابن علي وأبدع في تبيان جماله الظاهري والروحي وهو يقول في هذه القطهة الشعرية:

سَكَنَ الفُؤَادَ وَجَدَّ فِي تَعْذِيبِهِ مَا رَأَى يَوْمًا بِالنَّقَا أَوْ بَانِهِ

مَرْأَى يُرِيكَ فَرْنَدَهُ بِحُسَامِهِ مَاءُ الشَّبَابُ يَجُولُ فِي نِيرَانِهِ

مَا جَالَ طَرْفُهُ فِي غَرَائِبِ حُسْنِهِ إِلَّا تَسَلَّى القَلْبُ مِنْ أَشْجَانِهِ

قَدْ خَطَّ عَارِضَةً بِصَفْحَةِ خَدِّهِ سَطْرًا يَلُوحُ الحُسْنَ مِنْ عُنْوَانِهِ

وَشْيًا كَوَشْيِ الرَّوْضِ رَاقَ رِوَاؤُهُ أَحْبِبْ بِذَاكَ الآسِ فِي نَعْمَائِهِ

قُلْ لِلَّذِي جَهَلَ الحَقِيقَةَ إِذَا بَدَا رَكِبَ السَلْوَى وَ جَدَّ فِي جَرَيَانِهِ

لَيْسَ السَلْوَى لِأَجْلِهِ مِنْ مَذْهَبِي أَبَدًا وَ أَيْنَ القَلْبَ مِنْ سَلْوَانِهِ

الخَدُّ حِلْيَتَهُ رَبِيعَ عَذَارِهِ وَ الرَّوْضُ زِينَتَهُ حَلَى رَيْحَانِهِ

فَوَا حُسْنُهُ لَا حَلَتْ عَنْ كَلَفِي بِهِ حَتَّى يَضُمَّ الجِسْمَ فِي أَكْفَانِهِ[1]

وهكذا الصورة في شعره تجسيد لشعور ابن عمار تجاه صديقه وهو يعبر عن هذا الحب في مادة حسية ملموسة مستقاة من شخص ابن علي وجماله الروحي.

[1] - ديوان أشعار جزائرية، ص 42.

- **الشكوى والحنين:**

شاع هذا الغرض في الشعر الجزائري، فلا نكاد نجد قصيدة لشاعر دون أن يضمنها شيئا في هذا المعنى، هذا للظروف القاسية التي كان يعاني منها الشاعر الجزائري سواء في بلاده، أو أولئك الذين هاجروا البلاد لطلب العلم أو لأسباب خاصة منعتهم للعودة إلى أرض الوطن. ومصادر الشكوى تختلف من شاعر لآخر ولكنا تصب في درجة تأزم الشاعر وتأثره. فييأس ويلجأ بذلك إلى المدح وطلب المعونة، وقد يتفاخر بنفسه غاضبا رغم سوء حالته، وقد يلجأ أحيانا إلى التضرع إلى الله تعالى فيجعل شعره طابع الموعظة والاعتبار.

وفي شوقه وحنينه إلى رؤية بيت الله الحرام والأنس إلى قبر الحبيب المصطفى يقول:

وَالشَّوْقُ أَعْظَمُ أَنْ يُحِيطَ بِوَصْفِهِ فَلَمْ وَإِنْ يَطْوِي عَلَيْهِ كِتَابُ

وَاللهُ مَا أَنَا مُنْصِفٌ إِنْ كَانَ لي عَيْشٌ يَطيبُ وَجِيرَتي غِيَابُ

أَقْطَعُ لَيْلِي تمَلْمُلًا وَسِهَادًا كَأَنَّ الأَرْضَ لمْ تَجْعَلْ لي مِهَادًا

يُقَلِبُنِي الأَسَى جَنْبًا لِجَنْبٍ كَأَنِي فوْقَ أَطْرَافِ الرِّمَاحِ

وَلَوْ أَسْتَطِيعُ مِنْ طَرَبٍ وَشَوْقٍ رَكِبْتُ إِلَيْكِ أَجْنِحَةُ الرِيَاحِ[1]

وشوقه في هذا المقام عظيم بأن يصفه في بعض السطور حتى وإن دون هذا الشوق في كتاب كامل، ويمضي الشاعر في وصفه وصف حي قد تغلغلت فيه حياة الشاعر وعواطفه، وانطلقت في ألفاظه وصوره التي عبر بها عن هذا الشوق الكبير، فلا عيش يطيب له وهو بعيد عن بيت الله، وهذا

[1] – ابن عمار، الرحلة، ص10.

الشوق زاد كلما اقترب من الوصول إليه حتى أنه زاد الصورة تأثيرا حين وظف هذه الصورة البيانية في قوله :" ركبت إليك أجنحة الرياح" حيث شبه الرياح بالطائر فحذف المشبه به وأبقى على صفة من صفاته وهي الأجنحة وغرض هذه الصورة إظهار شوقه الحارق وحنينه وحبه لبيت الله الحرام.

وفي هذا الغرض أيضا يقول هذه القصيدة ويقدم لها بهذا التقديم: "وهذه القصيدة من طرازي الأول وتلادي، وأوليات انشاءي وإنشادي، أبرزتها ببعض المتنزهات، وساقي الأنس يفرع المسامع بخذ وهات، وأطلعتها في أفق تلك الحضرة، شمسا ذهّبت مطارف تلك الحضرة، من بين روية وارتجال، وصوت المثاني والمثالث يجول من السمع في مجال، وهذه هي"[1] وهو يبين من خلال هذا التقديم أن القصيدة من أوليات شعره وإبداعه وقد قال هذه القصيدة وهو يخرج آلامه في بعض المتنزهات فقد كانت الطبيعة هي المكان المؤنس والوحيد الذي أفرغ فيه ابن عمار أحاسيسه فأبدع وكانت كما قال شمسا ذهّبت المجالس فقال بين روية وارتجال :

أَدِرْ الكُوسَ مَعَ الأَصَائِلِ وَالبِكَرِ وَاشْرَبْ عَلَى نَغَمِ البَلاَبِلِ وَالوَتَرِ

جَدِّدْ بِهَا وَبِرِشْفِهَا عَهْدَ الصِبَا وَاهْزِمْ بِهَا جَيْشَ الوَسَاوِسِ وَالفِكَرِ

وَأَزِحْ بِهَا فِسْقَ الهُمُومِ فَإِنَّهَا شَمْسٌ يَطُوفُ عَلَىَ النُّجُومِ بِهَا قَمَرِ

يَسْقِي النَدَامَى مِنْ يَدَيْهِ وَرُبَّمَا يَسْقِي اللَّمَا مِنْ ثَغْرِهِ بَدَلِ السَّكَرِ [2]

وهو في هذه الصورة يشتكي من مرارة الزمن إدا عرض همومه راح يذكر ويتمثل وإذا الذكرى توقظ الهموم وإذا الهموم تثير العيون، والعيون ترسل العبرات، وما يعزيه تلك البلابل والطبيعة الغناء التي

[1] – المصدر السابق، ص90.

[2] – المصدر نفسه، ص91.

تنسيه همومه وبهذه الكلمات والأفكار التي ترجعه إلى عهده الجميل؛ عهد صباه فيهزم بها كل الوساوس التي تتراءى له من هنا وهناك وعبر على كثرة همومه بعدد النجوم التي يزيحها دوران القمر وهذا الدوران هو وقوفه على هذه المتنزهات فيصفها ويبدع.

- **غرض المواليا:** وقد قال ابن عمار عن غرض المواليا انه طراز شرقي اخترعه أهل بغداد ثم برع فيه أهل مصر، فقال في زهر الرمان:

هَارُوتُ لَحْظِكَ وَسِحْرُ لَفْظِكَ الفَتَّانَ وَالوَرْدُ خَدَّكَ وَسَيْفُ اليَزَنْ بِالأَجْفَانِ

قَدْ كَانَ يَحْمِي الشَقَائِقَ قَبْلَكَ النُعْمَانَ وَأَنْتَ فِينَا حَمَيْتَ الوَرْدَ يَا سُلْطَان [1]

وهنا يبدو إعجاب ابن عمار بالطبيعة وبساتينها ثمارها وأزهارها، فشبه جمال زهرة الرمان وكأنها فوق خد وجه جميل مشرق، وكما كان يحمي النعمان الورد والزهر، حماه السلطان في زمن الشاعر.

وقال في وسيم حيا بغصن زهر :

تَبَدَى بَاسِمًا عَنْ رَوْضِ زَهَرْ وَقَالَ بِكَفِّهِ زَهْرًا نَدِيًا

فَقُلْتُ أَيَا قَضِيبًا قُلْ بَدْرًا مَتَى جَلَتْ أَنَامِلُكَ الثُّرَيَا[2]

وقال أيضا:

للهِ أَدْرَاجٍ جَلَسْنَا تَحْـــــتَهَا نَثَرَتْ عَلَيْنَا مِنْ أَزْهَارِهَا دُرَرَ

وَبَدَا بِهَا اللَّيْمُونُ زَهْرٌ كَوَاكِبٌ وَالنَّارُ مِنْ فارئجها* تَرْمِي الشَّرَرَ

[1] – ابن عمار، الرحلة، ص247.

[2] – المصدر نفسه، 251.

* - كتبت هكذا.

- **فك الألغاز:**

قال ابن عمار وهو يروي قصة عن أبي الحسن سهل بن مالك وهي أنه كان يسائل أصحابه وهو في المكتب ويقول لهم أخرِجوا اسمي فكل ينطق على تقديره فيقول لهم أنكم لم تصيبوه مع انه سهل فقظمت هذا المعنى فقلت:

وَمَا اِسْمٌ فَكُهُ سَهْلٌ يَسِير يَكُونُ مُصَغَرًا نَجْمًا يَسِيرُ

مَصْحَفُهُ لَهُ فِي العَيْنِ حُسْنٌ وَقَلْبِي عِنْدَ صَاحِبَهُ أَسِيرُ[1]

[1] – ابن عمار، الرحلة، ص127.

ثالثا: الخصائص العامة لشعر ابن عمار الجزائري:

3-1 الخصائص المعنوية:

أ- الصدق: ولعل ما يلاحظ على معاني شعر ابن عمار أنها معان واضحة بسيطة في ظاهرها لكنها عميقة خاصة عندما حاول نقل لوحاته نقلا أمينا يبقي فيها على صورها الحقيقية وفي تعديلاته في تصوير الصورة الشعرية يؤثر فيها على القارئ تأثيرا ايجابيا فيجعله يلتمس الصورة. وكما كان الشعر في القديم وثيقة دقيقة يصور فيها الشاعر أوضاع الحياة العامة للناس في ذلك العهد، كان شعر ابن عمار عبارة وثيقة تاريخية في العهد العثماني حيث رصد لنا من خلاله الأوضاع العامة للمجتمع الجزائري خاصة الأوضاع الاجتماعية وبالتحديد ما تعلق بالاحتفال بالمولد النبوي الشريف، كما ذكر في رحلته المعروفة" نحلة اللبيب" كل ما تعلق بها؛ وفي موضع آخر وجدنا وصفه وصفا صادقا فكان عبارة عن لوحة زيتية باهرة تزين أطراف الكلام خاصة إذا تعلق الكلام بوصف الرياض والبساتين وقد ذكر كل ما وقعت عينه عليه.

ب – المبالغة والاستطراد: طغى على أسلوبه المبالغة فهو يجول في خفايا النفس الإنسانية ويتعمق في الأشياء الحسية ليعطي بذلك صورة متكاملة يجمع فيها من حلاوة كلماته ودلالة ألفاظه فأبهرت السامع وأخذته إلى تلك الروائع الأندلسية التي ظهرت في عهد تجددت فيه القصيدة العربية ودخلت إلى جانبها أنواع أخرى كالموشحات والأسماط وغيرها أضيفت أغلبها إلى الشعر الغنائي الجميل، وقد وجدنا الاستطرادات في ثنايا رحلته المعروفة.

كما كانت نزعة ابن عمار نزعة خيالية حلل من خلالها عواطفه على كل موضوع أراد التحدث فيه وتتضح هذه النزعة من خلال تشبيهاته التي يقتبسها من ثقافته المتشبعة وحتى من عالمه المادي الذي يضيف إليه شيء من خياله فمثلا نورد تشبيهاته للرجل فقد تكلم عن الجمال الجسدي فقال

(ماء الشباب يجول في نيرانه)، فهو يستقي تشبيهاته تارة من خياله الواسع .وتارة يستقيها من العالم المحسوس ومن طبيعته الجذابة كتشبيهه للمرأة بالهلال.

3 –2 الخصائص اللفظية:

ومما نلاحظه في شعر ابن عمار انه كامل الصياغة، فالتراكيب تامة لما حوته من مدلولات عبرت بعدة أشكال، كما أن العبارة تستوفي مدلولها المشار إليه في كل موضوع من المواضيع التي تطرق إليها، وهذا التصوير استمد من تجاربه المختلفة ومشاربه المتنوعة خاصة ما أخذه من المدرسة الأندلسية كما تأثر ببعض العلماء المشارقة لكثرة اختلاطه بهم؛ وخاصة أولئك الذين التقى بهم أثناء رحلته إلى أرض الحجاز، كما التقى بآخرين وتبارى معهم العلم والمعرفة في تونس . وهذه التجارب نمت وتكاملت حتى أخذت هذه الصياغة الشعرية التامة، التي لعب فيها الشاعر بالألفاظ والتي أدت معانيها على حسب ما أرادها الشاعر وهذا ما يسمى بجزالة الألفاظ التي تجعل اللفظ يعبر بدقة عن دلالته المعجمية فيؤدي بذلك مدلوله اللغوي الذي وضع فيه. وهذا ما جعل العلماء يشهدون له أنه سار على طريقة لسان الدين ابن الخطيب والفتح بن خاقان اللذين عرفا عربيا بجمال شعرهما وبراعته، فكان يخرج الشعر أحيانا في دقائق معدودة وهذا ما ورد من خلال طلب صديقه ابن علي لينوب عنه في صورة عجز فيها عن التعبير جراء مرضه، فقال ابن عمار:" فشحدت صارم الفكر وجردته، ثم رويت وأنشدته"[1] وقد ذكر أبيات شعرية بلغت الأربع عشرة بيتا.

3–3 الخصائص الفنية:

نفس ابن عمار مكسوة بالألفاظ هذا لتشبعه بالثقافة العربية، ألفاظ تتراءى فيها العادات والنفسيات وسذاجة فطرية حلوة، فينتج بذلك شعرا في جو ريفي يضطرب فيه حيوان الطبيعة الغناء

[1] – ابن عمار، الرحلة، ص67.

ونباتها الزاهي بالألوان والأنواع، مستخدما فيه قواف خفيفة عذبة تتصاعد من خلالها موسيقى الطبيعة الغناء فتحدث تدفقا فطريا والتصاقا بالنفسيات فتصدر منه حكمة طبيعية، وفي هذا المجال يمكن أن نبين خصائصه الفنية من خلال العناصر التالية:

أ – الأسلوب: اتصف أسلوب ابن عمار بالجزالة، هذه الخاصية التي يحتاج إليها الشاعر لتلائم معاني التفخيم، والأسلوب الجزل الرصين الذي تتلاحم أجزاؤه، ويمتاز بالمتانة في النسج

ب– مظاهر التشكيل الموسيقي في شعر ابن عمار:

1– التشكيل الموسيقي على مستوى الألفاظ المفردة والمركبة:

- **الوزن:** إن الأساس الموسيقي للقصيدة العربية هو الوزن والقافية، وقد كان الخليل بن أحمد الفراهيدي أول من جرد القصيدة العربية وأوجد لها أنماطا موسيقية مستقلة عن المحتوى الشعري، وتقع هذه الأنماط الإيقاعية في ستة عشر بحرا، وان أساس البحر عدد من التفعيلات تتكرر في كل بيت من أبيات القصيدة، هذا ويتكون البيت الشعري من وحدتين موسيقيتين. إحداهما تكرار للأخرى، وهما متساويان زمنيا في حركاتهما وسكناتهما وتختلف الثانية عن الأولى لاحتوائها بما سمي بالقافية.[1] وهذه البحور سميت بالموسيقى الخارجية ، كما نجد عنصر آخر هو الإيقاع وهو الموسيقى الناتجة عن تشابه أو تكرار كلمات معينة، أو حروف متقاربة المخرج، وهذا ما يسمى بالموسيقى الداخلية، وأما الجرس ونقصد به وقع

[1]– حسنى عبد الجليل يوسف، موسيقى الشعر العربي– دراسة فنية وعروضية–، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1989، ص 37.

الحروف والكلمات على الأذن حيث يدرك الجرس عن طريق السمع، وصفة الجرس هي "أخص مزايا لغة الشعر، ولكنها أشدها خفاء ويصعب جدا الدلالة عليها".[1]

ومن البحور التي طغت على أشعار ابن عمار هي: الكامل والبسيط والطويل، ولا نستطيع أن نجزم كل البحور التي استعملها لأن ديوانه مفقود، وقد أجزمنا فقط إلى بعض القصائد التي تحصلنا عليها من بعض المصادر خاصة مما أورده في رحلته المعروفة، أو من كتاب أشعار جزائرية، وبعض القصائد التي أوردها أبو القاسم سعد الله في بعض مؤلفاته.

- **القافية:** هي تلك الأصوات التي تتكرر في نهاية كل بيت من القصيدة الشعرية، فهي "تعد من العناصر المكملة للإيقاع الخارجي(الموسيقى الخارجية في الشعر العربي)" [2]، وهي الجزء الأخير من البيت المحصور بين آخر ساكنين ومتحرك قبلهما. من آخر حرف من البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن.[3] وهي (تابو) في قول ابن عمار:

وَالشَّوْقُ أَعْظَمُ أَنْ يُحِيطَ بِوَصْفِهِ فَلَمْ وَإِنْ يَطْوِي عَلَيْهِ كِتَابُ[4]

ويرى القدماء أن "القافية هي شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى شعرا حتى يكون له وزن وقافية"[5]. والقافية تحدد نهاية البيت الشعري، كما تعتبر عاملا أساسيا في تقسيم القصيدة إلى مجموعة من الأبيات.

---

[1] – إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص20.،

[2] – عبد الرحمن الوجي، الإيقاع في الشعر العربي، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1989، ص 70.

[3] – حسنى عبد الجليل يوسف، موسيقى الشعر العربي– دراسة فنية وعروضية–، ج1، ص139.

[4] – ابن عمار، الرحلة، ص 68.

[5] – حسنى عبد الجليل يوسف، موسيقى الشعر العربي– دراسة فنية وعروضية–، ج1، ص140.

- **الروي:** من خلال الدراسة لموسيقى الشعر الجزائري، فالقصيدة العربية تتألف من وحدات موسيقية تسمى الأبيات والشاعر من خلالها يلتزم بالوزن الواحد يرتبط بنغماته وألحانه كما يلتزم بحرف واحد في نهاية كل بيت يسمى رويا، ومن خلال تقسيم إبراهيم أنيس لنسبة الحروف الشائعة في الشعر العربي وهي : (الراء، اللام، الميم، النون، الباء، الدال، السين، العين) والحروف المتوسطة الشيوع وهي (القاف، الكاف، الهمزة، الحاء، الفاء، الياء، الجيم)، وأما الحروف القليلة الشيوع هي(الضاد، الطاء، الهاء، التاء، الصاد، الثاء)، والحروف النادرة الشيوع هي (الذال، الغين، الخاء، الشين، الزاي، الظاء، الواو)، وإذا أحصينا بالتقريب إلى الحروف التي استعملها الشاعر ابن عمار كروي، نجد أكثر الحروف استعمالا عنده هي (الراء، السين، الباء)، وهذه الحروف عرفت بخصائصها البلاغية وقيمتها الصوتية فهي عذبة مألوفة، جميلة الوقع في الأذن، ولهذا كثر اعتماد الشعراء إليها، كما وجدنا ابن عمار استعمل حرف(الحاء) في بعض قصائده هذا الحرف الذي عدَّ اقل عذوبة وقد استعمله في قصائد الشكوى والحنين. واستعمل حرف (الهاء) الذي كان استعماله قليل من قبل الشعراء، هذا لأن استعماله يتطلب بعض الشروط، فقد صنفت من الحروف التي لا تصلح أن تكون رويا؛ إذا كانت هاء السكت، أو هاء الضمير الساكنة، أو هاء الضمير المتحركة. أما إذا سبقها حرف مد فتصلح أن تكون رويا.[1]وقد استعمل ابن عمار حرف(الهاء)، لإظهار براعته أمام منافسيه في ذلك العصر. وفي المقابل وجدناه استبعد الكلمات الوعرة والعويصة كالتي تنتهي بالحروف مثل(الثاء، والخاء، والذال، والزاي، والشين، والطاء، والظاء، والغين).وبهذا فابن عمار لم

[1] – ينظر: عبد العزيز عتيق، علم العروض والقافية،دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1407هـ/1987م، ص140.

يخرج عن منهج القدامى في اختياره لحروف القافية التي تصلح رويا إلا في حالات نادرة، وهذا لما تتميز به هذه الحروف من خصائص صوتية تحقق المطالب الفنية والجمالية.

- **القافية المقيدة والمطلقة:** وهي حركة الروي وقد قسم القدماء القافية إلى قافية مطلقة وهي التي يكون فيها الروي متحركا، وأما المقيدة وهي التي يكون فيها الروي ساكنا.ومثال الأولى في قول ابن عمار وهو يمدح صديقه ابن علي:

أَدَبٌ يريكَ الروضُ وقتَ ربيعهِ وتَنَسُكٌ يدْنيكَ من رحْمانهِ[1]

فالعِلْمُ أنْتَ اليَوْمَ خائِضُ بَحْرِهِ والشِعْرُ أَنْتَ اليومَ ربُ عنانَهِ [2]

وأما في مثال القافية المقيدة نمثل بقول ابن عمار وهو يصف بعض المتنزهات:

في رَوْضَةٍ نَسَجَ الرَّبِيْعُ بِسَاطَهَا مِنْ سُنْدُسٍ وَوَشَى مَطَارِفَهَا المطَرْ

غَنَّاءُ تُسْلِيْ رَوْنَقًا وَنَظـــارَةً قَلْبَ الشَّجِيِّ إِذَا أَجَالَ بِهَا النَّظَرْ[3]

وأما من خلال جرس الألفاظ في البديع نجد:

- **الطباق:** في قول ابن عمار وهو يمدح شيخه ابن علي:

قَدْ كَانَ بَابُ النَظْم قَبْلكَ مُغلَّقًا فَفتَحْتَهُ يَا فَاتِحَ الأَبْوَابِ

ونَشَرْتَهُ مِنْ بَعْد طَيٍّ بِسَاطِهِ وَرَدَدْتَهُ مِنْ بَعْدِ طُولِ ذَهَابِ[4]

---

[1] – ديوان أشعار جزائرية، ص 43.

[2] – ابن عمار، مختارات مجهولة من الشعر العربي، ص47 .

[3] – ابن عمار، الرحلة، ص ص 42- 45.

[4] – ديوان أشعار جزائرية، ص47.

ونجد في هذا المثال الطباق بين الكلمات(مغلقا/ ففتحته) وكذلك بين(نشرته/ طي)، و(رددته/ ذهاب).ويقول أيضا في نفس الغرض:

واسْلَمْ بِطُولِ الدَّهْرِ تُوَضِّحُ مُشْكِلاً صَعْبًا وَتُحْي مَيِتَ الآدَابِ[1]

- **الترصيع**: وهذا في قول ابن عمار:

وَفُزْتُ بمَنْ أَهْوَى عَلَى صَوْلَةِ النَّوَى فَنَزَهْتُ فِيهِ القَلْبَ وَالسَّمْعَ وَالبَصَرِ[2]

ونجد الترصيع بين (أهوى – النوى) و بين (القلب – السمع – البصر).

وهنا جمع الشاعر بين حواسه وهو يجول في هذا القصر البديع وقد تنزه فيه وقضى ليلته التي تمنى أن تتكرر، هذه الليلة التي جال فيها بإحساسه فأسمع وسمع وأبصر وبصر وقوله أيضا:

والمرَشِفَ الآذان مِن سِلسَالـهِ والمقْطفَ الأذْهانَ منْ بسْتانهِ[3]

وفي هذا المثال نجد الترصيع بين (المرشف – المقطف) و(الآذان – الأذهان) و(سلساله – بستانه)، وقد وافق بين الكلمات المذكورة ترتحف بها الأذهان حين سماعها وهي تضطرب تلقائيا.

- **الجناس**: هو تشابه اللفظان في الحروف مع الاختلاف في المعنى، ومعنى ذلك أن يتفق اللفظان في عدد الحروف أو أغلبها دون أن تتحدا في المعنى ونجد الجناس في قول ابن عمار:

[1] – ديوان أشعار جزائرية ، ص47.

[2] – المصدر نفسه، ص58.

[3] – ابن عمار، مختارات مجهولة من الشعر العربي ، ص47.

نَشْوَانُ مَعْسُولُ المَرَاشِفَ أَشْنَبُ بِابِي شُمُولِ الظُّلْمِ مِنْ نَشْوَانِهِ[1]

وَتَبَسَمَتْ مُفْتِرَةً وَتَنَسَّمَتْ فَبَدَا أَنِيقُ الزَّهْرَ فِي أَغْصَانِهِ[2]

فالجناس هنا بين (نشوان/ نشوانه)، وهو جناس تام لتوافق كامل الحروف بين الكلمتين فنشوان الأولى تعني الرغبة واللهفة، ونشوانه الثانية تعنى غطاء ضد الظلم والجهل. أما في البيت الثاني فالجناس بين(تبسمت/تنسمت) وهو جناس ناقص حيث اختلفا في الحرف الثاني فتبسمت تعني الابتسامة والفرحة، وأما تنسمت استنشقت روائح الزهور الزكية وهي تغمرها الفرحة.

- **التصريع** : كقول ابن عمار:

أَقْطَعُ لَيْلِي تمَلْمُلًا وَسِهَادًا كَأَنَّ الأَرْضَ لمْ تَجْعَلْ لي مِهَادًا [3]

وقوله في موضع آخر:

هَارُوتُ لَحْظِكَ وَسِحْرُ لَفْظِكَ الفَتَّانَ وَالوَرْدُ خَدَّكَ وَسَيْفُ اليَزَنْ بِالأَجْفَانِ[4]

- **التكرار**: يكون التكرار بإعادة الكلمة أو الحرف أو العبارة، "وهو في الشعر يعتبر منبها للقارئ، كي يلتفت إلى المعنى المكرر، أو كي يلتفت إلى الصور المرتبطة باللفظ المكرر"[5].

---

[1] – ديوان أشعار جزائرية، ص42.

[2] – المصدر نفسه ، ص45.

[3] – ابن عمار، الرحلة، ص10.

[4] – المصدر نفسه، ص247.

[5] – عبد القادر أبو شريفة وحسين لافي قزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر، عمان، ط04، 1428هـ/2008، ص50.

والتكرار في الحروف في البيت الشعري يعطي توافقا صوتيا وتناغما موسيقيا بين الكلمات وقد وجدت هذه الخاصية في أكثر من موضع ونتمثل بهذا في قول ابن عمار:

وما اسم فكه سهل يسير يكون مصغرا نجما يسير[1]

ونجد من خلال هذا المثال انه تكرر حرف السين أربع مرات وهذا هو التوافق والتناغم الموسيقي حين عبر ابن عمار عن هذه الصورة وفك الاسم بصورة راقية وجميلة كيسر حرف السين.

وأما التكرار في الكلمات في المثال السابق بتكرار كلمة(يسير)، فيسير في الموضع الأول تعني السهولة والوضوح، وأما يسير الثانية فمعناها السير إلى المكان الصحيح.

وقوله أيضا في وصف روضة:

وَافْتَرَّ ثَغْرُ الأُقْحُوَانِ تَبَسُّمًا وَاحْمَرَّ خَدُّ الوَرْدِ مِنْ فَرْطِ الخَفَرْ[2]

وتكرر حرف (الراء) في هذا البيت ست مرات هذا التكرار الذي أراد به الشاعر أن يظهر جمال وسحر هذه الروضة الباهرة.

هذه الإيقاعات التي ميزت شاعرنا وكانت متوافقة مع انفعالاته وعواطفه، فالإيقاع الداخلي يكون في اللفظة والتركيب فيعطيه إشراقة، ووقدة، تومئ إلى المشاعر فتجليها وتحسن التعبير عن أدق الخلجات وأخفاها، "وهو حركة شعرية، تمتد بامتداد الخيال والعاطفة، فتعلو وتنخفض، وتعنف وتلين، وتشتد وترقُّ، تشدو مع البلابل في أنسام الصباح، فتحاكي الطهر نقاءً، وصفاء

[1] – ابن عمار، الرحلة، ص127.

[2] – المصدر نفسه، ص91.

لفظ، وبراعة نغم، وينغمس مع النور في غلالة عامرة بالإشراق"[1]. وهذا ما جعل ابن عمار يخلق لنا هذا الإيقاع الداخلي، العالم بأسسه البنائية في التركيب الشعري الخلاق فانتقى ألفاظه ببراعة خاصة عندما تعلق الأمر بوصف الرياض والمتنزهات.

وكما لاحظنا فيما سبق أنه نوع في حروف القافية خاصة فيما تعلق بحرف الروي في بعض القصائد، وقد اتصفت الموسيقى بالبهاء والرونق؛ فاستعان في شعره بغرض التأثير في السامعين بطائفة من المحسنات اللفظية والمعنوية، كما أكثر من التشبيهات الجميلة وقد تألق فيها واستوحاها من واقعه الحسي والمعنوي، فصور صوره أحسن تصوير، كتصويره للشيب الذي كان نذير شؤم فدل على الكبر وعدم المقدرة في عصور مضت إلى تصويره في أعلى المراتب فقال فيه:" أن الشيب لما ولى قام بأعلى الرأس خطيبا لما كان من شأن الوالي الخطبة والصعود لها على المنبر وحسن أن يستعار ذلك للشيب لما كان نذيرا زاجرا."[2] حيث جدد ابن عمار في معاني الأشياء والأفكار، كما عرف بصلاحه فحبب الناس بالخلق الرفيع الحسن الذي يرفع من قدر صاحبه فكان شعره تعليمي إصلاحي، واشتهر ابن عمار بتألقه في النثر الفني وهو موضوع من الموضوعات التي تستحق الدراسة.

3- 4- الموشحات في شعر ابن عمار:

إن الموشحات الأندلسية عبارة عن زخرف حضاري، وتجديد في التراث العربي وقد كان لها الحظ في ديووان شاعرنا احمد ابن عمار وقد وجدت منها إلا موشحته التي كتبها في مناسبة المولد النبوي في موضوع مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان له غيرها من الموشحات والمولديات في ديوانه لكنه مفقود.

[1] - عبد الرحمن الوجي، الإيقاع في الشعر العربي، ص79.

[2] - ابن عمار، الرحلة، ص126.

يَانَسِيمًا بَاتَ مِنَ زَهْرِ الرُّبَى يَقْتَفِي الرُّكْبَانَ

اِحْمِلْنَ مِنِّي سَلاَمًا طَيِّبًا لِأَهَيْلِ البَانَ

ظَلَّ القَلْبُ بمَدْحِ المُصْطَفَى عِنْدَ إِبْعَادِهِ

وَاتَّخَذَ عِيدًا وَعُرْسًا قَدْ صَفَا يَوْمَ مِيلاَدِهِ

يَوْمَ نِلْنَا الفَوْزَ وَصْفًا ظَلَّ إسعادِهِ[1]

وَعَلَى الآلِ وَمَنْ قَدْ صَحِبَا هَاطِلُ الرَضْوانَ

مَا هَمَا غَيْثٌ وَمَا هَزَّ الصَبَا عَذْبَةَ الأَغْصَانَ[2]

هذا الموشح الذي بين أيدينا تـام لأنه "إذا ابتدئ الموشح بالمطلع أو (القفل) سمي تاما ولا يشترط أن يكون لكل موشح مطلع، فالموشح يخلو أحيانا من المطلع ويسمى أقرع."[3]، تختلف في هذا الموشح قافية شطري المطلع، كما انه يتركب من أربعة أجزاء أو(أدوار) ، وهو من الموشحات التي أكثر الوشاحون منها.

[1] – ابن عمار، الرحلة ص21.

[2] – المصدر نفسه ، ص27.

[3] – محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1433هـ/2012م، ص64.

ومن عناصر الموشح أيضا البيت الذي يتكون من عدة أجزاء ويكون بعد المطلع مباشرة، "وتكون قوافيه مختلفة عن قوافي الأقفال، إذا توحدت القوافي سمي مفردا، وقد تختلف فيما بينها ويسمى البيت حينئذ مركبا."[1] والبيت في موشح ابن عمار مفردا لان قافية أجزائه موحدة.

ثم، وبعد كل بيت قفل يتفق مع المطلع في الوزن والقافية، ويتألف موشح ابن عمار من ثلاث وأربعين بيتا، ويتكون كل بيت من فقرتين وثلاث أجزاء مفردة. والجزء وهو الجزء الواحد من المطلع أو البيت أو القفل أو الخرجة. والجزء مثلا في موشح ابن عمار قوله من مطلع الموشح:" يَانَسِيمًا بَاتَ مِنَ زَهْرِ الرُّبَى"، أو من البيت كقوله:" ظَلَّ القَلْبُ بِمَدْحِ المصْطَفَى"، أو من القفل في قوله:"وعلى الآل ومن قد صحبا "، وتسمى "أجزاء الأقفال عند الباحثين المحدثين أغصانا ويسمى عندهم الجزء الواحد من البيت سمطا". [2]

وأما الجزء الأخير من الموشح سمي الخرجة، والخرجة في موشح ابن عمار هي قوله:

وَعَلَى الآلِ وَمَنْ قَدْ صَحِبَا هَاطِلُ الرَضْوانَ

مَا هَمَا غَيْثٌ وَمَا هَزَّ الصَبَا عَذْبَةَ الأَغْصَانَ[3]

والخرجة هي القفل الأخير من الموشح، "وهي ركن أساسي يوليه الوشاحون عناية خاصة، ولها شروط تنسجم مع جو الطرب والغناء المواتي للموشحات."[4] وقد يعجز الوشَّاح عن نظم الخرجة في موشحته فيستعير خرجة مشهورة لوشّاح آخر، ولا تكون الخرجة معربة إلا إذا كان الحديث فيها يتعلق

[1] – محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور، ص65.

[2] – المرجع نفسه، ص69.

[3] – ابن عمار، الرحلة، ص27.

[4] – محمود فاخوري، التجديد العروضي الغنائي في شعر الموشحات الأندلسية، مجلة التراث العربي، اتحاد كتاب العرب، دمشق، العدد85، شوال 2002/1423، ص85.

بالمدح وذكر الممدوح.[1] والخرجة عند ابن عمار معربة الألفاظ منسوجة على منوال ما تقدمها من الأبيات والأقفال لأن الموشح يتعلق بالمدح وقد ذكر ابن عمار الممدوح وهو الرسول صلى الله عليه وسلم في موشحه ، وهو يصلي عليه وعلى صحبه الكريم.

[1] – ينظر: محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور، ص72.

الفصل الرابع: قصيدة وصف قصر ابن عبد اللطيف لابن عمار/ مقاربة أسلوبية

أولا– المنهج الأسلوبي/اتجاهاته ومحدداته.

ثانيا– المستوى الصوتي والتركيبي.

ثالثا– المستوى التصويري.

رابعا– المستوى الإيقاعي.

تمهيد:

إن الدرس اللغوي على صلة وثيقة بالنص الأدبي من بداياته، وقد نشأ عند العرب عندما اتصل بالنصوص الفنية، بخاصة في صورتها القرآنية، وفي صورتها الشعرية، فقد أفردوا درسا لغويا خاصا للتعليق على النصوص الأدبية، وإن النقد الأدبي هو درس تقييمي يقوم على الانطباعات الذاتية، وعلى الحدس ويقدم مقاييس موضوعية للعمل الأدبي، ويكون بهذا علم الأسلوب هو الخطوة الأولى أمام الناقد، هذه الخطوة التي تضع بين يديه المادة اللغوية في العمل الأدبي مصنفة تصنيفا علميا فتساعده على فهم العمل الأدبي، ولهذا فإن علم اللغة يطبق فنون البحث اللغوي على النص الأدبي خاصة ما يعرف بمستويات التحليل.[1] فكل منهج من المناهج الحديثة له مستويات أو أدوات إجرائية تساعد الدارس على تحليل النصوص الأدبية واستخراج مكنوناته وخصائصه الفنية التي تختلف من نص إلى آخر، ومن المناهج التي اخترناها لدراسة نصنا الأدبي الشعري المنهج الأسلوبي.

[1]- ينظر: عبده الراجحي، علم اللغة والنقد الأدبي –علم الأسلوب–، مجلة فصول–مجلة النقد الأدبي–، دار الفتى العربي، بيروت، ع02، 1401/1981، مج2، ص116.

أولا– المنهج الأسلوبي/اتجاهاته ومحدداته:

أ– المنهج الأسلوبي:

1.مفهوم المنهج في النقد الأدبي:

لقد تعددت المناهج التي عنيت بدراسة النصوص الأدبية واختلفت أجناسها، وكل منهج من هذه المناهج تعامل مع النصوص بمفاهيم ومصطلحات نقدية تعتمد على خلفية فكرية أو نظام معرفي متكامل، وهذه المفاهيم تؤدي وظائفها في سياق الدراسة النصية؛ وتؤسس منطلقات علمية ومعرفية، والمنهج في معناه وسيلة لتحقيق هدف، وطريقة محددة لتنظيم النشاط الفكري؛ وهو في النقد الأدبي طريقة لتنظيم النشاط الذهني، هذا النشاط الذي يستند إلى مخزون فكري متكامل البناء، وواضح الرؤية، يقوم على أدوات إجرائية خاصة لها أبعادها المعرفية، وهذا الرصيد الفكري المختص؛ هو الذي يؤهل الناقد إلى قراءة النص الأدبي ويدفعه ذلك إلى حب الاكتشاف، ورغبته في تجلية المكنون، وإظهار الغوامض، كما يدفعه إلى تعرية أسرار الجمال في النص الأدبي المدروس، بهدف تحليل النص بطريقة منهجية علمية، وإضفاء الموضوعية على ما يتوصل إليه من أحكام نقدية.[1]

هذا، ويحدد المنهج النقدي طريقة التعامل مع الظاهرة الأدبية، فيعتمد في الأساس على أبعاد فلسفية وفكرية، فيشترط بذلك أن يحدد أدواته الإجرائية بدقة ووضوح، ليتمكن من تحليل النص المدروس، وبهذا فإن المنهج رابط كلي يحكم دراسة الظاهرة من بدايتها إلى نهايتها، فهو وسيط بين النظرية والإجراءات، "بين النظرية كنسق شامل متكامل من المفاهيم المجردة لتفسير الظاهرة والتنبؤ بحركيتها، وبين الإجراءات كأدوات ملموسة لتفكيك الظاهرة وتحليلها للوصول إلى خصائصها الأسلوبية

[1] – ينظر: نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب– دراسة في النقد العربي الحديث، تحليل الخطاب الشعري والسردي–، ج1، دار هومة، الجزائر، د.ط، 2010، ص55.

والجمالية، وتحديد وظائفها الدلالية"[1]، وعليه وجب الالتزام بمنهج واحد يكون واضح المعالم والأدوات والمفاهيم في تحليل النص المدروس بمفاتيح تمكن الدارس من الوصول إلى مكنوناته والى أحكامه النقدية بصورة واضحة.

2 . مفهوم الأسلوب:

حدد ابن منظور مفهوم الأسلوب في معجمه لسان العرب فقال:" ويقال للسطر من النخيل: أسلوب.وكل طريق ممتد، فهو الأسلوب. قال: والأسلوب الطريق، والوِجهُ، والمذهب؛ يقال: أنتم في أسلوب سوء، ويجمع أساليب. والأسلوبُ: الطريق تأخذ فيه. الأسلوب بالضم: الفن؛ يقال أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه .."[2]

هذا من الناحية اللغوية، أما من الناحية الدلالية للأسلوب في التراث العربي ولعلّ أدق تعريف يرجع إلى ابن خلدون الذي عرف الأسلوب على أنه "عبارة عن المنوال الذي تنسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه، ويرجع الكلام إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص."[3] حيث تظهر من خلال الصورة التي ينتزعها الذهن من التراكيب فتكون في خياله كالقالب أو المنوال وهكذا بيّن ابن خلدون أن لكل فن من الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه على أوجه مختلفة.كما ورد ذكر الأسلوب في كثير من الدراسات في التراث العربي، فقد كان عندهم الكيفية التي يشكل بها المتكلم كلامه، سواء كان شعرا أو نثرا، وقد بين الخطابي عندما وازن بين المعارضة

[1] – نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب– دراسة في النقد العربي الحديث، تحليل الخطاب الشعري والسردي–، ج1، ص56.

[2] – ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، مج1، مادة(سلب)، ص473.

[3] – ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج2، تح: عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي، دمشق، ط1، 1425هـ/2004م، ص397.

والمقابلة فقد ذكر أنه عندما يجري أحد الشاعرين في أسلوب من أساليب الكلام، فيكون أحدهما أبلغ في وصف صورته.

كما اعتبروا الأسلوب هو أساس صناعة الشعر، حيث يجمع المتكلم بين الرؤية التي يمتلكها والاحتراف اللغوي والجمالي، كما أن الأسلوب يقوم على أصول فنية كالمطابقة بين اللفظ والمعنى ابتداء ثم يوفق بين القوافي والأبيات وهو خاصية مهمة من خصائص النظم، إضافة إلى خاصية أخرى هي الصدق في التجربة الشعرية فالأسلوب في النص هو الأساس في نسج بنيته عبر كل مستوياتها، وهذا في رأي ابن طباطبا للأسلوب.[1]

وفي كتب البلاغة اليونانية القديمة فإن كلمة Style مأخوذة من كلمة لاتينية Stylus وتعني قضيبا من الحديد كان القدماء يكتبون به على ألواح الشمع.كان الأسلوب من وسائل الإقناع، فقد أدرجوه ضمن علم الخطابة وخاصة عندما يتعلق الأمر باختيار الكلمات المناسبة لمقتضى الحال.كما جعلوا الأسلوب مرادفا للبلاغة وربما خصوه بمعنى أضيق من ذلك وهو"مستوى التعبير" وعندهم ثلاثة مستويات أو أساليب القريب والمتوسط والرفيع، وقد ربطوها بالمستويات الاجتماعية من جهة، وبالفنون الأدبية من جهة ثانية، وبالمحسنات البيانية من جهة أخرى.[2]

وقد أشارت أغلب الدراسات الحديثة إلى مفهوم الأسلوب ونخص بالذكر ما عرفه بيفون الذي رأى أن الأفكار تتشكل وحدها عمق الأسلوب، لأنه ليس سوى النظام والحركة، وقال أيضا أن الأسلوب هو الإنسان نفسه، في حين أدرج أفلاطون أن الأسلوب شبيه بالسمة الشخصية، إضافة إلى

[1] –ينظر: محمد بلوحي، الأسلوب بين التراث البلاغي العربي والأسلوبية الحداثية، مجلة التراث العربي، اتحاد كتاب العرب، بيروت، 1425/2004هـ، العدد 95، ص ص 54-55.

[2] – شكري عياد، مفهوم الأسلوب بين التراث النقدي ومحاولات التجديد، مجلة فصول- مجلة النقد الأدبي، دار الفتى العربي، بيروت، ع01، أكتوبر1980، مج1، ص52.

تعريفات أخرى لم تخرج عن تحديد مفهوم الأسلوب انطلاقا من علاقته بالمنشئ باعتباره ذاتا مبدعة، فالأسلوب هو استعمال الثروة اللغوية التي يمتلكها الفرد، كما هناك ربط الأسلوب باللغة لأنه احد العناصر الأساسية في تجليات اللغة واستعمالها ولما كان اهتمام كثير من الحقول المعرفية؛ فاقروا بوجود العلاقة بين اللغة والتفكير، وكذا العلاقة بين الأسلوب والمنشئ.[1] والأسلوب هو " طريقة الكاتب أو الشاعر الخاصة في اختيار الألفاظ وتأليف الكلام، أو هو طريقة خلق الفكرة وتوليدها وإبرازها في الصورة اللفظية المناسبة."[2] فالمبدع حين يكتب نصا معينا عن موضوع معين يختار ألفاظ تلائم هذا الموضوع بأفكار مختلفة جديدة ويحاول بسطها في صورة لفظية تليق بها، وبهذا فالعمل الأدبي ليس نتاجا وإنما طاقة منتجة، والأسلوب في تركيزه على العمل الأدبي "يقوم في بحث القيمة الجمالية كما التقطها كلام الكاتب."[3] والبحث الأسلوبي عن القيمة الجمالية للنص الإبداعي يكون بمستويات معينة.

أما بالنظر إلى الأسلوب من خلال عناصر الاتصال، التي تتمثل في المبدع والمتلقي والرسالة، فمن خلال المبدع يمكن اعتبار الأسلوب اختيارا، وبالنظر إلى المتلقي فالأسلوب هنا قوة ضاغطة على حساسية القارئ، أما من ناحية الرسالة فيعتبر فيها الأسلوب انحرافا لغويا أو إضافة أو تضمينا.[4] وهذه العناصر مهمة في دراسة النص الأدبي لاكتشاف مكنوناته من قيم أدبية وجمالية .

لقد تنوعت الجهود في الدراسات النقدية الأدبية، واهتم النقاد على تصنيف الاتجاهات الأسلوبية، هذه الاتجاهات التي حددوا بواسطتها خصائص الاتجاهات الأسلوبية الغربية ومناهجها

---

[1] – ينظر: نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب– دراسة في النقد العربي الحديث، تحليل الخطاب الشعري والسردي–، ج1، ص ص 145–146.

[2] – عبد المنعم خفاجي وآخرون، الأسلوبية.. والبيان العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1412هـ/1992، ص42.

[3] – أنريك أندرسون أمبرت، مناهج النقد الأدبي، تر: الطاهر احمد مكي، كلية دار العلوم، القاهرة، طبعة خاصة، 1421هـ / 2000م، ص185.

[4] – ينظر: صالح عطية، في التطبيقات الأسلوبية، مكتبة الآداب، القاهرة، 2004، ص15.

وطرائق تحليلها للنصوص الأدبية، كما حددوا الأدوات الإجرائية التي تستخدمها في وصف وتصنيف النصوص وتحليلها.

ب- اتجاهات الأسلوبية:

1) الأسلوبية التعبيرية:

ويقصد بها تلك الطاقات والشحنات والأحاسيس التي يحملها المتكلم أو المبدع، فيحدث بذلك انفعالا له ولمتلقيه، حيث أن المبدع يحاول أن يشحن كلماته بكم كبير من الدلالات التي يؤثر بها على المتلقي وهي ظاهرة تكثيف الدوال خدمة للمدلولات كما يسميها البعض ويعد بالي رائدا لهذا الاتجاه، حيث حصر الأسلوب في تفجّر الطاقات التعبيرية الكامنة في صميم اللغة بخروجها من عالمها الافتراضي، إلى حيز الموجود اللغوي، "والأسلوب حسب تصور بالي هو الاستعمال ذاته فكأن اللغة مجموعة شحنات معزولة والأسلوب هو إدخال بعضها في تفاعل مع البعض الآخر."[1] فاهتم باللغة من حيث تعبيرها عن الوجدان، وهو لا يقصد فقط اللغة الأدبية، وإنما تحدث أيضا عن اللغة الطبيعية التواصلية، وكان موضوع علم الأسلوب هو "دراسة المسالك والعلامات اللغوية التي تتوسل بها اللغة لإحداث الانفعال، فعلم الأسلوب ينبسط حسب بالي على رقعة اللغة كلها فجميع الظواهر اللغوية ابتداء من الأصوات حتى أبنية الجمل الأكثر تركيبا، يمكن أن تكشف عن خصيصة أساسية في اللغة المدروسة."[2] وبالي هنا يؤكد على أن القيمة الأسلوبية تكمن في المحتوى العاطفي للغة، وكل الظواهر اللغوية وربط البحث الأسلوبي للسياق، كما اهتم بتوسيع مستوى اللغة لتحقيق أسلوبية راقية.

[1]- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ط3، د.ت، ص89.

[2]- نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب- دراسة في النقد العربي الحديث، تحليل الخطاب الشعري والسردي-، ج1، ص64.

2) الأسلوبية النفسية:

وتسمى أيضا **الأسلوبية الفردية**، وهو اتجاه منهجي في تحليل الظاهرة الأدبية، وتعني بمضمون الرسالة ونسيجها اللغوي، مع مراعاة لمكونات الحدث الأدبي، الذي كان نتيجة المبدع ووسيلة الإبداع والفن، وهذا الاتجاه يبحث في الأسباب التي أحدثت هذا العمل الأدبي، ويعود إلى أن أصحابه يعتقدون بذاتية الأسلوب وفرديته، فهو يدرس العلاقة بين وسائل التعبير والفرد، دون أن ينسى علاقة هذه الوسائل بالجماعة التي تستعمل اللغة كوسيلة أساسية لإنتاج العمل الأدبي.[1] فهذا الاتجاه يتوجه نحو أن الأسلوب هو الرجل، ويرى هذا الاتجاه أن دراسة الأسلوب لا تكون صحيحة إلا في إطار دلالتها على خصائص المؤلف النفسية، ومن أشهر رواده العالم النمساوي Leo spitzer، الذي تأثر بآراء **فرويد** في التحليل النفسي. ومن خلال التحليل للنص الأدبي على الدارس أن يمر بثلاث مراحل أساسية، أولها أن تكون قراءة الدارس للنص قراءة متأنية من اجل أن يتوحد مع جو هذا العمل حتى يتوصل إلى الخاصية الأسلوبية الغالبة عليه، وثانيا عليه البحث عن التفسير النفسي لهذه الخاصية، وثالثا وهو محاولته في ابحث عن الشواهد الأخرى التي تفهم من خلال العامل النفسي الخفي.[2]

3) الأسلوبية البنيوية:

وهي تعني في تحليل النص الأدبي بعلاقات التكامل والتناقض بين الوحدات اللغوية المكونة للنص بالدلالات والإيحاءات، وقد استفادت الدراسات الأسلوبية من المنهج البنيوي في دراسة الظاهرة الأسلوبية الأدبية وهذا الاتجاه الذي كان رائده دي سوسير، وذلك منذ أن أخذ بتعريف اللغة على أنها نظام من الإشارات، هذه الإشارات هي أصوات تصدر من الإنسان، ولا تكون لها قيمة إلا إذا عبرت

[1]- ينظر: نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب- دراسة في النقد العربي الحديث، تحليل الخطاب الشعري والسردي-، ج1، ص70.

[2]- ينظر: عبده الراجحي، علم اللغة والنقد الأدبي –علم الأسلوب-، مجلة فصول-مجلة النقد الأدبي-، مج2، ص118.

عن الفكرة المراد توصيلها إلى المتلقي.[1] وهو هنا يعرف الأسلوب بالاعتماد على خصائص انتظام النص بنيويا، مما يجعله العلامة المميّزة لنوعية مظهر الكلام داخل حدود الخطاب، وتلك السّمة إنما هي شبكة تقاطع الدوال بالمدلولات ومجموع علائق بعضها ببعض ومن ذلك كله تتكون البنية النوعية للنص وهي ذاتها أسلوبه.[2] فأسلوب النص يظهر من خلال علاقة بنيات النص المشكلة له.

4) الأسلوبية الإحصائية:

وهذا الاتجاه يقوم بإحصاء الظواهر اللغوية في النص، كما يسهم في تحديد الظواهر المدروسة وهو يظهر في الكثير من العلوم وتستعين به مختلف المناهج لتبني أحكامها بناء على نتائج هذا الإحصاء، ولمقاربة الموضوعية العلمية، "ويستعين المنهج الأسلوبي بالإحصاء تمهيدا لبلورة معطيات تدل على صفات الخطاب الأدبي في أدواته البلاغية والجمالية وتصب فيما يسمى بالتعليل الأسلوبي والمقاربة الأسلوبية تتدرج من الإحصاء إلى البنية."[3] ولكن هذا الاتجاه إذا تفرد فإنه لا يفي الجانب الأدبي حقه فإنه لا يستطيع وصف الطابع الخاص والتفرد في العمل الأدبي، وإنما يحسن هذا الاتجاه إذا كان مكملا للمناهج الأسلوبية الأخرى.

ويبقى أن المنهج الإحصائي النموذج المثالي للدقة العلمية التي لا تترك مجالا لذاتية الناقد أو الباحث كي تنفذ إلى العمل الأدبي"[4]، فيجب أن يستخدم هذا المنهج كوسيلة للشرح والتفسير

---

[1] – ينظر: نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب– دراسة في النقد العربي الحديث، تحليل الخطاب الشعري والسردي–، ج1، ص90.

[2] – عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص90.

[3] – نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، ص103.

[4] – محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1994م، ص198.

والاستدلال على آراء نقدية معينة، حيث يجمع فيه الناقد أو الباحث بينه وبين المناهج الأخرى التي تُظهر قيمة النص الجمالية والفنية.

جـ- مبادئ الأسلوبية:

1. الاختيار:

إن عملية الإبداع الأسلوبي تستوي في الاختيار أولا، ثم في التركيب ثانيا، ومنشئ الكلام أن يتخير اللفظ من خلال رصيده اللغوي الواسع ويحدد من هذا الرصيد ويوزعها بطريقة محدودة، فيكون بها نصا أو خطابا، وينطبق هذا على جميع الخطابات الأدبية المعروفة؛ ومن هنا يمكن أن نعرف بأن الأسلوب اختيار يقوم على المنشئ لسمات لغوية معينة بغرض التعبير عن قضية معينة، ويدل هذا الاختيار على إيثار المنشئ وتفضيله لهذه السمات على غيرها، وهذه المجموعة من الاختيارات التي يشكلها المنشئ للتعبير عن موضوع معين هي التي تشكل أسلوبه الذي يتميز به عن غيره من المنشئين، غير انه لا يمكن اعتبار كل اختيار يقوم به المنشئ هو اختيار أسلوبي، وهنا وجب تحديد نوعين من الاختيار الأسلوبي وهما : اختيار محكوم بالموقف والمقام وهو اختيار هدفه تحقيق أهداف معينة ومحددة وقد يتلاعب المنشئ في اختيار لغته التي تناسب رأيه الخاص، وأما النوع الثاني الذي هو اختيار تتحكم فيه مقتضيات التعبير الخالصة وهو اختيار نحوي حيث يتقيد فيه المنشئ بقواعد اللغة بمفهومها الشامل الصوتية والصرفية والدلالية ونظم الجملة ويكون هذا الاختيار حين يفضل المنشئ كلمة على كلمة أو تركيب على آخر لأنه أصح أو أدق في إيصال الفكرة المرادة وهذا الاختيار يكون مثلا في الفصل والوصل والتقديم والتأخير والذكر والحذف وغير ذلك، ويظهر في هذا الاختيار خبرة وأسلوب المنشئ.[1]

[1] – ينظر: نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، ص173.

2. التركيب:

وهذا العنصر لا يكون إلا بالعنصر السابق وهو الاختيار، و لن تكون لعملية الاختيار جدوى إلا إذا أحكم تركيب الكلمات المختارة في الخطاب الأدبي، "فظاهرة التركيب هي تنضيد الكلام ونظمه لتشكيل سياق الخطاب الأدبي، والتركيب عنصر أساسي في الظاهرة اللغوية، وعليه يقوم الكلام الصحيح"[1]، وأن اختيار الكلمات لا يكون صحيحا إلا إذا أحكم توزيع هذه الكلمات التي تتوزع على مستويين حضوري وغيابي، فهي تتوزع سياقيا على امتداد خطي ويكون لتجاورها تأثير دلالي وصوتي وتركيبي؛ وهو ما يدخلها في علاقات ركنية، وتتوزع غيابيا في شكل تداعيات للكلمات المنتمية لنفس الجدول الدلالي، وهنا تكون على شكل علاقات جدولية أو استبدالية فيصبح بذلك الأسلوب شبكة تقاطع العلاقات الركنية بالعلاقات الجدولية، وحسب مصطلح النظم الذي جاء به البلاغيون أن المتكلم يختار من الرصيد للغوي مادته ثم تتلو ذلك مرحلة التوزيع وهو ما يعبر عنه الجاحظ بالتصرف في الألفاظ وتنضيد الكلام، وهذا التعريف يتبين الانتباه إلى علاقة الكلمات ببعضها البعض سياقيا، لأنه إذا لم يحكم توزيع هذه الكلمات يجعل اختلالا في الكلام، ومن هنا فان المنشئ وجب عليه أن يتقيد بقواعد النحو وقوانينه، ولذلك كان التركيب احد شروط الأسلوب، وقد قسم الباحث محمد مفتاح التركيب إلى تركيب نحوي الذي يتوجب فيه على الباحث في تحليله للخطاب الشعري استعماله لجملة من المفاهيم والأدوات الإجرائية، وهي إجراءات[2] موظفة في تحليل التركيب وتتمثل في:

[1] – نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب– دراسة في النقد العربي الحديث، تحليل الخطاب الشعري والسردي–، ج1، ص186.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص191.

- **التباين:** وهو من المكونات الأساسية لكل ظاهرة إنسانية ويشير إلى العناصر المهيمنة في القسم الأول من الخطاب المدروس؛ مثلا الخبر/الإنشاء، الجملة الاسمية/ الجملة الخبرية، الإثبات /النفي..
- **التشاكل:** وهو تراكم مستوى معين من مستويات الخطاب، وقد قسمه البلاغيون إلى ترصيع وموازنة مثل(هلوعا وجزوعا) أو(جميلا وقريبا)، وهذا التشاكل جزئي أو كلي ينعكس في الاشتراك في الحرف الأخير أو في الصيغة الصرفية، وقد وسِّع التشاكل ليشمل أنواعا أخرى كالزمن، والنفي مثل (وما...ولا)، والمكان، والضمائر إلى غير ذلك، ومغزى التشاكل هو دلالته على التكرار، والإلحاح والدوران من حيث الفعل النحوي، والتشاكل يتضمن بالضرورة، التباين والتواتر.
- **الأقرب أولى:**إن الاهتمام بألفاظ معينة يتطلب تقديمها، والتركيز عليها بناء على الطبيعة اللغوية المتحدث بها، وتنبني على مقصدية المتكلم.
- **الاقتراب اهتمام:**إن القرب والبعد في النظام اللغوي يعتمد على اهمية الوحدة اللغوية الأقرب، ثم تكون الأهمية بحسب التدرج في التركيب.
- **الزيادة في المبنى زيادة في المعنى:**وقد أشار العرب الى هذه الظاهرة اللغوية، فالزيادة في الصيغة الصرفية للفعل"فعّل" زيادة في معناه، وفي مبنى" انهاك أنهاك" زيادة في المعنى والمبنى.
- **التقديم:**والتقديم هنا هو الذي يغير ترتيب الجملة العربية المعروفة، وهذا التغيير هو الذي يثير انتباه المحلل.
- **بنية التعدي:** ولبنية التعدي وظيفة في معنى الخطاب، ودارس التركيب والدلالة مطالب بإحصاء الأفعال المتعدية واللازمة الواردة في الخطاب المدروس.

وأما التركيب البلاغي الذي يتناول فيه الباحث نظريات الاستعارة ومن أهم النظريات التي عرضت قضية التركيب البلاغي والاستعارة بخاصة نجد مصطلح الإبدالية التي ترتكز على أن الاستعارة لا تتعلق إلا بكلمة معجمية واحدة بقطع النظر عن السياق الواردة فيه، وان كل كلمة يمكن أن يكون لها معنيان؛ معنى حقيقي، ومعنى مجازي، وكذلك الاستعارة تحصل باستبدال كلمة حقيقية بكلمة مجازية، كما أن هذا الاستبدال مبني على علاقة المشابهة الحقيقية أو الوهمية. ومن النظريات أيضا نجد النظرية التفاعلية والتي تتوجب بعض النقاط في الاستعارة منها: أن الاستعارة تتجاوز الاقتصار على كلمة واحدة، وأن الكلمة أو الجملة ليس لها معنى حقيقي محدّد بكيفية نهائية وإنما السياق هو الذي ينتجه. كذلك أن المشابهة ليست العلاقة الوحيدة في الاستعارة فقد تكون هناك علاقات أخرى غيرها. كما أن الاستعارة ليست مقتصرة على الهدف الجمالي والقصد الشخصي، ولكنها أيضا ذات قيمة عاطفية ووصفية ومعرفية، وهناك نظرية أخرى اهتمت بتحليل الاستعارة في تركيبها ودلالتها وسميت بالنظرية العلاقية.[1]

3. الانزياح:

وهو عنصر وجد اهتماما كبيرا من طرف الباحثين في الدراسات الأسلوبية باعتباره قضية أساسية في تشكيل جماليات النصوص الأدبية، والانزياح هو انحراف الكلام عن نسقه المألوف، وهو حدث لغوي يظهر في تشكيل الكلام وصياغته صياغة متألقة، واعتبروه هو بمثابة الأسلوب الأدبي ذاته، وقد قسم الأسلوبيين اللغة إلى مستويين يتمثلان في المستوى العادي الذي يتجلى في هيمنة الوظيفة الإبلاغية على أساليب الخطاب، وأما المستوى الثاني وهو المستوى الإبداعي الذي يخترق فيه المبدع الاستعمال المألوف للغة، وينتهك صيغ الأساليب الجاهزة، ويهدف بذلك إلى شحن الخطاب

[1] – ينظر: نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب– دراسة في النقد العربي الحديث، تحليل الخطاب الشعري والسردي–، ج1، ص194.

بطاقات أسلوبية وجمالية تحدث تأثيرا في المتلقي.[1] كما أوجد الباحثون العرب مصطلحا جديدا لدراسة الوقائع الأسلوبية التي تخرج عن النظام اللغوي المألوف في الخطاب الشعري وسمي هذا البديل بالضرورات الشعرية وهي بمثابة ترخيص للشاعر يسهل عليه الخروج عم القواعد النحوية الصارمة في الأدب التي تضبط اللغة ضبطا محكما، ولذلك كانت مقولة" يجوز للشاعر ملا يجوز لغيره من مد المقصور، وقصر الممدود.."[2] وهذه التسهيلات عرفت في الشعر العربي بالجوازات الشعرية، والانزياح في الحقيقة ليس مطلبا، بل هو سبيل لانفتاح النص وتعدد قراءاته.

[1]- ينظر: نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب- دراسة في النقد العربي الحديث، تحليل الخطاب الشعري والسردي، ج1، ص198.

[2] - المرجع نفسه، ص214.

التعريف بالقصيدة المدروسة:

القصيدة التي ستكون موضوع الدراسة هي قصيدة ابن عمار التي وصف فيها قصر ابن عبد اللطيف في الليلة التي اجتمع فيها مجموعة من العلماء والأدباء والأمراء في المأدبة التي كانت سببا في إظهار الجمال والبراعة والفن من الإبداع الفكري والأدبي، وهذا الجمال ظهر من خلال هذه القصيدة البديعة التي جمع فيها ابن عمار بمجموعة من الأغراض الشعرية من وصف ومدح وهجاء وإعجاب فقد وصف قصر ابن عبد اللطيف، كما مدح أمراءه والعلماء الذين حضروا هذه المأدبة منهم الزروق ابن عبد اللطيف الذي تولى الفتوى والتدريس والخطابة، كما ذكر أحمد بن عبد اللطيف الذي نسب إليه الوزارة، والأديب ابن ميمون وغيرهم من العلماء وهو يقول:

وَلَيْلَةُ أُنْسٍ لَذَّ فِيهَا جَنَى السَّهَرْ فَنَاهِيكَ مِنْ أُنْسٍ جَنَيْنَاهُ بِالسَّهَرِ (الطويل)

هَصَرْتُ* بِهَا غُصْنَ المَسَرَّةِ وَالمُنَى وَجَرَّرْتُ أَذْيَالَ السَّعَادَةِ وَالظَّفَرِ

وَفُزْتُ بِمَنْ أَهْوَى عَلَى صَوْلَةِ النَّوَى*** فَنَزَهْتُ فِيهِ القَلْبَ وَالسَّمْعَ وَالبَصَرِ**

وَبِتُّ وَلِلْبَدْرِ المُنِيرِ تَضَاؤُلٌ أُغَازِلُ مِنْهُ الحِقْفَ وَالغُصْنَ وَالقَمَرِ

فَلاَ غُصْنَ إِلاَّ مِنْ رَشِيقِ قِوَامِهِ وَلاَ بَدْرَ إِلَّا مَنْ آزَرْتَهُ ظَهَر

*- هصرت: هصر: الهَصْرُ: عطف الشيء الرّطب كالغصن وكسره. هصر الشيء يهصره هَصْرا: جَبَذَهُ وأماله واهتصره، هَصَرْتُ الغصن وبالغصن إذا أخذت برأسه فأملته إليك. أنظر لسان العرب لابن منظور/ج5، مادة (هصر) ص264.

**- صولة: الوثبة . أنظر لسان العرب لابن منظور/ ج11، مادة (صول) ص387. الوثبة : فعل وتقدم. أنظر لسان العرب لابن منظور/ ج1، مادة (وثب)ص792.

*** - النوى: الدار، والنوى: التحول من مكان إلى مكان آخر، أو من دار إلى دار غيرها . أنظر لسان العرب لابن منظور /ج15، مادة (نوي) ص347.

فَيَا لَيْلَةَ الأَفْرَاحِ وَالأُنْسِ طُولِي قَلِيلاً وَيَا لَيْلَ المَسَرَّةِ فَاعْتَكِرْ*

وَيَا صُبْحُ لاَ تُصْفِرْ عَلَيْنَا فَإِنَّنَا غَنِينَا بِأَسْفَارِ الغَلاَئِلِ وَالغُرَرِ

إِلَىَ اللهِ أَشْكُو مَا جَنَتْ لَيْلَةُ اللِّقَا عَلَى قَلْبِي المَشْغُوفِ مِنْ شِدَّةِ القَصْرِ

خَلِيلَيَّ هَلْ يَسْخُو الزَّمَانَ بِلَيْلَةٍ تَبَسَّمَ فِيهَا السَّعْدُ عَنْ شَنَبِ** الوَطَرِ[1]

وكانت القصيدة عبارة عن مجموعة من الوحدات التي تداخلت فيها مجموعة من الأغراض الشعرية فمن خلال الفكرة الأولى التي وصف فيها ابن عمار قصر ابن عبد اللطيف؛ كما وصف تلك الليلة الساحرة التي ألهمته وسحرته حتى جعلته ينتج لنا هذه القصيدة البديعة. أما في الفكرة الثانية التي تخلص فيها إلى الغرض المقصود وهو مدح أحمد بن عبد اللطيف، فمدحه بالخطابة والوعظ وقرض الشعر وصوغ النثر، كما يشير إلى قوة وشجاعة آل عبد اللطيف في ساحات المعارك التي كسروا فيها العدو فرزقهم الله النصر والظفر والظهور والعلو؛ ويقول أبو القاسم سعد الله أن هذا المدح ينطبق أكثر على المفتي محمد بن عبد اللطيف وليس على أحمد الذي ذكر أنه كان وزيرا.[2] كما جاء على ذكر الشخصيات التي حضرت هذه السهرة، وخصّ بمدح كل واحد منها، ونذكر منها الزروق بن عبد اللطيف الذي تولى الفتوى والخطابة التدريس، والوزير أحمد بن عبد اللطيف، والكاتب عبد الرحمن بن عبد اللطيف، كما ذكر محمود بن عبد اللطيف الذي كان متوليا القضاء وقد شبهه الشاعر بأبي الحنيفة النعمان في قوة العلم، كما ذكر الأديب والشاعر الجزائري ابن ميمون صاحب كتاب" التحفة المرضية"؛ وقد كان معاصرا للشاعر ابن عمار.

* - فاعتكر: كرّ وانصرف، أنظر: لسان العرب لابن منظور/ج4، مادة (عكر)ص599.

** – الوطر: الوطر كل حاجة كان لصاحبها فيها همة . ينظر: لسان العرب لابن منظور، ج5،مادة (وضر) ص285

[1] – ديوان أشعار جزائرية، ص58.

[2] – المصدر نفسه، ص60.

وحتى كانت أوصافه مبالغ فيها خاصة فيما تعلق بدور عائلة ابن عبد اللطيف السياسي والعسكري، حسب رأي أبو القاسم سعد، لأن الحكم كان بيد (الوجاق) وليس بيد الجزائريين من أمثال عائلة ابن عبد اللطيف. والشاعر يشير في وصفه للجزائر حين قال(كانا بها والملك يحميه رأيهم..)، والملك هنا هو أمير المؤمنين محمد باشا الذي طال عهده وحسنت سيرته إلى حد كبير، فقد حكم من سنة 1766م إلى 1791.

وأما في الفكرة الثالثة التي تعلقت بغرض الفخر، حيث افتخر ابن عمار بوزيره محمد بن عبد اللطيف، كما شبه الشخصيات التي اجتمعت في هذه السهرة بالنجوم المنيرة، ويتقدمهم هذا الوزير كالقمر، كما افتخر بنفسه وبشعره وبهذه الشخصيات النيرة، التي تجتمع حوله وفي الأخير يتخلص إلى أن هذا الوزير باق بسيرته الحميدة محروسا مقدسا ينير هذا الظلم الذي لحق بأرض الجزائر.

ويعتبر يقول سعد الله هذا الوصف لقصر عبد اللطيف والأحداث التي وقعت في هذه الليلة من أنس رفقة الأصدقاء كابن علي وابن ميمون من أقوى ما كتب ابن عمار في الأدب، فقد كانت تشبيهاته للقصر ولهذه الليلة متعارف عليها في التاريخ، فقد استعارها من محفوظه الكثير حيث أمدته ذاكرته بمعلومات غزيرة وهذا لثقافته وتجربته في مجال العلم والأدب.[1] فابن عمار عرف بشخصية ذكية فذة عرفت عبر التاريخ وهذا ناتج عن تنوع وغزارة ثقافته العلمية والأدبية.

[1] – ينظر: ديوان أشعار جزائرية، ص57.

ثانيا– المستوى الصوتي والتركيبي:

أ– المستوى الصوتي:

إن التعريف العام للصوت أنه" أثر سمعي ينتج من خلال أعضاء النطق للإنسان إراديا في صورة تذبذبات نتيجة لحركات ووضعيات معينة لهذه الأعضاء.فأعضاء النطق تمثل العنصر الأول، والأثر السمعي المتعلق بالصوت من حيث انتقال موجاته في الهواء يمثل العنصر الثاني، أما أذن المستمع التي تتلقى تلك التذبذبات فتشكل العنصر الثالث"[1]، وينتج من هذا الأثر السمعي الرموز التي هي أساس الكلام عند الإنسان، هذه الرموز الصوتية تتألف من الكلمة ذات المعنى، والجمل، والعبارات، وهذه الأربعة أي الصوت، والكلمة، والمعنى، والجمل، هي العناصر الأساسية للغة.

وبذلك فإن الأصوات اللغوية هي الأصوات التي تصدر من آلة النطق لدى الإنسان أو الجهاز النطقي لديه، وتكون لهذه الأصوات دلالة على المعاني حين تتكون الكلمات فالجمل فالنصوص.[2] وتنقسم الأصوات من حيث ذبذبة الوترين الصوتيين وعدمهما إلى صوت مجهور ومهموس والمجهور وهو الصوت الذي تصحبه ذبذبة الوترين والمهموس مالا تصحبه تلك الذبذبة.

1– الأصوات المجهورة:

الجهر في اللغة هو "علن وبدا، وأجهر وجهور: أعلنه وأظهره، يقال جهر الكلام وأجهره أعلنه، ورجل جهير الصوت، أي عالي الصوت، والحروف المجهورة ضد المهموسة، وهي تسعة عشر حرفا" [3]؛ وجاء سيبويه بتعريف المجهور فقال:" حرف أشبع لاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه، حتى

[1] – خليل إبراهيم عطية، في البحث الصوتي عند العرب، منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد، د.ط، 1983، ص06.

[2] – ينظر: غانم قدوري الحمد، علم أصوات العربية، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1425هـ/2004م، ص43.

[3] – ابن منظور، لسان العرب، مج4، مادة(جهر)، ص150.

ينقضي الاعتماد ويجري الصوت."[1] غير "أن الميم والنون من الحروف المجهورة قد يعتمد لهما في الفم والخياشيم، فتصير فيهما غنة، وهذه صفة المجهور"[2]. وحسب علماء الأصوات اللغوية، " أن العملية التي تصدر بطريقة ذبذبة الوترين الصوتيين في الحنجرة تسمى أصواتا مجهورة، فالصوت المجهور هو الذي يهتز معه الوتران الصوتيان."[3] والأصوات المجهورة في اللغة العربية هي التي يجمعها القول: " ظلُّ قَوٍّ رَبَض إذْ غَزَا جُنْدٌ مُطِيع"[4]. ويمكن أن نفرق بين الصوت المجهور والصوت المهموس بأن "تسدَّ أذنيك وتنطق بالصوت فإن وجدت صدى أو دوياً للصوت في أذنيك كان الصوت مجهورا، وإن لم تجد ذلك كان الصوت مهموسا."[5] كما تتميز الأصوات المجهورة بقوة وضوحها في السمع، وذلك راجع إلى النغمة الحنجرية المتولدة من اهتزاز الوترين الصوتيين.

تعد قصيدة ابن عمار هذه من أجمل القصائد الوصفية التي قالها في وصف قصر ابن عبد اللطيف والتي حملت أكثر من مغزى، فهي مناسبة التقى فيها العلماء والرؤساء، فتجاوب فيها الشعر والسياسة، واختلفت لغة التخاطب بين الشاعر والفقيه والأمير والقاضي والكاتب وغيرهم من العلماء الذين اجتمعوا في تلك الليلة، فكانت مأدبة علم وشعر أكثر من المأدبة المتعارف عليها؛ ومن خلال وصف ابن عمار لهذه الليلة نلاحظ أننا في مجتمع راق يزدهر فيه الفن والأدب وتجتمع فيه قيم حضارية موحدة عرفت بعض نماذجها في مشارق الأرض ومغاربها خاصة في دمشق وبغداد والقاهرة، والى جانب مستوى المضمون للقصيدة البارز، كان المستوى الصوتي أكثر بروزا حيث تكمن هذه الطاقة الصوتية في

[1] – خليل إبراهيم عطية، في البحث الصوتي عند العرب، ص40.

[2] – ابن جني، سر صناعة الإعراب، تح: محمد حسن إسماعيل وأحمد رشدي شحاتة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ/2000م، ج1، ص75.

[3] – إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة ومطبعة نهضة مصر، د.ط، د.ت، ص21.

[4] – ابن منظور، لسان العرب، مج4، مادة(جهر)، ص150.

[5] – غانم قدوري الحمد، علم أصوات العربية، ص102.

الكلمات والألفاظ التي حملت أصوات مختلفة في وضوحها السمعي وقدرتها على إبراز المعنى، إذ يظهر البناء الصوتي في قصيدة ابن عمار الوصفية من خلال انتقاء الأصوات المجهورة والمهموسة كي تكون منسجمة مع وحدات الجمل وهذا ما يتضح من خلال هذه النماذج لأصوات الجهر والهمس ودلالتها في قصيدة ابن عمار.

1-1- صوت الراء: الراء من الحروف" المجهورة مكرر، يكون أصلا، لا بدلا ولا زائدا، فإذا كان أصلا وقع فاءا وعينا ولاما،وأمثلة ذلك نحو: رشد، وجرح، بدر. والراء لما فيها من تكرير لا يجوز إدغامها فيما يليها من الحروف، لأن إدغامها في غيرها يسلبها ما فيها من الوفور بالتكرير".[1] مخرجه مغارزي، ودرجة الانفتاح فيه بين الشدة والرخاوة.[2] وحرف الراء من الأصوات الذلقية وهو اسم أطلقه العلماء على حرف "الراء واللام والنون" وهذا للعلاقة والتشابه بين هذه الأصوات.[3] وهذا التشابه يمكن أن يكون في قرب مخارجها فتشترك في نسبة وضوحها الصوتي، وأنها من أوضح الأصوات الساكنة في السمع،. "والراء نوعان مرققة ومفخمة، حيث تفخم الراء المفتوحة والمضمومة إلا إذا سبقها كسرة أو ياء ساكنة وذلك نحو: رزقكم- كبيرة- صبروا. وترقق الراء المكسورة مثل رزق – رجس. وتفخم الراء الساكنة إذا سبقها فتح أو ضم مثل يرجعون"[4]

وحرف الراء صوت مكرر كما علمنا،" لأن التقاء طرف اللسان بحاف الحنك مما يلي الثنايا العليا يتكرر في أثناء النطق بها، كأنما يطرق طرف اللسان حافة الحنك طرقا لينا يسيرا مرتين أو ثلاثا لتتكون الراء العربية"[5]. ولتكوّن الراء يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين، ثم

[1] – ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص205.
[2] – ينظر: الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، المطبعة العربية، تونس، ط3، 1992، ص45.
[3] – ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص45.
[4] – المرجع نفسه، ص56.
[5] – المرجع نفسه، ص57.

يتخذ الهواء مجراه في الحلق والفم حتى يصل مخرجه وهو طرف اللسان ملتقيا بحافة الحنك الأعلى فيضيق هناك مجرى الهواء.

وحمل صوت الراء عدة دلالات ذلك أن من صفاته الجهر والتكرير، وقد جاء كما سبق انه حسب التعريف به أن الجهر هو القوة والإعلاء، وهذا يدل على القوة والعلو والرفعة، وعلا بصوته بقوة أي صوته عال، كما تدل كلمة مكرر على تأكيد هذه القوة والعظمة في هذا الصوت. كما تدل حركة اللسان مسترخيا في طريق الهواء الخارج من الرئتين وتموج اللسان وضربه في أعلى الحنك ضربات مكررة على العلو من جهة والقوة والرفعة من جهة أخرى. وهناك خاصية مميزة في حرف الراء أنها تنسجم وتتلائم مع حرف اللام الذي يلي حرف الراء في هذا المبحث وقد عدّ هذان الحرفان من الحروف الذلقية وهذا للتشابه بين هذين الحرفين، واجتماعهما يعطي القصيدة الكثير من الدلالات المميزة فتجعل القصيدة أكثر حركة وعلو، فإذا كانت واصفة يظهر وصفها معبرا على الحقيقة مباشرة حيث ينقل الشاعر أوصافه كما يراها، وإذا كانت مادحة فتعبر عن القوة والوضوح وحقيقة الممدوح، لأن هذان الحرفان من أقوى الأصوات وضوحا على السمع، فيدلان على الانبهار والإعجاب، كما أن انسجامهما وتناغمهما في القصيدة يعطي القصيدة إيقاع موسيقي متلائم مع طبيعة الموضوع.[1]

– دلالة حرف الراء في القصيدة:

اتصف حرف الراء بالتكرار، فالإضافة أنه مكرر، فقد تكرر في قصيدة ابن عمار حوالي مائتين وسبعة وستون مرة، فكانت القصيدة رائية، أي أن رويها هو حرف الراء، وقد توزع عبر القصيدة فمرة تجده في صدر البيت، ودائما في عجزها من مرة فأكثر، وبعض الأبيات وصل حتى ست مرات كقول ابن عمار:

[1] – المرجع السابق، ص ص 56-57.

هَصُرَتْ بِهَا غُصْنَ المَسَرَةِ وَالمُنَى وَجَرّرَتْ أَذْيَالَ السَعَادَةِ وَالظَّفَرِ

وَبِتُّ وَلِلْبَدْر المُنِيرِ تَضَاؤُلٌ أُغَازِلُ مِنْهُ الحِقْفَ* وَالغُصْنَ وَالقَمَرِ

فَلاَ غُصْنَ إِلاَّ مِنْ رَشِيقِ قِوَامِهِ وَلاَ بَدْرَ إِلَّا مَنْ آزِرَّتُهُ ظَهَر[1]

وهذا التتابع في حرف الراء عبر القصيدة يدل على شدة إعجاب وانبهار الشاعر بقصر ابن عبد اللطيف، حيث نجد في البيتين الأولين أن حرف الراء تكرر مرتين في صدر البيت وأربع مرات في العجز، هذا التكرار يلفت انتباه القارئ إلى تلك السعادة التي أحسها الشاعر بالظفر والفوز للدخول في هذا القصر البديع، فجماله وساحاته، ولوحاته وروضاته أبهرت الشاعر وأسعدته فقد فاق جماله كل القصور في عهده، ولهذا حسب ما يظهر في القصيدة أن ابن عمار كان يتمنى الدخول إلى هذا القصر الذي اشتهر عن غيره من القصور وقد تحقق له هذا الحلم ولولا وجوده في هذا القصر البديع لما نلنا هذه القصيدة البديعة.

وحرف الراء في البيت الأول جاء في الكلمات (هصرت، المسرة، جررت، الظفر)، ففي كلمة هصرت جاءت مفتوحة تدل على الإمالة والشوق والرغبة في الوصول إلى القصر، ودلت كلمة المسرة على فرحة الشاعر وسروره لوجوده في القصر وقضاء ليلة مميزة مع مجموعة من الأصدقاء، كما دلت كلمة جررت على مجموعة من الأشياء التي حصلت للشاعر في هذه الليلة وساهمت في إسعاده وجاء حرف الراء مشدد وهذا دل على مضاعفة إحساسه بالفرحة وإعجابه الشديد بالقصر، كما جاءت

*- الحقف: كل موضع دخل فيه. قال الفراء: الحقف: المستطيل المشرف. أنظر لسان العرب لابن منظور /ج9، مادة(حقف) ص ص 52-53.

[1] – ديوان أشعار جزائرية، ص59.

كلمة(الظفر) التي تعني فوز الشاعر بهذه الليلة المباركة التي حملت الكثير من الفرحة والبهجة في نفوس كل من اجتمع فيها.

وعند مدح ابن عبد اللطيف قال:

رَيَاحِينُنَا صَدْغَاهُ* وَالوَرْدُ خَدَّهُ وَمِنْ ثَغْرِهِ البَرَّاقِ نَقْتَطِفُ الزَّهَرِ

يَفُوقُ نَثِيرَ الزَّهْرِ رَائِقَ نَثْرِهِ وَيَعْبَثُ بِالشِّعْرِي العَبُورِ إِذَا شَعَرْ[1]

وقد عبر هذا التكرار في حرف الراء في هذين البيتين عن ممدوح ابن عمار الذي يتميز بجماله وحسنه وإلى علمه المنير، وعن جماله جاءت كلمات حرف الراء التالية(رياحيننا، الورد، ثغره، البرّاق، الزهر)، وقد اقتبس جماله واستوحاه من الطبيعة الجذابة بجمالها وسحرها فجاءت رياحيننا تعبر عن الجمال والرائحة الزكية التي يتحلى بها ابن عبد اللطيف، وجاءت كلمة الورد لتعبر عن نظرته الساحرة كالورد الذي يجمل بلونه ورائحته المكان الذي ينبت فيه، وجاءت كلمتي (ثغره البراق) لتعبر عن علمه المنير وشدّد حرف الراء في البرّاق لتؤكد على بروزه وشهرته من خلال إشعاعه العلمي الذي ينتفع منه كل من تقرب إليه ومع الشدة تضاعف إعجاب الشاعر بممدوحه. وكذلك في البيت التالي الذي يعبر عن ممدوحه حيث نجد حرف الراء من خلال الفعل نثر الذي تكرر ليدل على براعته في النثر، كما تكرر أيضا في الفعل شعر، وقد فاق أقرانه في النثر وفي الشعر .

1-2- صوت اللام: صفته مجهور جانبي، مخرجه مغارزي، ودرجة انفتاحه متوسط بين الشدة والرخاوة.[2] ويكون أصلا، وبدلا، وزائدا، فإذا كان أصلا وقع فاء، وعينا، ولاما، فالفاء نحو لعب،

* - صدغاه: الصدغان هما موصل ما بين اللحية والرأس إلى أسفل القرنين، وهي التي في وسط الرأس ، يدعونها الدائرة وإليها ينتهي فرو الرأس. ينظر: لسان العرب لابن منظور/ج8، مادة(صدغ) ص440.

[1] - ديوان أشعار جزائرية، ص ص(58-60).

[2] - ينظر: الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ص45.

والعين نحو سلم، واللام نحو جعل. ويمتاز اللام" بنطقه الجانبي وذلك بالتصاق طرف اللّسان بالمغارز العليا فيمر الهواء بغزارة من جانبي اللّسان"[1] وإذا كانت اللام زائدة فهي على ضربين: الأول أن تزاد في الكلمة مبنية غير مفارقة لها، وذلك نحو أولالك ومعناها أولئك، والثاني أن تزاد فيها لمعنىً، ولا تكون صيغة الكلمة.ومن ذلك قول للعنس: عنسل*، وهنا اللام من عنسل زائدة [2]، "ويتكون صوت اللام بأن يمر الهواء بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق وعلى جانبي الفم في مجرى ضيق يحدث فيه الهواء نوعا ضعيف من الحفيف. وفي أثناء مرور الهواء من أحد جانبي الفم أو من كليهما، يتصل طرف اللسان بأصول الثنايا العليا وبذلك يحال بين الهواء ومروره من وسط الفم فيتسرب من جانبيه."[3] واللام نوعان في استعمالها مرققة ومغلظة. "والأصل في اللام العربية الترقيق، ولا يجوز الرجوع عن هذا الأصل عند القراء إلا بشرطين، أولهما أن يجاور اللام أحد أصوات الاستعلاء كالصاد والطاء والظاء ساكنا أو مفتوحا. وثانيهما أن تكون اللام نفسها مفتوحة" [4]، وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾[5]، ونحو قوله: ﴿ سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾[6].

وتكون اللام للتعريف حسب رأي المذاهب الأربعة، فحسب رأي الخليل أن "أل" أي الألف واللام جميعا تكون للتعريف وهما حرفان أصليان، أما سيبويه فيقبل هذا التعريف بيد أنه يبين أن الألف زائدة، وذهب الكثير من النحاة إلى أن المعرف هو " اللام" وحدها، أما الرأي الرابع عند المبرد فيرى أن

---

[1] – الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث ، ص41.

* - العنسل: الناقة القوية والسريعة

[2] – ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج2، ص05.

[3] – إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص56.

[4] – المرجع نفسه، ص55.

[5] – سورة المسد، آية 03.

[6] – سورة القدر، آية05.

المعرف هو الألف وحدها واللام زائدة.[1] فاللام تكون للتعريف عند من جعل حرف التعريف أحاديا، كما تجتمع أيضا مع الألف للتعريف، وتفيد أيضا معان أخرى منها التعليل والاختصاص والنسب وغيرها من المعاني.

– دلالة حرف اللام في القصيدة:

تكرر حرف اللام في القصيدة حوالي ثلاث مائة واثنان وستون مرة، فبالإضافة إلى تعريف الكلمات ظهر عبر القصيدة موزعا توزيعا متجانسا وذلك نحو قول ابن عمار:

فَيَا لَيْلَةَ الأَفْرَاحِ وَالأُنْسِ طُولِي قَلِيلاً وَيَا لَيْلُ المَسَرَّةِ فَاعْتَكِرْ

وَيَا صُبْحُ لاَ تُصْفِرْ عَلَيْنَا فَإِنَّنَا غَنِينَا بِأَسْفَارِ الغَلاَئِلِ وَالغُرَرِ

إِلَىَ اللهِ أَشْكُو مَا جَنَتْ لَيْلَةُ اللِّقَا عَلَى قَلْبِي المَشْغُوفِ مِنْ شِدَّةِ القَصْرِ[2]

ونجد الكلمات (ليلة ، الأفراح، طولي، الأنس، ليل، المسرة) كلها تعبر عن هذه الليلة التي أدخلت الفرح والسرور على قلب الشاعر وكل من اجتمع معه، كما عبّر عن شوقه ومناه بطول الليلة المؤنسة وهو يناديها ويترجاها، فحرف اللام في هذه الكلمات عرف كلمات الأفراح، الأنس، المسرة وهذا دلالة على أهمية هذه الليلة ومدى تأثيرها على الشاعر، أما في كلمات ليلة، ليل، طولي، فقد تكرر لإعجابه الشديد بهذه الليلة، وفي البيت الأخير نجد مضاعفة حرف اللام في كلمة (اللّقاء)، فتضاعف معها هذا الشوق والحب للقصر حيث بث ابن عمار شكواه إلى الله تعالى لعله يحظ بفرصة أخرى وليلة في هذا القصر البديع كما يبث شغفه وشوقه الكبير إلى العودة إليه مرة أخرى.واللام في

[1] – ينظر: محمود محمود السيد الدريني، اللام المفردة أقسامها ومعانيها في ضوء أساليب القرآن وكلام العرب، نسخة مطبوعة، ط1، 1996، ص168.

[2] – ديوان أشعار جزائرية، ص59.

هذه الأبيات جاءت معظمها مفخمة، فإذا" فخمت تقرع بوضع طرف اللسان إلى أدنى الحنك"[1] ونجد ذلك في الكلمات(الله، اللّقا، الغلائل..).

1-3- حرف الجيم: تكرر حرف الجيم في القصيدة حوالي سبعة وثلاثون مرة. ويتكون حرف الجيم عندما "ينحبس الهواء بالتقاء أقصى اللسان بأقصى الحنك الأعلى ثم ينفصلان فجأة فيحدث الهواء المندفع صوتا انفجاريا ويسمى الجيم القاهرية"[2] ؛ وهو صوت شديد بحيث ينحبس الهواء معها عند مخرج كل منها انحباسا لا يسمح بمروره حتى ينفصل العضوان فجاة ويحدث النفس صوتا انفجاريا، والجيم العربية الفصيحة يختلط صوتها الانفجاري بنوع من الحفيف يقلل من شدتها [3]؛ وحرف الجيم من الحروف الحنكية حيث تقرع بضم مقدم اللسان إلى مقدم الحنك.[4] وتدل في معانيها على الشدة والفعالية المادية ذلك نحو " جنيناه، جرّرت، دجاها.. ، وهذه الكلمات التي تدل على فعالية وأهمية هذه الليلة بالنسبة للشاعر فإنه قضى ليلة مميزة اجتمع فيها الشعر والعلم والسمر ، ومميزة لنا أننا حصلنا منها على هذه القصيدة الرائعة وتعرفنا على تراثنا الأدبي الأصيل. ومن جهة أخرى توحي إلى العظم والفخامة والضخامة والامتلاء والغلظة وذلك نحو " الجداول، بهجة، المجد، فجّرو، الجود،.."، وهذا دلالة على قوة وصلابة آل عبد اللطيف في أي مجال وضعوا فيه كخوضهم في المعارك، ودورهم السياسي وحتى في العلوم كالشعر ، ويوحي حرف الفجيم أيضا على الانفعال النفسي نحو قول ابن عمار" كما البدر يهوى منهم **بهجة** الصور"[5] وبهجة تدل على انفعال الشاعر وفرحته وهو بين أصدقائه في ليلة ممتعة أدخلت الفرح والسرور في قلبه.

---

[1] – ينظر: الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ص38.

[2] – إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص24.

[3] – ينظر: المرجع نفسه، ص25.

[4] – ينظر:المرجع نفسه، ص39.

[5] – ديوان أشعار جزائري، ص63.

2- الأصوات المهموسة:

والهمس عكس الجهر، وهو الخفي من الصوت وقد همسوا الكلام همسا والحروف المهموسة يجمعها قولك :" حثّه شخص فسكت" [1]، والحروف المهموسة هي التي لا ترتعش الأوتار الصوتية عند النطق بها فيمر الهواء من الحلق همسا أي خفيفا.[2] " فالصوت المهموس هو الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان ولا يسمع رنين حين النطق به، والمقصود بهمس الصوت هو سكون الوترين الصوتيين معه"[3]. وأما المهموس عند سيبويه فهو حرف ضعف الاعتماد من موضعه، حتى جرى النَّفس معه[4]، وقال ابن جني : "أما حروف الهمس فإن الصوت الذي يخرج معها نَفس ليس من صوت الصدر، إنما يخرج منسلا."[5]

والفرق بين الجهر والهمس نجد الحروف" المجهورة أقوى جرسا أي سمعيا، وأما الحروف المهموسة أقوى نطقا أي عضويا في مستوى المجهود العضلي"[6] فالصوت المجهور هو الذي يهتز معه الوتران الصوتيان، "في حين لا يهتز مع الصوت المهموس ولا يسمع لهما رنين حين النطق به".[7]

2-1- حرف الفاء:

هو حرف مهموس، ويتكون حرف الفاء عندما تلتقي الشفة العليا بالأسنان السفلى تاركة بينهما فراغا كافيا لمرور الهواء، فيحدث الهواء نوعا من الحفيف فجاء حرف الفاء على انه صوت

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، مج6، مادة(همس)، ص251.

[2] – الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ص43.

[3] – إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص22.

[4] – ينظر: خليل إبراهيم عطية، في البحث الصوتي عند العرب، ص40.

[5] – ابن منظور، لسان العرب، مج6، مادة(همس)، ص251.

[6] – الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ص43.

[7] – إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص22.

رخو[1]، وأن حرف الفاء" يكون أصلا وبدلا. ولا يكون زائدا مصوغا في الكلمة، فإذا كانت أصلا وقعت فاء وعينا ولاما، فالفاء نحو: فحم وفخر، والعين نحو: قفل وسفر، واللام نحو: حلف وشرُفَ"[2] والفاء إذا وقعت في أوائل الكلم غير مبنية من أصلها، " فإنها في الكلام على ثلاثة أضرب: ضرب تكون فيه للعطف والإتباع جميعا وذلك نحو قام زيد فعمرو وقيام عمر وقع عقيب والقيام هنا بلا مهلة؛ وهنا حال الفاء من أن ما بعدها يقع عقيب ما قبلها . وضرب تكون فيه للإتباع مجردا من العطف، وذلك نحو إن تحسن إلي فالله مجازيك، فهذه هنا للإتباع مجردة من معنى العطف. وضرب تكون فيه زائدة، دخولها كخروجها، والمعنى الذي تختص به هو معنى الإتباع."[3] والفاء بهذا التعريف تفيد العطف ودائما تكون للإتباع كما تكون زائدة في أحيان أخرى.

"إذا دخلت الفاء في جواب الشرط توصلا إلى المجازاة بالجملة المركبة من المبتدأ والخبر، أو اللام الذي يجوز أن يبتدئ به فالجملة نحو قولك أن تحسن إلي فالله يكافئك، لولا الفاء لم يرتبط أول الكلام بآخره"[4]. والفاء في هذا المثال تفيد العطف والربط حيث ربطت أول الكلام بآخره.

- **دلالة حرف الفاء في القصيدة:**

تموضع حرف الفاء في أماكن مختلفة من القصيدة فنجده يدل على المتابعة والوصل بين الأشطر وبين الأبيات فهو من حروف العطف التي تتم به الجملة أو الفكرة، ووجود حرف الفاء في القصيدة تنبيها للقارئ للوقوف عنده قليلا لوصول ما أراد الشاعر به أن يوصل ونجد ذلك نحو قول ابن عمار:

[1] – ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص25.
[2] – ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص259.
[3] – المصدر نفسه، ج1، ص262.
[4] – المصدر نفسه، ج1، ص264.

فَلاَ غُصْنَ إِلاَّ مِنْ رَشِيقِ قِوَامِهِ وَلاَ بَدْرَ إِلَّا مَنْ آزَرْتَهُ ظَهَر

فَيَا لَيْلَةَ الأَفْرَاحِ وَالأُنْسِ طُولِي قَلِيلاً وَيَا لَيْلَ المَسَرَّةِ فَاعْتَكِرْ[1]

فقد وظف الشاعر حرف الفاء لربط أول الكلام بآخره، ولما دل حرف الفاء على الإتباع فإنها في المثال تدل على رجاء الشاعر بطول هذه الليلة، ثم نجدها في قوله" فاعتكر" وهو ينادي هذا الليل بأن لا ينصرف لتطول ليلته المؤنسة.

2-2- حرف السين:

يتميز حرف السين بصفة الهمس، فيقول ابن جني أن حرف السين " يكون أصلا وزائدا، فإذا كان أصلا وقع فاء وعينا ولاما، فالفاء نحو سلم، والعين نحو حسن، واللام نحو جرس، أما إذا كانت زائدة ففي استفعل وما تصرف منه نحو: استخرج ومستخرج، واستقصى ويستقصي وغير ذلك".[2] وهو رخو بحيث عند النطق بها لا ينحبس الهواء انحباسا محكما فيكون مجراه ضيقا وان النفس في أثناء مروره بمخرج الصوت يحدث نوعا من الصفير[3]، ويتكون حرف السين عندما يتصل أول اللسان بأصول الثنايا بحيث يكون بينهما فراغ كاف لمرور الهاء نسمع ذلك الصفير الذي نعبر عنه بحرف السين ولهذا اصطلح عليها بالأصوات الرخوة، وحرف السين كما سماها المحدثون من الأصوات الاحتكاكية[4]، فعلى قدر نسبة الصفير في الصوت تكون رخاوته. كما يذكر الطيب البكوش أن حرف السين يقع ضمن حيز الأسنان في مجموعة سماها " بالحروف الأسنانية التي تقرع بوضع طرف اللسان على الأسنان العليا

[1] – ديوان أشعار جزائرية، ص58.

[2] – ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص211.

[3] – ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص25.

[4] – المرجع نفسه، ص25.

أو على مغارزها"[1] وحيز الأسنان عند يضم مجموعتين منها المجموعة المذكورة، والمجموعة الثانية هي الحروف ما بين الأسنان حيث تقرع بوضع طرف اللسان بين الأسنان وهي الثاء والذال والظاء.

ومن دلالة حرف السين فهو كما سبق وان ذكرت من الحروف الصفيرية، صوته المتماسك النقي يوحي بإحساس لمسي بين النعومة والملاسة، كما يوحي بإحساس بصري من الانزلاق والامتداد، وبإحساس سمعي هو أقرب إلى الصفير.[2] وهي خصائص تميز بها حرف السين من خلال المصادر التي عرفته، حيث يوحي حرف السين إذا وقع في أول الكلام إلى الحركة والسير من خلال خاصية الانزلاق والامتداد؛ كما يدل على الخفاء والاستقرار، وفي أحيان أخرى يدل وجود حرف السين على الامتداد إلى الأعلى وإلى الرقة والسلاسة، أما إذا وقع في آخر الكلام دل على الخفاء والاستقرار والظلام، كما يدل على الحركة والمسير.

ومن خلال القصيدة المدروسة نجد أن حرف **السين** تكرر حوالي مائة وثلاثة مرات، وقد تموضع في مواقع مختلفة في القصيدة كما تنوع وجوده في الكلمة فوجدناه في أول الكلمات نحو" سيف، سرور، سماء ، أسنة، سالت، سيول، سلسال، .." وهذه الكلمات التي برز فيها حرف السين في أول حرف من الكلمة والتي تدل على إحساس لمسي بين النعومة والملاسة، ويوحي إلى الحركة والامتداد من خلال كلمات "سيول، سالت"، وتدل كلمتي سرور وسماء على الهدوء والاستقرار الذي أحسه الشاعر وهو في هذا القصر، وتدل كلمة السمع على إحساس سمعي هو أقرب إلى الصفير، أما عندما وقع حرف السين في وسط الكلمات وفي آخرها نجده في الكلمات التالية" أنس، السمر، السهر، المسرة، السعادة، حسن، عرس، تبسّم.." وهي كثيرة في القصيدة والتي توحي إلى الحركة والفرح ومسير هذه الليلة التي فضّلها الشاعر عن غيرها من الاحتفالات التي تقام عند الأمراء وقد أحس الشاعر فيها بسعادة كبيرة

[1] – الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ص38.

[2] – ينظر: حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، د.ط، 1998، ص111.

وفرح شديد كما أحس بالاستقرار والهدوء هذا لان الشاعر في حالة تعبير عن أحاسيس قوية وصادقة وهو يصف القصر والليلة وبعض الأصدقاء الحاضرين.

وبهذا، ومن خلال ما سبق نستنتج أن نسبة شيوع أو كثرة الأصوات في القصيدة هي الأصوات المجهورة أكثر من المهموسة، وهذا طبيعي لأنه إذا لم تكن كذلك لفقدت القصيدة نبرها الموسيقي ورنينها الخاص بها، وهذا ما أكده إبراهيم أنيس في قوله:" فالكثرة الغالبة من الأصوات المجهورة ومن الطبيعي أن تكون كذلك وإلا فقدت اللغة عنصرها الموسيقي ورنينها الخاص الذي نميز به الكلام من الصمت والجهر، من الهمس والأسرار."[1] وبهذا فنسبة شيوع الأصوات المهموسة في الكلام لا تكاد تزيد على الخمس، في حين أن أربعة أخماس الكلام تتكون من أصوات مجهورة، وهذا ما لمحناه في القصيدة الوصفيه التي تكررت فيها حروف الجهر منها الراء، واللام، والجيم، وحروف اللين كالياء والواو، فقد أعطت هذه الحروف حركة وتناغما صوتيا جميلا أحسسناه عن طريق الشاعر وهو يصف لنا هذه الليلة البديعة التي جمعت بين جمال القصر والجمال الفكري والشعري، وأما الحروف المهموسة كالراء والسين فجاءت لتريح الشاعر وتعطيه الهدوء والسكون لكي يتمتع بهذا الجمال، ويتجلى البناء الصوتي في القصيدة من خلال انتقاء الأصوات المجهورة والمهموسة أعطى القصيدة قوة ووضوح، كما منحها الانسجام داخل وحدات الجمل ومتانة الألفاظ، كما برزت معانيها التي تجلت من خلال إحساس الشاعر بالفرح والسرور وهو في القصر، كما تجلت معاني الاعتزاز لانتمائه لوطنه الجزائر وصحبته المميزة التي تعرفنا إليها في هذه القصيدة.

[1] – إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص23.

ب- المستوى التركيبي:

1- دراسة الجمل:

تحفل كتب النحو العربي بمصطلح الجملة، فقد تردد مصطلح الجملة في الكتب المذكورة ونجد تعريفها عند الحسيني أن " الجملة هي عنصر الكلام الأساسي، إذ يحصل بوساطتها الفهم والإفهام بين مختلف المنتفعين باللغة. ويحول المنتفع مادة فكرة إلى الكلام معبّر، بوساطة الجمل، ويتكلم ويتواصل بوساطتها كذلك. واعتبر علماء الألسنية الجملة، الصورة الصغرى للكلام المقيد، أي الكلام الذي يخضع لمتطلبات اللغة ونواميسها."[1] فهي إذن الكلام الأساسي الذي يتلقاه المستمع أو القارئ فيفهم بواسطته المعنى الأساسي الذي يريده المبدع أو المرسل، فتنتج عملية الفهم والإفهام، واستيعابه للكلام المرسل يدفعه إلى الاستجابة والرد عليه بالقبول أو عدمه. كما يعرفها خليفة السيد" أنها كل كلام مفيد مستقل يحسن السكوت عليه يتركب من كلمتين أو أكثر."[2] والجملة بالمصطلح النحوي:" عبارة عن ركنين أساسين هما المبتدأ والخبر، أو الفعل والفاعل، وفي علم المعاني ركنان أيضا هما: المسند والمسند إليه."[3] فالجملة هي الكلام المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى، وبهذا " فالجملة مركب إسنادي أفاد فائدة وإن لم تكن مقصودة، فالتركيب الواقع صلة الموصول، أو نعتا، أو حالا، أو خبرا، أو مضافا إليه- يسمى جملة فقط لاشتماله على مطلق الإسناد."[4] وعلى أساس الجملة وعناصرها قسم النحاة الجملة إلى نوعين الجملة الفعلية والجملة الاسمية، وقد وظّف ابن عمار في قصيدته هذين النوعين من جمل فعلية التي جمعت مجموعة من الأغراض منها الفخر والشكوى والثناء والمدح وغيرها من

[1] – الحسيني، البنى الأسلوبية في النص الشعري، دار الحكمة، لندن، ط1، 2004، ص195.

[2] – السيد خليفة، الكافي في النحو ، قلم ابن خلدون، الإسكندرية، د.ط، د.ت، ج1، ص151.

[3] – عبد القادر محمد مابو، الوجيز في فقه اللغة العربية، تح: أحمد عبد الله فرهود، دار القلم العربي، سوريا، ط1، 1419هـ/1998م، ص117.

[4] – أحمد الهاشمي، القواعد الأساسية للغة العربية، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، د.ت، ص11.

الأغراض الأدبية التي تخص الأسلوب الخبري. أما فيما تعلق بالأسلوب الإنشائي فنجد كلا قسميه من طلبي الذي وظف فيه أساليب الأمر في قوله:(اعتكر، لاتسفر)، والاستفهام في قوله(هل يسخو الزمان بليلة؟)، والنداء في قوله(ياصبح، ياليلة)، وفي القسم الغير الطلبي في أسلوب التعجب نحو قول الشاعر(ما أبرقت) ونمثل بهذا الجدول الذي يبين تواتر الجمل الخبرية والاسمية:

جدول رقم 01: تواتر الجمل الخبرية والاسمية ودلالتها في القصيدة:

نوع الجملة	عدد الجمل	النسبة المئوية
الجملة الاسمية	16	%17.58
الجملة الخبرية	75	% 82.41
المجموع	91	%100

من خلال الجدول السابق نلاحظ أن ابن عمار وظف الجمل الخبرية أكثر من الجمل الاسمية، وذلك وحسب إحصاء الجمل بلغت الجمل الخبرية حوالي خمسة وسبعون جملة وذلك نحو قول ابن عمار:

قَطَعْنَا دُجَاهَا وَالسُّرُورُ مُنَادِمٌ نُدِيرُ كُؤُوسَ الأُنْسِ وَالسَّعْدُ قَدْ حَضَرْ[1]

وهي جملة خبرية حيث يخبرنا الشاعر كيف مضت تلك الليلة التي أحس فيها بالكثير من الفرح والسعادة؛ وأما الجمل الاسمية التي بلغت فقط حوالي ستة عشر جملة ومثال ذلك قول الشاعر:

[1] – ديوان أشعار جزائرية، ص59.

فَيَا لَيْلَةَ الأَفْرَاحِ والأُنْسِ طُولِي قَلِيلاً وَيَا لَيْلَ المَسَرَّةِ فَاعْتَكِرْ[1]

ومن خلال هذا النداء لهذه الليلة المؤنسة – وهو نداء وهمي– والشاعر يطلب منها بأن تطول قليلا لجمالها؛ وأنسه وهو بصحبة أصدقائه وأحبائه في قصر ابن عبد اللطيف، ونلاحظ من خلال هذا الجدول أن ابن عمار في حالة إخبار عن ليلة أمضاها في قصر ابن عبد اللطيف وهو يصف هذه الليلة ويصف القصر البديع، ولهذا طغت الجمل الخبرية على الجمل الاسمية.

2– الأفعال ودلالها الزمنية:

نلاحظ كثرة الأفعال في القصيدة وتنوعها من ماضي إلى مضارع، فالأمر وهذه الأفعال لها دلالة زمنية فتدل تارة على وقوع الفعل وهي الأكثر في القصيدة، وأخرى تدل على القيام بالفعل، وأفعال تدل على طلب القيام بالفعل، ومن خلال نسبة الأفعال حسب أزمنتها في القصيدة فقد توزع الفعل الماضي في القصيدة ووصل إلى ما يقارب مائة وثلاثة عشر فعلا، وكان الفعل المضارع بعده بما يقارب أربعة وأربعون فعلا، ووجدنا إحدى عشر فعلا في زمن المستقبل وهذا الجدول يبين النسب المئوية للأفعال في القصيدة:

جدول رقم 02: تواتر الأفعال في القصيدة

نوع الفعل	تواتر الفعل في القصيدة	النسبة المئوية
الفعل الماضي	113 فعلا	% 67
الفعل المضارع	44 فعلا	% 26
فعل الأمر	11 فعلا	% 06
المجموع	168 فعلا	% 100

[1] – ديوان أشعار جزائرية، ص 59.

ومن هذه العملية الإحصائية للأفعال في قصيدة ابن عمار يظهر كثرة الزمن الماضي على بقية الأزمنة الأخرى، وبنسبة أقل منه في الزمن الحاضر، وفي المقابل وجدنا قلة في استخدام زمن المستقبل، وبهذا فإن ابن عمار قد وظف هذه الأزمنة وبهذه النسب المتفاوتة ما يوحي بمجموعة من المعاني والدلالات التي يمكن استنباطها من خلال هذه الأفعال.

2-1- الفعل الماضي: وهو "ما دلّ بهيئته على زمن مضى"[1]. وقد طغى الفعل الماضي في قصيدة ابن عمار، وهذا دلالة على أن هذه الأفعال سبق وأن عاشها في الماضي، وقد جاءت هذه الأفعال في سياق قصة لحدث مضى وهذا الحدث لا يحتمل الشك لأن هذه القصة معلومة الوقوع في الزمن الماضي، فقد تحدث ابن عمار عن الليلة التي سهرها في قصر طالما كان يحلم بدخوله، وزيادة نسبة الزمن الماضي عن الأزمنة الأخرى هو ارتباط الخطاب بزمن وقع في ما مضى، وهذه بعض الأفعال ودلالتها فيما يلي:

يدل الفعل"**شاد**" على الصوت الجميل والرقيق الذي يدخل إلى الأسماع فيمتعها وهو كالمغني الذي يغني على نغم الوتر، و جاء الفعل " **فزت**" في هذه القصيدة بمعنى الظفر بالشيء والنجاح لأنه كان يتمنى رؤية القصر وزيارته والتنزه في ساحاته، فقال فيه نثرا:" فاحتللنا قصرا وما أدراك من قصر"[2] فما شاهده لم يشاهده من قبل وهو أجمل ما رأته عيناه وسمعته أذناه وأحسه قلبه.أما الفعل " **هزّ**" الذي حمل معني الاضطراب والحركة تجاه هذا القصر البديع الذي ارتجف منه بدنه واقشعر، عند رؤية هذه الأرائك والمنصات، والزرابي والفرش والأكواب المذهلة. والفعل "**جال**" وهو يدل على التموج والحركة الحريرية، وقد دل على قوة عارضة ابن عبد اللطيف الشعرية، والنثرية التي تفوق فيها على أمثاله في عصره. كما جاء الفعلان "**لاح**" و" **انهل**" على غزارة وكثرة وقوة شعر ابن ميمون، كما يدل على

[1] – محمد بن صالح العثيمين، شرح الأجرومية، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1426هـ/2005م، ص150.
[2] – ديوان أشعار جزائرية، ص57.

التألق والبروز في الشعر وفي الآداب فنعته بالبارع المتفضل. وأما الفعل" **تراءى**" أي وقف له بالمرصاد أي انه إذا حاول الأعداء فصل هذا القاضي يقف لهم النعمان وجها لوجه فيدافع عنه. وأصل الفعل "رأى" وهو معتل اللام وهو بمعنى[1]: تراءى القوم، رأى بعضهم بعضا.

2-2- الفعل المضارع: وهو ما دلّ على حاضر أو مستقبل.[2] وقد جاء الزمن الحاضر في القصيدة بنسبة متوسطة وهذا يدل على أن الشاعر وكأنه مازال في القصر فهو يشعر به وبجماله إلى جانب أصدقائه، فهو يغازل، ويبتغي، ويبلغ، ويفوق، ويعبث، ويلتقط، ويشدو، وقد ظن الشاعر أن هذه الليلة لم تكتمل بعد ومازال يعيشها، كما يدل توظيف الفعل المضارع أيضا أن الشاعر يرغب وبشدة في رجوع هذه الليلة وقضاءها في قصر بديع كقصر ابن عبد اللطيف، فجعلها حلما حاضرا فيحضرها كلما تذكرها، كما أن استخدام الفعل المضارع "وهو الزمن المناسب للتعبير عن حدوث حدث بعد عدمه وهو ما يسمى بالاستمرار التجددي ولا يفيد هذا الأخير إلا مع الفعل المضارع."[3] ومن بين أمثلة هذا الزمن نذكر:

يدل الفعل "**أغازل**" على مدى إعجاب الشاعر بهذا القصر حتى بدأ بمغازلة كل ركن من أركانه كشرفاته، وروضاته ومساحاته وغير ذلك من أركان القصر والغزل هنا لا يحدث مرة واحة وإنما يكون في أي وقت تذكر فيها هذا القصر البديع. وجاء الفعل"**يبلغ**" وقد جمع هذا الفعل مع الفعل" **يبتغي**" وهو يدل على بلوغ الشيء، أي ان هذا القاضي الذي كان يريد أن يصل إلى حلمه وأمنيته بأن يكون

[1] – أنطوان الدحداح، معجم تصريف الأفعال العربية، مر: جورج متري، مكتبة لبنان، بيروت، د.ط، 1991، ص318.

[2] – محمد بن صالح العثيمين، شرح الأجرومية، ص150.

[3] – عبد المتعال الصعيدي، البلاغة العالية – علم المعاني–، تح: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 1411هـ/1991م، ص57.

في المستقبل من اكبر القضاة وقد سرى على هذه الأمنية فظفر بها وسهر الليالي إلى أن بلغ إلى مناه وفاز بثناء وتقدير شاعرنا ابن عمار في هذا البيت:

كَمَحْمُودِهِمْ قَاضِي القُضَاةَ أَبِيُّ الثَّنَاءِ تَوَطَى عَلَى مَتْنِ القَضَاءِ لَهُ المَقَرْ

سَرِيٌ سَرَى نَحْوَ العُلَا يَبْتَغِي المُنَا وَأَسْهَرَ طَرْفَ الحَزْمِ كَيْ يَبْلُغَ الوَطَرْ.[1]

أما الفعل "**يفوق**" فهو يظهر درجة ابن ميمون الشعرية التي فاق بها على علماء عصره ويدل على قوة وبراعة علمه وكل مجال من العلوم التي خاضها. كما أن الفعل"**يعبث**" **يدل** على الكيفية التي يقرض بها الشعر فهي طريقة سحرية في قل الشعر ولهذا قال يعبث بالشعر العبور إذا شعر، والفعل" **نلتقط**" أي بلوغ الشيء والظفر به، نأخذ منه كل الكلام الجميل الممتع والمفيد فقد شبه هذه الألفاظ كالعقد الناصع الذي يحمل الدرر، ويدل الفعل" **تنهمر**" على الحركة والسرعة في سيلان الدم وهو دلالة على قوة آل عبد اللطيف وشجاعتهم في خوض المعارك. ووظف الفعل" **يشدو**" وهو الطائر الذي يزقزق فهو كالمغني الذي يعطينا هذا النغم الجميل والمريح الذي يبهر السمع ويعطيه المتعة والراحة.

2-3 – فعل الأمر: وهو ما دلّ على مستقبل.[2] قلّ هذا الزمن في قصيدة ابن عمار، ذلك أن القصيدة وأحداثها مرتبطة بزمن مضى ولا علاقة له بالمستقبل، إلا في بعض المواضع التي استعمل فيها زمن المستقبل، في مواضع تتعلق بخطاب الشاعر المباشر مثلا حين خاطب الليل، فابن عمار يخبرنا عن هذا القصر وهذه الليلة المؤنسة، هذه الليلة التي هي عبارة عن حدث تاريخي بالنسبة للشاعر ومن أمثلة الأفعال التي تتعلق بهذا الزمن:

[1] – ديوان أشعار جزائرية، ص62.

[2] – محمد بن صالح العثيمين، شرح الأجرومية، ص150.

نجد الفعل "**طولي**" أن الشاعر يخاطب هذه الليلة المؤنسة يأمرها ويترجاها بأن تطول قليلا لما أحسه من راحة وأنس وهو بجانب أصدقائه تحت سقف هذا القصر.وفي قوله:"**لا تسفر**" هذا فعل أمر بصيغة فعل مضارع مجزوم بلام الأمر وهو هنا ينفي حصول الفعل "تسفر" ومن خلال هذا الفعل نلاحظ أن الشاعر وأصدقائه سهروا ليلة كاملة حتى الصباح وهو لا يريد بزوغ الصبح لتطول هذه الليلة المؤنسة. وجاء الفعل "**أحبب**" بصيغة الأمر وهو يخاطب السامع لهذه القصيدة بان يحبها كما أحبها وتمنى بان يأتي الزمان بليلة كهذه الليلة، وهو يقصد هذه الليلة التي قضاها في قرض الشعر والاستمتاع بالخطب النيرة والأحاديث الشيقة، وبالفعل أحببناها وتمنينا لو أننا حضرنا هذه الجمعة المؤنسة.

3- المعرفة والنكرة: ينقسم الاسم باعتبار دلالته على معين وغيره إلى قسمين: معرفة ونكرة.

3-1- المعرفة: وهي "كل لفظ دل على معيِّن"[1]، ومقام التعريف يكون حيث يطلب تعيين المقصود في الكلام.[2] وأقسامه ستة وهذه الأقسام التي على تنوعها تتنوع الدلالات في الكلام و هذه الأقسام هي: الاسم المضمر أي الضمير، الاسم المبهم، والمعرف ب" أل"، والمعرف بالعلمية، والمعرف بالإضافة.[3] ومن خلال قصيدة ابن عمار وجدت أغلب هذه الأقسام ومنها نذكر:

1- الضمير: وذلك نحو قول ابن عمار:

هُمْ أَوْثَقُوا لِلْمَجْدِ أَوْثَقَ عُرْوَةً كَمَا فَجَّرُوا لِلْجُودِ بَحْرًا بِهِمْ زَخَرْ

وَهُمْ أَسَّسُوا لِلْمُلْكِ أَشْمَخَ قُبَّةً وَسَاسُوهُ تَدْبِيرًا بِهِ بَدَأَ الدُّبَرْ

[1] - عبد الهادي الفضلي، مختصر النحو، دار الشروق، جدة، ط07، 1400هـ/1980م، ص43.

[2] - عبد المتعال الصعيدي، البلاغة العالية – علم المعاني-، ص69.

[3] -ينظر: أيمن أمين عبد الغني، الكافي في شرح الأجرومية، مر: تمام حسان، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، د.ط، 2011م، ص334.

وَهُمْ لِرَفِيعِ المُلْكِ رُوحٌ كَماهُمْ بِوَجْنَتِهِ خَالٍ وَمُقْلَتِهِ حُوَرْ

فَهَا أَنْتَ وَالقَصْرُ الرَّفِيعُ وَهَا أَنَا لِوَاءٌ ثُنَائِي فَوْقَ هَامَتِكَ اِنْتَشَرْ[1]

2- **المعرف بـ"أل"** : ومن ذلك نحو قول ابن عمار:

وَفُزْتُ بِمَنْ أَهْوَى عَلَى صَوْلَةِ النَّوَى فَنَزَهْتُ فِيهِ القَلْبَ وَالسَّمْعَ وَالبَصَرِ

وَبِتُّ وَلِلْبَدْرِ المُنِيرِ تَضَاؤُلٌ أُغَازِلُ مِنْهُ الحِقْفَ وَالغُصْنَ وَالقَمَرِ[2]

3- المعرف عن طريق العلمية: ومن ذلك قول ابن عمار:

كَمَرْأَى اِبْنُ مَيْمُونُ إِذَا لَاحَ فِي المَلَا أَرَاكَ المَحْيَا الطَلْقُ وَالمَنْظَرُ الأَغَرْ

فَفَخْرًا وَزِيرَ العَصْرِ أَحْمَدَ إِنَّمَا حَوَيْتَ الذِي لَمْ يَحْوِهِ مَلِكٌ غَبَرْ

أَسَاءَ الذِي قَالَ اِبْنُ عَبَّادَ اِنْطَوَى عَلَيْهِ الرَّدَى أَوْ شَادَ مَهْرَ قَدْ اِنْدَثَرْ

وَأَنَّ اِبْنَ عَمَارَ تَطَوَّقَ بَطْشَهُ وَسَوَّغَهُ كَأْسَ الرَدَى بَدَلَ السَّكَرْ[3]

والأسماء المعرفة عن طريق العلمية في الأبيات السابقة نحو(ابن ميمون، أحمد، ابن عباد، ابن عمار)، فقد ذكر هذه الأعلام في صدر الأبيات. فهو تارة يفخر بنفسه وبأصدقائه كابن ميمون واحمد، ويدافع تارة أخرى، كما وظف كذلك في القصيدة أسماء لبلدان عربية منها(مصر، الجزائر، حمص، بغداد) وقد وظفها الشاعر حين افتخر ببلاده التي برز فيها أمراء وعلماء اشتهروا حتى شبههم الشاعر ببعض الحكام والعلماء في هذه البلدان .

[1] – ديوان أشعار جزائرية، ص63.

[2] – المصدر نفسه، ص59.

[3] – ديوان أشعار جزائرية ، ص63.

4- المعرف بالإضافة: وهذا نحو قول ابن عمار:

إمام الهدي **مفتي** الأنام و**شيخهم** **فتى** الرأي والتدبير والعلم والنظر[1]

فكلمة" إمام" معرفة لأنها مضافة إلى كلمة الهدي المعرفة، وكلمة" مفتي" معرفة لأنها أضيفت إلى كلمة "الأنام" المعرفة، وكلمة فتى معرفة لأنها أضيفت إلى الكلمة المعرفة " الرأي". أما كلمة شيخهم فهي معرفة لأنها مضافة إلى الضمير "هم".

5- **الاسم المبهم:** ونجد هذا القسم نحو قول ابن عمار:

أما و**الذي** أنشاه يستبعد الورى ويختلس الألباب ما **هو** بالبشر[2]

ونلاحظ من الأسماء المعرفة في هذا البيت الاسم الموصول نحو "الذي"، واسم الإشارة نحو "هو".

3-2- النكرة: وهي" الاسم الدال على غير معين"[3]. أو هي حسب تعريف ابن هشام: "ما شاع في جنس موجود، كرجل، أو مقدر كشمس".[4] كما عرفها أيمن أمين :" أنها كل اسم يدلّ على عموم، يطلق على كل أفراد جنسه، ولا يدل على واحد بعينه."[5] وهذا عندما نطلق كلمة "امرأة" فهي تطلق على كل جنس النساء ولا نخص واحدة بعينها فمثلا كلمة "امرأة" تمثل سعاد، وسيرين، وهبة، وساجدة وكل النساء فهي نكرة، والأسماء النكرة هي جسر من المعاني المختلفة والمتنوعة، ذات

[1] – المصدر نفسه ، ص62.

[2] – ديوان أشعار جزائرية، ص60.

[3] – عبد الهادي الفضلي، مختصر النحو، ص43.

[4] – ابن هشام، شرح قطر الندى وبل الصدى، ذوي القربى، ط5، 1432، ص128.

[5] – أيمن أمين عبد الغني، الكافي في شرح الأجرومية، ص355.

الدلالات التي توحي بها في كل موقع وقعت فيه، وقد وجدت وبكثرة في قصيدة ابن عمار هذه ونمثل بذلك في قوله:

وَلاَ **شَمْسٌ** إِلاَّ مِنْ سَمَاءِ كُؤُوسِنَا ولاَ **قَمَرٌ** إِلاَّ مُحَيَّا **رَشَا أَغَر**

وَلاَ **رَوْضَةٌ غَنَاءٌ** إِلاَّ **مَطَارِفٌ** وَشَتْهَا لَنَا **صَنْعَاءُ** لاَ رَاحَةُ المِطَرَ

وَلاَ **طَائِرٌ** يَشْدُو عَلَى **غُصْنِ أَيْكَةٍ** سِوَى **شَاذِنْ** شَادَ عَلَى نَغَمِ الوَتَرِ[1]

4- التقديم والتأخير: إن الترتيب العام لأجزاء الجملة العربية هو تتابع أجزائها، فالتركيب الاسمي للجملة يقوم على تقديم المبتدأ على الخبر، أما التركيب الفعلي فيتقدم الفعل ثم الفاعل ويتلو الفاعل المفعول به، بعد ذلك تتوالى الأجزاء الأخرى. وهذا الباب الذي عدّه عبد القاهر الجرجاني من أهم الأبواب لكثرة فوائده فقال فيه:" هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية..، فلا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدّم فيه شيء وحول اللفظ، من مكان إلى مكان."[2] وهو بلاغة التقديم والتأخير لما في هذا الباب من فوائد في الكلام خاصة إذا تعلق الأمر في الشعر.

4- 1- تقديم الخبر:

يتقدم الخبر على المبتدأ لأغراض من أهمها، التخصيص، وذلك لإزالة الوهم من ذهن السامع إذا كان يظن غير الخبر، أو لغرض الافتخار كقولهم "تميمي أنا" والتي تدل على الفخر بنفسه وبقبيلته؛ أما بقوله" أنا تميمي" فالمتكلم يعرف بنفسه، وقد يكون تقديم الخبر على المبتدأ لغرض التفاؤل أو التشاؤم

[1] - ديوان أشعار جزائرية، ص59.

[2] - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: فايز الداية ومحمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، ط1، 1428هـ/2008م، ص143.

نحو ناجح محمد، ومقتول إبراهيم.[1] هذا من خلال أغراض تقديم الخبر على المبتدأ، أما تقديمه وجوبا في مواضع وهي: إذا كان المبتدأ نكرة لا مصوغ منها مثل: عندك رجل. فرجل مبتدأ مؤخر. وعلى المبتدأ المشتمل على ضمير يعود على شيء في الخبر نحو " في الدار صاحبها" فصاحب مبتدأ مؤخر، وشبه الجملة خبر مقدم. ويتقدم الخبر كذلك إذا كان مستحق الصدارة كوجود الاستفهام نحو متى الامتحان؟ فمتى خبر مقدم، والامتحان مبتدأ مؤخر. ثم يتقدم الخبر أيضا إذا كان المبتدأ محصورا مثل: "ما في الدار إلا علي" فعلي مبتدأ مؤخر، وشبه الجملة خبر مقدم [2]ونجد من هذه المواضع في القصيد نحو قول ابن عمار:

فَمِنْ فِكْرِهِ الوَقَادُ نَقْتَبِسُ الذَّكَا وَمِنْ لَفْظِهِ السِلْسَالُ نَلْتَقِطُ الدُرَرْ

رَيَاحِينُنَا صَدْغَاهُ وَالوَرْدُ خَدَّهُ وَمِنْ ثَغْرِهِ البَرَّاقِ نَقْتَطِفُ الزَّهَر

وَنَاهِيكَ مِنْ بَحْرٍ تَدَفَّقَ حِفْظَهُ بِمَوْجٍ مِنَ الأَخْبَارِ وَالعِلْمِ وَالأَثَرْ[3]

إِلَىَ اللهِ أَشْكُو مَا جَنَتْ لَيْلَةُ اللِّقَا عَلَى قَلْبِي المَشْغُوفِ مِنْ شِدَّةِ القَصَرْ

فقد تقدم الخبر من خلال البيت وهو(**من فكره الوقاد**) على المبتدأ الذي هو جملة فعلية نحو (نقتبس)، وتقدير الكلام نقتبس من فكره الوقاد الذكا، وتقدم هنا لغرض التخصيص حيث خص قدرة وبلاغة احمد ابن عبد اللطيف في مجال العلم والأدب.

[1] – ينظر: محمد علي أبو العباس، الإعراب الميسر– دراسة في القواعد والمعاني والإعراب تجمع بين الأصالة والمعاصرة، دار الطلائع، القاهرة، د.ط، د.ت، ص27.

[2] – ينظر: محمد علي أبو العباس، الإعراب الميسر– دراسة في القواعد والمعاني والإعراب تجمع بين الأصالة والمعاصرة، ص27. ينظر أيضا ابن هشام، شرح قطر الندى وبل الصدى، ص168.

[3] – ديوان أشعار جزائرية، ص60.

وفي البيت التالي نلاحظ المبتدأ في الجملة الفعلية (**تدفق حفظه**) وهو مؤخر لاتصاله بضمير الهاء العائد على (البحر) وشبه الجملة (من بحر) خبر مقدم ليفيد كذلك الاختصاص لما تميز به من غزارة وتشبع ثقافته الأدبية والعلمية.

أما في البيت الأخير الذي ورد فيه الخبر أيضا جارا ومجرور، الذي أفاد التفاؤل وشغف الشاعر وحبه لهذه الليلة التي أحب فيها هذا القصر وهذه السهرة التي أسعدته.

من خلال ورود الخبر محصورا في المبتدأ بالأداة (إلا) قول ابن عمار وهو يشبه أبو زيد بالنجم لتألقه العلمي والأدبي:

بِهِ يُهْتَدَي أَوْ يُسْتَضَاءُ وَيُسْتَقَى فَمَا هُوَ إِلَّا النَّجْمُ بِالفُلْكِ اِسْتَقَرْ[1]

وقد جاء هذا الحصر ليبرز مكان كاتب آل عبد اللطيف العلمية التي وصل بها الى أعلى المراتب ولهذا شبهه الشاعر بالنجم الثاقب لفطنته وذكائه.

4- 2- تقديم الفاعل: يتقدم الفاعل على عامله إذا كان مبتدأ [2] نحو خالد حضر، ومثاله في القصيدة كقول ابن عمار:

مُعْتَقَةٌ صَهْبَاءُ تُعْزِي لِرِيقِهِ وَمُنْطِقَةٌ لاَ لِلدَّنَانِ وَلاَ السَّكَرَ

مُحَمَدُنَا رَاوِي حَدِيثَ مُحَمَّدٍ وَنَاظِمٌ ذَاكَ العِقْدَ مِنْ بَعْدِ مَا انْتَثَرَ

خَطِيبٌ يَفُوقُ اِبْنَ الخَطِيبَ بَلاَغَةً وَيُحْتَبِسُ البَصْرِيُّ مِنْ وَعْظِهِ الحَصْرَ

سِرِّيٌ سَرَى نَحْوَ العُلاَ يَبْتَغِي المُنَا وَأَسْهَرَ طَرْفَ الحَزْمَ كَيْ يَبْلُغَ الوَطَرَ[3]

[1] – ديوان أشعار جزائرية، ص62.

[2] – المصدر نفسه، ص63.

[3] – نفسه، ص62.

وفي الأبيات السابقة نجد تقديم الفاعل على عامله، لأنه وقع مبتدأ وذلك نحو(معتقة، محمدنا، خطيب، سري). وقدم الفاعل في هذه الأبيات لأهميته ولتسليط الضوء عليه، وقد أفاد التخصيص تارة وللافتخار تارة أخرى بابن عبد اللطيف الذي تفوق في العلوم كرواية الحديث والخطابة وغيرها.

4- 3- تقديم المفعول به على الفاعل:

يتقدم المفعول على الفاعل وجوبا في ثلاثة مواضع، **أولها** إذا كان الفاعل محصورا بإنما نحو(إنما هذب الناس الدين القويم)، أو محصورا بإلا نحو (ما هذّب الناس إلا الدينُ القويمُ). وفي الموضع **الثاني** عندما يكون المفعول ضميرا متصلا، والفاعل اسما ظاهرا نحو (ضربني الأستاذ)، أما في **الثالث** إذا اتصل بالفاعل ضمير يعود إلى المفعول نحو (كافأ التلميذ أستاذه).[1] ويكون غرض التقديم في هذا العنصر هو القصر على المتقدم كما تكون فيه العناية بالمتقدم والاهتمام به. ومن هذه المواضع ما وجدناه من خلال قول ابن عمار:

فَمَا إِلْتَحَفَتْ شَمْسُ الأَصِيلَ بِجُنْحِهَا إِلَى أَنْ بَدَا لِلْصُبْحِ نُورٌ قَدْ اِنْتَشَرَ

كَانَا بِهَا وَالمَلِكُ يَحْمِيهِ رَأْيُهُمْ بِبَغْدَادِ لاَ جُورًا نَخَافُ وَلاَ أَشَرَ[2]

ونجد في هذا البيت تقديم المفعول به وهو أداة الشرط"ما" على العامل (التحفت) لان للشرط الصدارة في الكلام. أما في البيت التالي نجد تقديم المفعول به في (يحميه) وقد جاء ضميرا متصلا، والفاعل اسما ظاهرا وهو (رأي)، فالحماية اقتصرت على الملك من خلال رأيهم الذي بدوره يحمي به رعيته في أرض جمعت بينهم هي أرض الجزائر.

[1] – ينظر: أحمد الهاشمي، القواعد الأساسية للغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت، ص118.

[2] – ديوان أشعار جزائرية، ص61.

ثالثا– المستوى التصويري:

إن علم البيان حسب ما اصطلح عليه البيانيين، "هو العلم الذي يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه."[1] ومنه وجب على الدارس أن يكون عارفا للقواعد والضوابط والقوانين التي يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، كقواعد التشبيه، أو المجاز، أو الاستعارة، وبهذا يستطيع تطبيق هذه الضوابط عل النصوص الإبداعية.

وقد عرفه الجاحظ فقال:" المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم، والمختلجة في نفوسهم، مستورة خفية، وبعيدة وحشية.. وإنما يحي تلك المعاني ذكرهم لها، وإخبارهم عنها واستعمالهم إياها. وهذه الخصال هي التي تقربها من الفهم، وتجليها للعقل، فتجعل الخفي منها ظاهرا، والبعيد قريبا، وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة، وحسن الاختصار، ودقة المدخل يكون إظهار المعنى."[2] وعليه فإن علم البيان بوسائله وطرقه المختلفة والمتعددة نستطيع أن نعبر عما يختلج في أنفسنا فنوصلها بمختلف الأساليب، كالتشبيه والمجاز والاستعارة والكناية وغيرها من الأساليب البيانية المعروفة، وأن علم البيان اسم جامع لكل شيءٍ كشف لك قناع المعنى، لأن الغاية في ذلك هو الفهم والإفهام.

التراكيب المجازية: وهي كما يعرفها الجرجاني بأنها :" أصول كبيرة، كأن جلّ محاسن الكلام، وإن لم نقل كلها متفرعة عنها، وراجعة إليها، وكأنها أقطاب تدور عليها المعاني في متصرفاتها، وأقطار تحيط بها جهاتها."[3]. والمطلع على كلام العرب منثوره ومنظومه، وما يعرفه من علم البيان، فقد يعبر

[1]– بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البيان –دراسة تحليلية لمسائل البيان–، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 1436هـ/2015م، ص15.

[2]– الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1418هـ/1998م، ج1، ص75.

[3]– عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص27.

عما يختلج في نفسه من المعاني فيجد ما هو أليق بمقصده واقرب إلى مطلبه من فنون القول وطرق الكلام، ومن فنون القول وتعدد الكلام نجد التشبيه، والكناية، والاستعارة.

1- التركيب المجازي بالتشبيه:

التشبيه في اللغة" التمثيل، أشبه الشيءُ الشيءَ : ماثله"[1]، وشبهت الشيء بالشيء أقمته مقامه لما بينهما من الصفة المشتركة، وقد عرف أبو هلال العسكري التشبيه في كتابه الصناعتين :" هو الوصف بأن احد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه، ناب التشبيه منابه أو لم ينب، وقد جاء في الشعر وسائر الكلام بغير أداة التشبيه."[2] ويصح تشبيه الشيء بالشيء جملة، وإن شابهه من وجه واحد نحو وجهك مثل الشمس، ومثل البدر. وإن لم يكن مثلها ففي ضيائها وعلوها. ولو كان التشبيه يشمل جميع الصفات لكان المشبه نفسه ولهذا فالتشبيه هو أن تشبه جزء من الشيء.

وفائدة التشبيه فقال:" والتشبيه يزيد في المعنى وضوحا ويكسبه تأكيدا؛ ولهذا ما أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه، ولم يستغن احد منهم عنه."[3] لأنه يزيد في المعنى الوضوح، فيقربه أكثر ويسهل وصوله إلى ذهن متلقيه، ولهذا اعتبره أبو الحسين إسحاق :" من أشرف كلام العرب، وفيه تكون الفطنة والبراعة عندهم، وكلما كان المشبه منهم في تشبيه ألطف كان بالشعر أعرف، وكلما كان إلى المعنى أسبق كان بالحذق أليق."[4] فقد جعله من أشرف الكلام وأحسنه، فيبرز جماله وأهميته ووقعه

[1] – ابن منظور، لسان العرب، ج13، مادة(شبه)، ص503.

[2] – أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص245.

[3] – المصدر نفسه، ص249.

[4] – أبي الحسين إسحاق الكاتب، البرهان في وجوه البيان، تح:حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، القاهرة، د.ط، د.ت، ص107.

في الشعر أكثر من غيره، وخاصة إذا تعلق بالتشبيه في المعاني، كما جعل العلماء أن من أهم نقاط جودة الشعر هو الإصابة في التشبيه.

ومن أوجه التشبيه أن " يكون في الهيئة، وقد يكون في المعنى، وانه قد يقع تارة بالصورة والصفة، وأخرى بالحال والطريقة"[1]، وهو تشبيه الأشياء في ظواهرها وألوانها ومقدارها،كما يكون في مجموعة من الصفات والأحوال. "هذه العلاقة قد تستند إلى مشابهة حسية، وقد تستند في الحكم أو المقتضى الذهني، الذي يربط بين الطرفين المقارنيين."[2] لان العلاقة التي تربط بينهما في الأصل هي علاقة مقارنة، يكون سبب استعماله اختصارا للكلام وتقريبا للمعنى.

ومن خلال ما سبق في تعريف التشبيه وأوجهه، فإنه من الألوان البلاغية التي يستعين بها الكاتب لنقل أفكاره بدقة ووضوح، ومن العناصر التي عرف بها العرب في أشعارهم وكلامهم وخطبهم، بحيث استعانوا به لرسم صورهم وإبراز تلك المعاني العميقة التي تميزوا بها، والتشبيه بيان شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو مقدرة، يقرّب بين المشبه والمشبه به في وجه الشبه." [3]ومن هذا التعريف يبنى التشبيه على أركان منها يمكن الاستغناء عليه، ومنها لا يمكن.

وأركان التشبيه هي: المشبه، والمشبه به، وأداة التشبيه، ووجه الشبه، ومن الأركان التي يمكن الاستغناء عنه هو الأداة، ووجه الشبه وهذا لأنهما معلومان للنفس، فلا تجد صعوبة في التعرف عليهما فمثلا نقول" علي كالأسد في الشجاعة فإذا استغنيت عن الأداة ووجه الشبه تقول: "علي أسد " وهذا ما سمي بالتشبيه البليغ وهو الذي حذفت منه الأداة ووجه الشبه، أما الركنان الآخران وهما المشبه،

[1] – جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1992، ص172.

[2] – المرجع نفسه، ص172.

[3] – عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، 1405هـ/1985م، ص62.

والمشبه به فلا يمكن الاستغناء عنهما في التشبيه، فإذا حذفا أحدهما فلا يمكن أن نسميه تشبيها.[1] وهو بهذا يصبح شكلا آخر من أشكال الكلام وفنونه كالاستعارة وغيرها.والتشبيه في قصيدة ابن عمار موجود في بعض الأبيات قوله:" الورد خدّه"، وهذا التشبيه الذي نسميه بالتشبيه البليغ حيث حذفت في الأداة ووجه الشبه، وتقدير الكلام نحو" والخد في لونه كالورد"، وقد شبه الخد بالورد في البياض المشرب بحمرة، وهذا يظهر جمال احمد الروحي الذي يعكس جماله الخارجي. ونلاحظ مجموعة من التشبيهات في القصيدة وهي متبوعة بالشرح، وكانت في أغراض أهمها غرض المدح لآل عبد اللطيف وغيرهم من الأصدقاء وقد بنى ابن عمار تشبيهاته وصوره على غرضين أساسيين هما المدح والفخر، ومنه يمكننا تصنيف الوان التشبيهات من خلال :

أ- التشبيه الحسي:

1- صور التشبيه من ناحية الهيئة في الشكل واللون:

كَأَنِّي وَشِعْرِي وَالوَزِيرَ وَذِكْرَهُ حَمَامُ اللِّوَى وَالشَدْوَ وَالرَّوْضَ وَالزَّهَرْ[2]

وهذه الصورة البيانية التي تبين التشبيه بين عناصر مختلفة، وهي انه شبه نفسه وشعره والوزير، تارة بحمام اللِّوى الذي يستطيع بمنقاره الولوج إلى أي مكان في جسمه، وهكذا هؤلاء التابعين للأمير يظلون يحيطون به لحمايته ويلبون كل ما يحتاج إليه، وتارة يشبه هذه العناصر بالشدو، وتارة بالروض، وتارة بالزهر، وهذا من أحسن أنواع التشبيه حيث يشبه نفسه وشعره والوزير بثلاث تشبيهات متتابعة.

بِهِ يُهْتَدَى أَوْ يُسْتَضَاءُ وَيُسْتَقَى فَمَا هُوَ إِلاَّ النَّجْمُ بِالفُلْكِ اِسْتَقَرِ

[1] – ينظر: فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها- علم البيان والبديع-، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، ط10، 2005، ص17.

[2] – ديوان أشعار جزائرية، ص63.

أما من خلال هذه الصورة التي تظهر تشبيها بشيئين محسوسين هما كاتب أحمد بن عبد اللطيف وقد شبهه بالنجم الذي نستطيع أن نراه ونتمتع بوجوده في فترة من فترات الهدوء والسكينة، نهتدي به ونستقي منه هذه المكانة والجمال والتألق، وهكذا فهو القدوة وقد سطع بحكمه وعلمه وسداد رأيه، نهتدي به ويضيء النور الذي طالما كان حلما لكل جزائري عانى من تسلط الحكام، فقد كان هؤلاء المحيطون بهذا الحاكم العظيم رجال أفذاذ يعتمد عليهم في كل كبيرة وصغيرة ولهذا عرف بأنه كان حاكما عادلا، فكان كالنجم في علوه وضيائه، ومكانه عالي باق ومستقر.

ب- التشبيه المعنوي:

1- صور التشبيه من ناحية الجمع بين الحسي والمعنوي:

كَجُودِ بَنِي عَبْدِ اللَّطِيفِ إِذَا هَمَى فَمَا أَنْ يُقَاسُ بِالجَدَاوِلِ وَالنَّهَرِ

والشاعر من خلال هذا البيت يظهر تشبيها بين شيئين مختلفين، فالجود الذي يعد من الصفات الجليلة التي تحمل ما ينبغي من صاحبها على الخير والعطاء وكل ما تحمله هذه الصفة من معاني الكرم والسخاء والسماحة، وقد خصها الشاعر لأحمد بن عبد اللطيف، وذلك بتشبيهها بعطاء وسخاء الجداول والأنهار وما تحمله من هذه المعاني المتميزة في حياة الإنسان وحتى الحيوان، وقد ظهر هذا الكرم والسخاء من خلال المأدبة التي جمع فيها ابن عبد اللطيف مجموعة من الأصدقاء منهم شاعرنا ابن عمار.

قُلُوبٌ كَصَمِّ الصَخْرِ تَقْتَحِمُ الوَغَى وَإِنْ شَاهَدُوا المِسْكِينَ فَهْيَ صَبَا سَحَرْ

وهذه الصورة التي جعلها الشاعر عبارة عن رد فعل لممدوحيه أمام مواجهة الأعداء، والتشبيه وقع بين شيئين مختلفين هما "القلب، وصم الصخر" وقد شبه قلوب آل عبد اللطيف كصم الصخر في شدّتها وصلابتها فهي تقتحم أحشاء العدو وتفتك به في المعارك، وفي صورة أخرى اعتبر هذه القلوب

كالنسيم الساحر، وهي تشفق ببراءتها وحبها على المساكين والفقراء، هذا النسيم الذي ندركه بإحساسنا به، والتشبيه الذي يجمع بين القلب والنسيم هو الإحساس. وفي صورة أخرى يقول ابن عمار:

طِبَاعٌ لَهُ كَالرَّوْضِ دَبَّجَهُ النَّدَى وَبِشْرٌ كَمَا هَبَّ النَسِيمُ مَعَ السِّحْرِ

والشاعر في هذه الصورة يجمع بين طباع أحمد بين عبد اللطيف التي تميزت بالسماحة والأخلاق العالية المتميزة، وهي طباع قابلها بصورة حسية مدركة الحواس وهي الصورة النقية التي نراها ونتمتع بطبيعتها الطاهرة هي صورة الرّوض الذي زينه ندى المطر ، فقد زينت نفسه تلك الطباع التي تظهر جمال احمد بن عبد اللطيف الروحي، كما أن بشاشته وروحه المرحة هي كالنسيم الذي نحس به ويمضي من حولك فيسحرك. ويواصل ابن عمار هذا المدح الجميل والصور الرائعة التي زين بها قصيدته وهو يقول:

أَدِيبٌ أَرِيبٌ بَارِعٌ مُتَفَضِّلٌ تَبَحَّرَ فِي الآدَابِ وَانْهَلَّ كَالْمَطَرِ[1]

وأما في البيت التالي فصورته تتجلى بالبراعة العالية في الشعر، وكثرة هذا الأدب وتنوعه فهو يتساقط بسرعة قويه كسرعة سقوط المطر الذي يصل إلى أي مكان، ولهذا فالشاعر يفضله عن غيره من الأدباء لقدرته وبراعته لكل مجال أدبي خاض فيه.وهذه الصورة تبين التشبيه بين كثرة أدب ابن ميمون والتي أشار إليها بالتبحر في الآداب وهي صورة ذهنية تكمن أهميتها بكثرة أدبه وما نظفر به من كثرة العلوم وتنوعها في مختلف كتاباته، وبين سرعة سقوط المطر وهي صورة حسية مدركة.

لَنَا مِنْ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ مُحَمَّدٌ وَمِنْهُمْ رَشِيدٍ أَوْ بَرَامِكَةُ غُرَرِ

[1] – ديوان أشعار جزائرية، قصيدة وصف القصر لابن عمار، ص58.

حيث شبه الشاعر احمد باشا بهارون الرشيد، وآل عبد اللطيف بالبرامكة وهذا لحسن سيرة احمد باشا وحكمه السليم والسّوي، فهو بسيرته الطيبة وحكمه السديد كهارون الرشيد الذي أبهر الناس في زمنه وفي فترة حكمه وكان سببا في قوة دولته وازدهار حضارتها، والشاعر من خلال صورته يحاول أن يبرز ممدوحه بصور مشرقة تحمل معاني التقدير والإعجاب به وبعائلته.

بُدُورُ لُيُوثٌ بَهْجَةً وَمَهَابَةً رِيَاضُ حِيَاضُ نَفْحَةً وَنَدًا اِنْهَمَر

وفي هذا البيت الذي يتحدث الشاعر عن آل عبد اللطيف فقال بدور ليوث بهجة ومهابة، فشبههم بالبدر في بهجته وجماله، وشبههم بالليوث في المهابة فشجاعتهم وقوتهم يهابها كل من ترصد لهم، وهذا التمثيل يظهر فيه الشاعر بين شكلين متقابلين ومختلفين، فقد شبه ممدوحه بالبدر الذي استعار له صفة البهجة، هي بهجة تلحق كل من يظهر له هذا البدر. كما شبه ممدوحه بالليث وما يحمله من صفات المهابة والشجاعة وفي التشبيه الثالث وقد شبههم بالرياض في نفحتها ونسيمها النقي الساحر.

ومن بلاغة التشبيه "أن يشبه الشيء بما هو أكبر منه وأعظم، لأن التشبيه يعمد إليه إلا لضرب من المبالغة، فإما أن يكون مدحا أو ذما أو بيانا وإيضاحا، ولا يخرج عن هذه المعاني الثلاثة."[1] وقد ظهر من خلال قصيد ابن عمار وكان من بلاغة تشبيهاته أغراض حاول من خلالها إظهار ممدوحيه في أعلى المراتب فشبهها بالنجم والرياض، وبالحمام وكلها تشبيهات تدل على عظمة الممدوح وما يكنه له من إعجاب وتقدير، وهذه الأنواع هي في الواقع متباعدة ومختلفة فهذه الأنواع كالنجم ، والروض والحمام، والقمر وهي من عالم الجماد؛ منحها الشاعر صفة الحياة فشبهها بالإنسان الذي يحس وما

[1] – عبد العزيز عتيق، علم البيان، ص119.

يحمل من صفات الكرم، والحب، والشجاعة وما يجمع هذه الأنواع هو الحياة، وكان من جهة أخرى يظهر تشبيهاته لمدح ممدوحه، وفي أوجه أخرى يبالغ فيها وهذا لإعلاء مكانة ممدوحه.

2- التركيب المجازي بالاستعارة:

تعتبر الاستعارة من أهم ألوان التعبير المجازي، وهي عند أبو هلال العسكري:" نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين العرض الذي يبرز فيه، وهذه الأوصاف موجودة في الاستعارة المصيبة، ولولا أن الاستعارة المصيبة تتضمن مالا تتضمنه الحقيقة؛ من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى منها استعمالا."[1] فهي إذن رفع عبارة ما وتحويلها من مكان إلى مكان آخر، وذلك لغرض معين قد يكون للشرح والتفسير، أو لتأكيد المعنى والمبالغة فيه، أو أن نشير إليه بلفظ قليل يفهم من سياق الكلام، أو تحسين صورته في مكان آخر، والاستعارة بهذا تكون مفيدة في كل الأحوال كونها تقرب المعنى وتكسبه دلالات مختلفة، " فليس تأثير الاستعارة إذن في ذات المعنى وحقيقته، بل في إيجابه والحكم عليه"[2] ،وفضل الاستعارة عند أبو هلال العسكري" أنها تفعل في نفس السامع مالا تفعل الحقيقة."[3] فتؤثر فيه تأثيرا غير مباشرا لأنه يحاول بها الوصول إلى المعنى الحقيقي أو المقصود، فلابد لكل استعارة ومجاز" من حقيقة، وهي أصل الدلالة على المعنى في اللغة، ولابد أيضا من معنى مشترك بين المستعار والمستعار منه"[4] فكل استعارة مبنية على حقيقة وهو المعنى الحقيقي لهذه

[1] – أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص274.
[2] – عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص114.
[3] – أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 275.
[4] – المصدر نفسه، ص277.

الاستعارة، وهو موجود في الشراكة بين المستعار والمستعار منه، لأنه لا يستعار أحد اللفظين للآخر في واقع الأمر إلا إذا كان هناك صلة معنوية تجمع بينهما.

وقد اكتمل تعريفها عند عبد العزيز عتيق:" هي ضرب من المجاز اللغوي علاقته المشابهة دائما بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، وهي في حقيقتها تشبيه حذف أحد طرفيه، وتطلق الاستعارة على استعمال اسم المشبّه به في المشبه، فيسمى المشبه به مستعارا منه، والمشبه مستعارا له، واللفظ مستعارا، وقرينة الاستعارة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي قد تكون لفظية أو حالية."[1] وبهذا فإن الاستعارة تعتمد على علاقة التشابه بين شيئين مختلفين، ولهذا عدّها بعضهم على أنها " اعتداء وجرح لشفرة اللغة، أي انحراف عن الاستخدام العادي." [2] أي هو الخروج عن السير العادي للغة، وهو انحراف ينبه القارئ، ليكسبه هذه الطرق التعبيرية التي تخرج عن المألوف.

ومن أقسام الاستعارة نجد **الاستعارة التصريحية** التي يصرّح فيها بالمشبه به، أو ما استعير فيها لفظ المشبه به للمشبه، و**الاستعارة المكنية** والتي يحذف فيها المشبه به أو المستعار منه، ورمز له بشيء من لوازمه.[3] وقد كانت في قصيدة ابن عمار مجموعة من الاستعارات تراوحت بين القسمين المذكورين ومن أهمها نذكر قول ابن عمار:

هَصَرْتْ* بِهَا غُصْنَ المَسَرَّةِ وَالمُنَى وَجَرَّرَتْ أَذْيَالَ السَّعَادَةِ وَالظَّفَرِ مكنية

[1] – عبد العزيز عتيق، علم البيان، ص175.

[2] – صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1419هـ/1998م، ص238.

[3] – ينظر: المرجع نفسه، 179.

* – **هصرت**: هصر: الهَصْرُ: عطف الشيء الرّطب كالغصن وكسره. هصر الشيء يهصره هَصْرا: جَبَذَهُ وأماله واهتصره، هَصَرْتُ الغصن وبالغصن إذا أخذت برأسه فأملته إليك.

أي أمالت لنا هذه الليلة المسرة وحققت بها أمنية الشاعر بدخوله لقصر ابن عبد اللطيف، حيث شعر في هذه الليلة بالسعادة وفوزه بهذه الليلة المؤنسة، وفي البيت شبه الشاعر السعادة بشيء له ذيل وهو المشبه به الذي جرّ به هذه السعادة وأبقى على لازمة من لوازمه وهي الذيل، على سبيل الاستعارة المكنية.

خَلِيلَيَّ هَلْ يَسْخُو الزَّمَانَ بِلَيْلَةٍ تَبَسَّمَ فِيهَا السَّعْدُ عَنْ شَنَبِ الوَطَرِ*[1]

وهذه الصورة الحسية التي يظهر من خلالها كيف كانت ليلة ابن عمار مؤنسة، حيث شبه السعد وهو شيء محسوس نحس به عندما نكون في أعلى سعادتنا، بالإنسان الفرح والسعيد وأبقى على إحدى صفاته وهي الابتسامة والشنب وهذه هي الاستعارة المكنية.

ومن الاستعارات التي تموضعت في قصيدة ابن عمار لإظهار مكانة آل عبد الطيف العسكرية فقال:

أُسُودٌ وَغَى بِالطَّعْنِ وَالضَّرْبِ سَلَطُوا عَلَى سَلْبِ الأَرْوَاحِ سَلْبَ الأَزَرْ

إِذَا جَنَّ لَيْلُ النَقْعِ وَاشْتَجَرَ القَنَا تَجَلُوا بُدُورًا تَمْحَقُ اللَّيْلَ وَالسَّمَرْ[2]

ويظهر من خلال البيت الأول أن الشاعر يبين مكانة آل عبد اللطيف العسكرية، فهم كالأسود في قلب المعارك تظهر شجاعتهم من خلال هذه الأرواح التي تهدر بسيوفهم، فقد شبههم بالأسود والصورة في الاستعارة هي القوة والشجاعة، فقد ألحق قوة وشجاعة الأسود بقوة وشجاعة آل عبد اللطيف، ونفس الصورة نلاحظها في البيت الثاني فقد بين الشاعر انه في شدة ظلمة الليل تلاحموا

* - الوطر: الوطر كل حاجة كان لصاحبها فيها همة ص285 ج5م مادة وضر.

[1] – ديوان أشعار جزائرية، ص58.

[2] – المصدر نفسه، ص61.

وتكاتفوا، حتى ظهروا كالبدور التي تخترق الليل الدامس فتنيره. وفي صورة أخرى وصف بها ممدوحه فقال:

لَقَدْ فَضَحَ الشَمْسَ المُنِيرَةَ وَالحَيَا وَلَيْثُ الشَرَا إِنْ كَرَّ أَوْ جَادَ أَوْ خَطَرْ[1]

أي برز وظهر وعلا صيته، فهو كالليث، في الصدارة والقوة والهيبة، و الزروق بن عبد اللطيف الذي تعرفنا عليه فقد تولى الفتوى والخطابة في عصر الشاعر وقد شبهه بالليث الذي يكون في هذا التصوير بالمشبه به. وفي البيت التالي الذي يصف فيه كاتب آل عبد اللطيف وهو يقول:

إِذَا مَا وَشَى بِالنَّظْمِ وَالنَثْرِ صَفْحَةً تَنَظَّمَ دُرُّ العِقْدِ وَانْتَثَرَ الزَّهَرْ[2]

وهذا البيت يدل على براعة وبلاغة الكاتب عبد الرحمن، وقد اظهر لنا صورة فنية تظهر براعته في الشعر والنثر معا واصفا الصورة وكأنه صوت خفي جميل ينتظم من خلاله در العقد، وينتثر النثر وكأنه سحر، فقد شبه شعره بدر العقد، كما شبه نثره بالأزهار المتفتحة الباهية، هذا الشعر الذي كلما قرأته انجذبت وتاقت نفسك إليه وهنا اجتماع ثلاث صور تراكمت في بيت واحد وقد حذف المشبه من خلال الاستعارة التصريحية.

جَمَعْتَ النُجُومَ النَيِّرَاتَ بِمَجْلِسٍ طَلَعْتَ بِهِ يَا وَاحِدَ العَصْرِ كَالْقَمَرِ[3]

ويقصد من خلال هذا البيت أن ابن عبد اللطيف قد جمع مجموعة من الأمراء والعلماء والأدباء الذي كانوا كالنجوم المنيرة التي تزين السماء بلألأتها وحيويتها، وقد طلع وتألق فوق هذه النجوم كالقمر الذي هو محمد بن عبد اللطيف، وقد صرح بالمشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية.

[1] – ديوان أشعار جزائرية، ص62.

[2] – المصدر نفسه، ص62.

[3] – نفسه، ص63.

3- التركيب المجازي بالكناية:

يقول عبد القهر الجرجاني عندما عرف الكناية:" أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني لا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه."[1] وذلك نحو " هو طويل النجاد ويريد به طويل القامة، ونحو قولهم في المرأة ط نؤوم الضحى" والمراد أنها مترفة. ويعرفها أبو هلال العسكري فيقول:" أن تكنى عن الشيء وتعرض به ولا تصرح." [2] كما جاء في الكتاب الحكيم:﴿ .. أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا.﴾[3]

فالغائط في الآية كناية عن قضاء الحاجة ، وأيضا نلاحظ من خلال قوله تعالى:" ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾[4] وهي كناية عن النساء. وفي بلاغتها يقول الزملكاني: "والكناية أبلغ من التصريح، وسره أن ذكر الحكم بدليله وشاهده أوقع منه مجردا عن الشاهد."[5] وهو أن تبين دليل الحكم والشاهد فيه،كدليل الكرم وهو كثرة الرماد، نؤوم الضحى لا يكون إلا مع كونها مترفة ولديها من يلبيها. وتكون الكناية في أوجه مختلفة في قصيدة ابن عمار وهو يقول:

فَلَوْ جَالَ فِي الصَمِّ الصَفَائِحِ فِكْرُهُ لَسَالَتْ سُيُولُ الذِهْنِ وَانْصَدَعَ الحَجَرْ[6]

---

[1] – عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص110.

[2] – أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص381.

[3] – سورة النساء، آية 43.

[4] – سورة الواقعة، آية 34.

[5] – ابن الزملكاني، التبيان في علم البيان– المطلع على إعجاز القرآن–، تح: احمد مطلوب وخديجة الحدشي، مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1383هـ/1964م، ص37.

[6] – ديوان أشعار جزائرية، ص60.

وهذه الصورة التي تصور لنا حركة لفعل فاعل وهو جال التي تؤدي إلى معنى التجول والحركة الحريرية التي تبحث فيها على أجمل الأشياء وفي هذه الصورة فإننا نبحث عن بديع الكلام وأحسنه، وهي كناية على براعة وفطنة هذا الكاتب وذكائه.

وَنَاهِيكَ مِنْ بَحْرٍ تَدَفَّقَ حِفْظَهُ بِمَوْجٍ مِنَ الأَخْبَارِ وَالعِلْمِ وَالأَثَرْ [1]

ومن خلال هذا البيت الذي يمدح فيه الشاعر محمد ابن عبد اللطيف والذي شبهه بالبحر الذي يتدفق بموجه الضخم، هذه الأمواج التي تتدفق بمحفوظه الغزير وما اكتسبه من أخبار وعلوم ومدى تأثره بهذا المحفوظ وهي كناية على غزارة ثقافته العلمية والمعرفية.

[1] – ديوان أشعار جزائرية، ص60.

رابعا– المستوى الإيقاعي:

1– الموسيقى الخارجية:

أ– الوزن: يقول ابن رشيق القيرواني في الوزن أنه "أعظم أركان حد الشعر، وأولاها به خصوصية، وهو مشتمل عل القافية وجالب لها ضرورة."ص78. العمدة ابن رشيق القيرواني وهو أهم عنصر في الشعر من حيث التركيب العام للقصيدة، وبدونه لا يكون الكلام شعرا، فهو من العناصر التي تعطي الكلام رونقا وجمالا فيحرك البدن ويجعله يحس بنشوة وطرب. ومما يزيد في حسن الشعر، ويمكن له حلاوة في الصدر حسن الإنشاد وحلاوة النغمة. فعنصر الموسيقى ركيزة من ركائز العمل الفني في الشعر، فاجتماع الشعر بالموسيقى يعطي تأثيرا اكبر فهو صناعة تتداخل فيها المعاني والكلمات والأنغام، لهذا فقد أدرج عبد الرحمن الوجي تفسيرا لهذه الظاهرة فقال:" الشعر صناعة ذات قواعد إيقاعية دقيقة، لا تؤخذ هونا، بل يقف عندها الشاعر طويلا يهذب، ويدقق، ويحذف، حتى تستقيم القصيدة، وتتوازن إيقاعاتها، ويحكم نسيجها، وتحسن في الأسماع، وحيثما جاد النغم، وتناسق إلى منتهاه، حسن وقعه في الأذن"[1]

ومن خلال قصيدة ابن عمار التي بلغت واحد وتسعون بيتا(91 بيت)، نجد إيقاع هذه القصيدة هو:

طويل له دون البحور فضائل فعولن مفاعيلن فعولن مفاعل.

وهو ما يعرف بالبحر الطويل في علم العروض وهو من البحور الخليلية الذي تميز بإيقاع الشموخ والفخامة والرصانة في الشعر العربي، وهذا ما عكس قصيدة ابن عمار التي وصف فيها قصرا

[1] – عبد الرحمن الوجي، الإيقاع في الشعر العربي، ص51.

فخما كقصر ابن عبد اللطيف وعلما شامخا من أعلام الجزائر الكبار كأحمد ابن عبد اللطيف وشاعرا فذا كشاعرنا وأديبنا ابن عمار، والبحر الطويل خاص لأن الشاعر حين ينشده يكون ذلك دون مشقة وإجهاد ومع وضوح الألفاظ، هو ذلك القدر من المقاطع الذي نجده في هذا البحر، فالمنشد يحتاج إلى إعادة التنفس بعد كل بيت من أبيات هذا البحر، وبذلك كان العرب القدماء من أطول الأمم نفسا في الشعر، لكثرة نظمهم من البحر الطويل أو البسيط."[1]

ب– القافية: تعتبر القافية من الأجزاء الهامة في الشعر العربي، فقد عرفها الجاحظ بأنها" خواتم أبيات الشعر"[2]، فتبرز إيقاعات الأبيات وتكون في الجزء الأخير للشطر الأخير للبيت. ومن خلال تعريف إبراهيم أنيس للقافية أنها " عدة أصوات تتكون في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة، وتكررها هذا يكوّن جزءا هاما من الموسيقى الشعرية، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة، وبعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى بالوزن."[3] فالقافية حسب تعاريف العروضيين هي الجزء الأخير من البيت المحصور بين آخر ساكنيين ومتحرك قبلهما، وتكون بهذا الجزء الإيقاعي الخارجي المتمم للوزن.

وقد بيَّن قيمة القافية في الشعر عبد الرحمن الوجي فقال:" القافية ترنيمة إيقاعية خارجية، تضيف إلى الرصيد الوزني طاقة جديدة، وتعطيه نبرا، وقوة جرس، يصب فيها الشاعر دفقة، حتى إذا استعاد قوة نفسه بدا من جديد."[4] ليظهر فيما بعد أهمية القافية في القصيدة فهي إيقاع خارجي منتظم، حيث تشكل انتهاء وحدة البيت، فتضيف تنويعا إلى الطاقة الإيقاعية الشعرية، وهي تعين

[1] – إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص174.
[2] – الجاحظ، البيان والتبيين، ج1ن 179.
[3] – إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص244.
[4] – عبد الرحمن الوجي، الإيقاع في الشعر العربي، ص71.

الشاعر على التتابع، وصب انفعالاته.. وتجديد نشاطه.[1] وبهذا فالقافية تحقق جماليات النص الشعري في علاقاتها مع العناصر الأخرى المكونة له، خاصة بما يتعلق بالانسجام في الإيقاع المنتظم في نهاية كل بيت شعري. ثم إن للقافية لوازم من الحروف والحركات وهي:" الرويُّ ويقع قبله الردف والتأسيس، وبعده الوصل والخروج، فالردف ألف أو واو أو ياء قبله مباشرة، والتأسيس ألف بينها وبينه حرف، والوصل ألف أو واو أو ياء، ويأتي بعد الهاء المتحركة الخروج وهو ألف أو واو أو ياء."[2]

ومن خلال القصيدة المدروسة التي جاءت قافيتها كما هو واضح من خلال الأبيات أن رويها هو حرف الراء، بقافية مقيدة لان رويها جاء ساكنا، وبهذا "فإن حرف الراء من أوضح الأصوات الساكنة في السمع"[3]. وهي كما سبق وان ذكرت من الأصوات المجهورة، وكان توظيفها في القصيدة من أجل رفع صوت الإيقاع في قافيتها إلى أقصى ما يمكن رفعه، وذلك ليقوم بوظيفة تمييزية مختلفة عن بقية الأصوات الداخلية في حشو الأبيات من جهة، وبوظيفة إيقاعية "منبهة ومحفزة مع ارتفاع كل موجة من موجات وحدة الشعور"[4]، فعند النطق بها ومع تكررها ترتفع بارتفاع انفعال الشاعر وعليه فإن" القافية المقيدة تقوم بوظيفة إيقاعية تمييزية تكاد تكون صرفة، تثير السمع وتحفزه على تتابع المفهومات في أمواج متلاحقة، أكثر مما تقوم بوظيفة تعبيرية لحنية شجية أو هارمونية"[5] فوظيفتها تعتمد على الإيقاع أكثر مما تعتمد على المعنى.

---

[1] – ينظر: عبد الرحمن الوجي، الإيقاع في الشعر العربي، ص72.

[2] – محمد العلمي، العروض والقافية– دراسة في التأسيس والاستدراك–، دار الثقافة، المغرب، ط1، 1404هـ/1983م، ص170.

[3] – إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص55.

[4] – شكري محمد عياد، موسيقى الشعر العربي، نقلا عن: مختار حبار، الشعر الصوفي القديم في الجزائر– إيقاعه الداخلي وجماليته–، ص148.

[5] – المرجع نفسه، ص149.

2- الموسيقى الداخلية :

إن الموسيقى الداخلية في الشعر العربي هي تلك الإيقاعات الهامسة التي تصدر عن الكلمة الواحدة، وما تحمل في تأليفها من صدى ووقع جميل في النفس، وخاصة إذا كانت دقيقة التأليف، منسجمة الحروف، بعيدة عن التنافر، وفيها تقارب في المخارج، وهذا ما اصطلح عليه البلاغيون بفصاحة اللفظ، والإيقاع الداخلي "انتظام موسيقي جميل، ووحدة صوتية تؤلف نسيجا مبتدعا يهبه الشاعر المتفنن، ليبعث فينا تجاوبا متماوجا، هو صدى مباشر لانفعال الشاعر بتجربته، في صيغة فذّة، تضعك أمام الإحساس في تشعب موجاته الصوتية في شعاب النفس."[1] فالشاعر له القدرة على الإبداع من خلال فصاحة اللفظ الذي ينظمه في تركيب موسيقي جميل تستميل إليه القلوب فينقل بواسطة هذا التركيب مجموعة من الانفعالات التي تؤثر مباشرة في المتلقي.

أ- التكرار : ينقسم الكلام البليغ إلى ثلاثة أقسام حسب البلاغيين، فهو إما إطناب، وإما إيجاز، وإما مساواة، ونجد التكرار من أبواب الإطناب وأسلوب من أساليبه فيذكر فيه الشيء في سياق الكلام، مرتين أو أكثر وذلك لأغراض تختلف حسب مقتضى الحال، وينقسم إلى قسمين لفظي وهو إيراد اللفظ بمعناه مرتين أو أكثر، ومعنوي وهو إيراد المعنى الواحد بلفظ مختلف مرتين أو أكثر[2] ويرتبط التكرار بتجديد التركيب الإيقاعي للقصيدة حيث أن عملية التكرار مرتبطة بالجانب العاطفي وما تستثيره من مقاصد فنية، فالتكرار يهدف إلى استنباط المشاعر الدفينة وتبيان دلالات داخلية إيحائية، ويمكن أن نميز نوعين من التكرار: التكرار البسيط الذي يكون فيه تكرار الكلمة، أيا كان جنسها

[1] - عبد الرحمن الوجي، الإيقاع في الشعر العربي، ص79.

[2] - ينظر: مختار حبار، الشعر الصوفي القديم في الجزائر- إيقاعه الداخلي وجماليته-، ص190.

الصرفي الذي تنتمي إليه في جملة واحدة، أو في عدة جمل متتالية، والتكرار المركب يكون في تكرار جملة كاملة.[1]

وعرف التكرار في الشعر العربي منذ القدم، فورد في صور متنوعة ومختلفة، فيكون في تكرار كلمة وهذه الكلمة قد تكون أسما أو فعلا، وقد يأتي التكرار في صورة حرف أو أسلوب وغير ذلك. ومن أنواع التكرار المتواجد في القصيدة هو التكرار البسيط، حيث نجده بعض الكلمات المكررة والتي تؤدي دلالات مختلفة في مواضع مختلفة، كان تكرار لبعض الأساليب كالنفي، كما نجد تكرار لبعض الحروف تارة للتنبيه، وأخرى لتؤدي معنى معين داخل التركيب ونلمح ذلك التكرار في هذه الصور نحو الآتي:

أ- تكرار الكلمة: ومن ذلك تكرار كلمة " ليلة" وذلك نحو قول ابن عمار:

وَ**لَيْلَةُ** أُنْسٍ لَذَّ فِيهَا جَنَى السَّهَرْ فَنَاهِيكَ مِنْ أُنْسٍ جَنَيْنَاهُ بِالسَّهَرِ

فَيَا **لَيْلَةَ** الأَفْرَاحِ وَالأُنْسِ طُولِي قَلِيلاً وَيَا **لَيْلَ** المِسَرَّةِ فَاعْتَكِرْ

إِلَىَ اللهِ أَشْكُو مَا جَنَتْ **لَيْلَةُ** اللِّقَا عَلَى قَلْبِي المَشْغُوفِ مِنْ شِدَّةِ القَصْرِ

خَلِيلَيَّ هَلْ يَسْخُو الزَّمَانَ **بِلَيْلَةٍ** تَبَسَّمَ فِيهَا السَّعْدُ عَنْ شَنَبِ الوَطَرِ[2]

ومن خلال تكرار كلمة ليلة في كل مرة ذكرها فيها كانت لها غاية وهدف فالأولى التي ابتدئ بها القصيدة لتنبيه القارئ على أن موضوعه متعلق بحدث له مميز في ليلة من ليالي الأنس، وأما الثانية

[1] – ينظر: عمار بلقريشي، التكرار وقيمته الأسلوبية في شعر الأخضر فلوس، مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية، جامعة المسيلة، مارس2009، العدد01، ص71.

[2] – ديوان أشعار جزائرية، ص58.

التي ينادي ويناجي لهذه الليلة بان تطول لما أحسه بالمتعة والأنس بصحبته والمكان المتواجد فيه، وفي قوله" ما جنت ليلة اللّقا" والتي بين من خلالها لقاؤه الحميمي مع الأصدقاء والأحباب، وفي الأخير يتمنى سخاء الزمان بليلة كهذه الليلة المميزة.

ب- تكرار الحرف: ونجد هنا تكرار لصيغة النفي ومن ذلك قوله:

وَلَا أَخْتَالُ فِي غَمْدَانٍ سَيْفٌ بِمِثْلِهَا **وَلَا** نَخْلُ عَبَّادَ بِحِمِصْ بِهَا اِفْتَخَرْ

وَلَا اِحْتَفَلَ المأْمُونُ بَعْضَ اِحْتِفَالِهَا **وَلَا** عُرْسُ بُورَانَ عَلَى مِثْلِهَا اِتَّزَرْ

وَلَا هَزَّ عَطْفَ الفَخْرَ إِقْبَالُ حَمِيرٍ وَأَدْوَاؤُهَا فِي مِثْلِهَا أُوذُوا أَشَرْ

وَلَا شَمْسٌ **إِلَّا** مِنْ سَمَاءِ كُؤُوسِنَا **وَلَا** قَمَرٌ **إِلَّا** مُحَيَا رَشَا أَغَرْ

وَلَا رَوْضَةٌ غَنَّاءٌ **إِلَّا** مَطَارِفٌ وَشَتْهَا لَنَا صَنْعَاءُ لَا رَاحَةُ المِطَرْ

وَلَا طَائِرٌ يَشْدُو عَلَى غُصْنِ أَيْكَةٍ سِوَى شَاذِنْ شَادَ عَلَى نَغَمِ الوَتَرْ[1]

من خلال الأبيات السابقة بظهر من خلالها تكرار حروف" الواو، لا، إلا" وكان تكرارها تنبيها ووصل الأحداث لبعضها البعض، كما أفادت النفي الذي يراد به التقرير للوصف الصادق لجمال القصر، وتكرار الحرف"لا" جمّل الكلام صوتي ومعنى.

ج- تكرار الصيغة الصرفية: ومنه ما تكرر على وزن من الأوزان المعروفة كصيغة اسم الفاعل، وصيغة اسم المفعول. ومنه قول ابن عمار من صيغة اسم الفاعل:

[1] - ديون أشعار جزائرية، ص59.

مُحَمَّدُنَا **رَاوِي** حَدِيثَ مُحَمَّدٍ وَ**نَاظِمُ** ذَاكَ العِقْدَ مِنْ بَعْدِ مَا اِنْتَثَرْ

مُجَدِّدُ دِينَ اللهِ بَعْدَ عَفَائِهِ وَ**نَاشِرُ** رَسْمَ الحَقِّ مِنْ بَعْدِ مَا دَثَرْ

أَبِي زَيْدِ المِطْبُوعَ أَبْلَغَ **كَاتِبٍ** تَصَدَّرَ لِلْتَرْسِيلِ أَوْ شَاعِرٌ شَعَرْ[1]

والشاعر يصف لنا محمد ابن عبد اللطيف بمجموعة من الأوصاف فهو راوي الحديث النبوي، وناظم رسم الحق، ومجدد دين الله، وناشر رسم الحق، وهي كلها أسماء أفعال اشتقت من الأفعال(روى، نظم، جدّد، نشر)، "وهذه الصفة التي تدل على معنى وقع من الموصوف بها، هذا المعنى القائم بالموصوف متجددا بتجدد الأزمنة"[2] ويتضح من خلال هذا التعريف أن هذه الصفات هي مستمرة على الدوام، كما وصف أبا زيد بأنه أبلغ كاتب لبراعته وتألقه في ميدان الشعر والنثر، فصيغة اسم الفاعل أعطت للقصيدة نغمة موسيقية ثابتة خاصة عندما توالت هذه الصفات عبر الأبيات.

ومن صيغة اسم المفعول نجد كذلك في البيت الأخير في قوله "المطبوع" وهو اسم مفعول ونمثل بأمثلة أخرى في قول ابن عمار:

إِلَىَ اللهِ أَشْكُو مَا جَنَتْ لَيْلَةُ اللِّقَا عَلَى قَلْبِي **المَشْغُوفِ** مِنْ شِدَّةِ القَصَرْ

وَلَا زِلْتَ **مَحْرُوسَ** الجِنَابِ مُقَدَّسًا تُنِيرُ دُجَى مَالَاحَ نَجْمٌ وَمَا زَهَرْ

وَمَا مَاسَ غُصْنٌ فِي الرِّيَاضِ مُقَلَّدًا وَمَا النَّرْجِسُ **المَطْلُولَ** قَدْ حَدَّقَ النَّظَرْ[3]

[1] – ديون أشعار جزائرية، ص64.

[2] – مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، مر: عبد المنعم خفاجة، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ط30، 1414هـ/ 1994م، ج1، ص178.

[3] – ديوان أشعار جزائرية، ص64.

وفي تعريف اسم المفعول الذي هو "صفة تؤخذ من الفعل المجهول، للدلالة على حدث وقع على الموصوف بها على وجه الحدوث والتجدد، لا الثبوت والدّوام."[1] بمعنى هذا الحدث متجدد، ومن خلال اسم المفعول" مشغوف" الذي جاء ليدل على تجدد شوق ابن عمار لليلة كالليلة التي شهدها في قصر ابن عبد اللطيف، أما اسم المفعول" محروس" جاء ليبين معنى الحراسة والحفظ لهذه الشخصية العظيمة التي برزت في ذلك العصر.

ومن خلال هذه الدراسة وبعد التدقيق في أبيات القصيدة ومعانيها التي عبر فيها ابن عمار عن مجموعة من المعاني؛ منها الإعجاب بقصر ابن عبد اللطيف فوصفه بأجمل الأوصاف التي ميزت القصر البديع، كما حملت القصيدة معاني الحب لآل عبد اللطيف والأصدقاء الذين حضروا في تلك الليلة، فعبر عن ذلك بمدحه وقد خص كل واحد منهم بمجموعة من الأبيات منهم أحمد ابن عبد اللطيف وكاتبه والقاضي وغيرهم من آل عبد اللطيف، إذ شهد لهم بالبراعة والحكمة وقرض الشعر والتألق في النثر، كما ذكر شجاعتهم في خوض المعارك والتحدي في مواجهة الأعداء، ووفي نفس الغرض مدح مجموعة من الأصدقاء منهم ابن ميمون وابن علي، وقد بين مدى براعتهم وبلاغتهم في العلوم اللغوية كالشعر والنثر، كما حملت القصيدة كذلك قيم الاعتزاز والشرف لصحبته المميزة لأصدقائه أمثال ابن علي وابن ميمون وآل عبد اللطيف دون أن ينسى ذكره واعتزازه لبلده الجزائر وأبناءها حين قال: لئن بطرت أرض الجزائر وازدهت على جلة الأمصار حقّ لها البطر[2]

إضافة إلى ذلك نجد معاني الأمل والتمني لعودة ليلة كهذه الليلة الجليلة التي أسعدت الشاعر مع أصدقائه، هذه الليلة التي لم يكن بمثلها زمن غبر ولم يأتي بمثلها حتى الخليفة المعتصم، ولم يحتفل المأمون بعض احتفالها ولا حتى عرس بوران، وهذا لتميز هذه الليلة وفرحة وسعادة الشاعر فيها.

[1] – مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ج1، ص182.

[2] – ديوان أشعار جزائرية، ص61.

وعليه ومن خلال دراستنا هذه فإن لكل نص خصائصه الأسلوبية المستقلة التي تميزه عن نصوص أخرى، والاختلاف يكون في الخصائص الأسلوبية التي تكون في نص معين ولا تكون في غيره من النصوص، وهذا الاختلاف الذي تكشف عنه الأسلوبية يبرز من خلال المعاني الجديدة والمكنونات التي يستنبطها الدارس من خلال تعامله مع النص أسلوبيا، وعليه فإن الخصائص الأسلوبية ترتبط ارتباطا وثيقا بالنص المدروس وبمعناه العام، والإحاطة به، لتكوين الأفكار الواردة فيه والمراد التعبير عنها، لتقديمها بشكلها الأقرب لما يجول في خاطر الشاعر، فالمنهج الأسلوبي قادر أكثر من غيره من المناهج في التعامل مع النصوص وذلك من خلال الكشف عن خفايا النص ومكنوناته. ومن خلال قصيدة ابن عمار فنلاحظ براعته في استخدام اللغة والتعامل معها بطريقة مباشرة صريحة وحقيقية ليظهر ليلة قضاها وأصدقائه في قصر كان في يوم من الأيام يتمنى أن يراه ويدخله ليتأمل جماله، وقد قضى ليلة مؤنسة جميلة فأمتعنا بهذه القصيدة الرائعة.

خاتمة

خاتمـة:

لقد حاولت من خلال هذا البحث أن اقترب من الأدب الجزائري القديم متخذة بالشعر كوسيلة لهذا الاقتراب في فترة وصفت بالركود والجمود، لكن وفي أثناء دراستي هذه لم أحس بهذا الجمود، ودليلي هو تلك الأعمال الجليلة التي تركها علماء هذه الحقبة من الزمن وكان من نتائج هذا البحث ما يلي:

- إن الشعر الذي قيل في العهد العثماني خاصة ما تعلق بشعر ابن عمار وابن علي وابن ميمون يعبر عن متانة ثقافتهم وغزارتها وتمكنهم من البيان العربي والذوق الفني والثقافة الإسلامية الأدبية وتأثرهم بشعراء الأندلس وبغداد ودمشق والحجاز ومصر، كوّن لديهم عارضة شعرية لاقت إعجاب كل من تقرب إلى الأعمال الأدبية التي أنتجها هؤلاء الشعراء الأجلاء؛ كما أدى إلى بروز آثار المدرسة الأندلسية من موشحات، ووصف للرياض والطبيعة على العموم، والتشبيب، ورقة الألفاظ والمعاني وبعد الأخيلة، فقد تكونوا من مدرسة الطبيعة وفي جامعة الفطرة .
- من خلال دراستي لحياة ابن عمار لم أتعرف على بداياته الدراسية، فبداياته كانت في بلاده الجزائر ولم يخرج منها حتى أصبح عالما وخطيبا، فقد تكون ابن عمار وأمثاله كابن علي وابن الشاهد من مدرسة الطبيعة وفي جامعة الفطرة، ولم أجد من سيرة هؤلاء الرجال أنهم درسوا في مؤسسات علمية لها شهرتها كالأزهر أو الزيتونة أو القرويين وإنما هي الفطرة والنبوغ والعبقرية وهذا حسب رأي المرحوم أبو القاسم سعد الله.
- تعتبر الفترة العثمانية من الفترات التي اعتمدت خاصة على العلماء والشعراء في تحسين العلاقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية بين القيادة في الجزائر والسلطة العثمانية ودليل ذلك هي القصيدة التي تقدم بها الشاعر محمد القوجلي مع وفد جزائري من

العلماء والأعيان إلى مفتي الدولة العثمانية، وهذا لأمر يهم المصلحة المشتركة حيث كانت الأوضاع متأزمة في الجزائر بين يوسف باشا وخصومه، كما نذكر القصيدة التي دافع فيها أحمد المنجلاتي عن صديقه سعيد قدورة عند المفتي في اسطنبول وكان سعيدة قدورة مفتي المالكية آنذاك وقد لقي غضب كبير من طرف حكام الجزائر، فبالإضافة إلى أن الشعر عالج مواضيع أدبية واجتماعية كان حاضرا حتى في المجال السياسي.

- إن بواعث الشعر المختلفة شكلت الأرضية الخصبة للشعراء لإفراغ كل ما اختلج في أنفسهم وتأثرهم بالأوضاع المتغيرة التي عاشوها في بلادهم في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى الطبيعية، هذه الأسباب وغيرها أدت إلى تعدد الموضوعات الشعرية في العهد العثماني ونذكر منها الشعر الصوفي، والسياسي، والاجتماعي، والملحون، وهي موضوعات تخللتها مختلف الأغراض الشعرية المعروفة منها الغزل والمدح والوصف والهجاء ومن الأغراض التي كانت مستحدثة نجد غرض المواليا، الغزل بالمذكر، الشكوى والحنين، وكل هذه الأغراض تناولها شعراء هذه الفترة وأولوها عناية كبيرة خاصة ما تعلق بالشعر الصوفي الذي تميز به الشعراء وهذا لثقافتهم الإسلامية وتشبثهم بمثلها دفعهم إلى بثها وسط المجتمع، أما من جهة أخرى فقد اتخذ الكثير من الشعراء الشعر الملحون كوسيلة في الحث على الجهاد والدفاع عن الوطن وذلك لطغيان روح التصوف والتدين على فئة العلماء.
- تميز أسلوب شعراء الفترة المدروسة بالسهولة في اللفظ والسماحة في التركيب مع البساطة في المعاني والتكلف في البديع، حيث اهتم شعراء العصر العثماني بالزخرف اللفظي فوجدناه في الشعر والنثر معا فهم يرون في هذا الفن براعة منهم على قرض الشعر والتفنن فيه.

- لقد انتشر أدب الرحلة واستفحل عند الشعراء في هذا العصر حيث أثرت الرحلات إيجابيا في خلق أعمال متجددة، والتطلع على حضارات وثقافات الأمم الأخرى وخاصة العلماء والكتاب والطلاب في التعرف على لغات ولهجات مختلفة، والعلوم وتطورها، فكانت المورد الذي يستقون ويجددون منه أفكارهم وميولاتهم ثم لأن هذه الرحلات تعتبر نصوص تاريخية لما تحتوي عليه من معلومات اجتماعية واقتصادية وجغرافية وسياسية وثقافية.
- إن معظم أشعار العهد العثماني تميزت بشيوع ألوان البديع من سجع وتضمين واقتباس مكثف من القرآن الكريم والشعر العربي الذي سبق هذه الفترة خاصة تأثر هؤلاء الشعراء بشعراء آخرون كلسان الدين بن الخطيب والفتح بن خاقان وأضرابهم حيث خلق عندهم عنصر التقليد، كما تميزوا بمتانة الثقافة العربية.
- لقد حملت أشعار العهد العثماني مجموعة من المعاني منها الحزن، والحب والإعجاب والتعظيم إضافة إلى معاني الحب والشوق، إنَّ الشعر كان واضحًا لا غُموض فيه؛ وهذا ما ظهر من خلال قصيدة ابن عمار لأنه موجه لجميع طبقات المجتمع؛ ممَّا جعل عنصر الوضوح هو الطريق الأمثل لإيصال الفكرة.
- كان المستوى الصوتي أكثر بروزا حيث تكمن هذه الطاقة الصوتية في الكلمات والألفاظ التي حملت أصوات مختلفة في وضوحها السمعي وقدرتها على إبراز المعنى، إذ يظهر البناء الصوتي في قصيدة ابن عمار من خلال انتقاء الأصوات المجهورة والمهموسة كي تكون منسجمة مع وحدات الجمل وهذا ما اتضح من خلال هذه الدراسة، فقد كانت الحروف المجهورة أكثر استعمالا من المهموسة وهذا لكي لا تفقد القصيدة نبرها الموسيقي ورنينها الخاص بها ومن هذه الحروف نذكر(حرف الراء واللام، والجيم، وحروف اللين كالياء والواو) فقد أعطت هذه الحروف حركة وتناغما صوتيا جميلا أحسسناه عن طريق قراءتنا

للقصيدة المدروسة وهو يصف لنا هذه الليلة البديعة التي جمعت بين جمال القصر والجمال الفكري والشعري، وأما الحروف المهموسة كالراء والسين فجاءت لتريح الشاعر وتعطيه الهدوء والسكون لكي يتمتع بهذا الجمال وهذه الراحة، فقد أعطى القصيدة قوة ووضوح، كما منحها الانسجام داخل وحدات الجمل ومتانة الألفاظ، وقد برزت معانيها من خلال إحساس الشاعر بالفرح والسرور وهو في القصر، كما تجلت معاني الاعتزاز لانتمائه لوطنه الجزائر وصحبته المميزة التي تعرفنا إليها في هذه القصيدة.

مقترحات:

إنَّ كثيرًا من الشعراء المشهورين ناهيك عن المغمورين يستحقُّون أنْ تُقام حولهم دراسات؛ نظرًا لدورهم في الشعر الجزائري في الفترة العثمانية وما قبلها من أمثال ابن علي، وأحمد المنجلاتي، والشباح، وابن ميمون وأمثالهم، وهذا ما أشار إليه أبو القاسم سعد الله في كتاب "أشعار جزائرية" حين قال:" لا نعلم شاعرا في القرن(12) في المشرق أو في المغرب، بلغ مبلغ ابن علي في قوة النفس واتساع العارضة والحبكة الشعرية وطواعية المعاني للألفاظ ومواتاة الصور. ولو أنصف مؤرخو الأدب شعر ابن علي لجعلوه في كتبهم المقررة وأولوه العناية التي يستحقها لدى الجيل الحاضر في الجامعات والمدارس."أنظر ديوان أشعار جزائرية (سيرة ابن علي).

تعتبر ظاهرة النثر الفني التي ميزت شعراء وكتاب الفترة العثمانية والتي تطرقوا إليها في مختلف المجالات؛ فصار هذا النثر يعنى بالدَّرس والتَّمحيص للوقوف على ما بلغه من مكانةٍ فنيَّة رفيعة. وفي هذا المقام وأثناء دراستي لشعر ابن عمار الجزائري اتضح أنه برع في النثر أكثر مما برع في الشعر وهذا حسب أبو القاسم سعد الله، خاصة بما تعلق بالنثر الفني فأسلوبه راقي جدا وكان في غاية الروعة ويستحق منه أن ينال الدراسة في المستقبل والكشف عن مكنوناته وجماليته الفنية.

إن الموروث الثقافي الجزائري الذي يخص الفترة العثمانية قليل، وسبب ذلك هو ما عانته الجزائر من اضطرابات مختلفة في شتى المجالات، ولتوالي الحملات الاستعمارية على دول المغرب العربي أدى بذلك إلى إتلاف وضياع الكثير من الأعمال والوثائق والمدونات والمخطوطات، هذا الموروث هو بحاجة ماسة إلى مضاعفة الجهود من عمليات البحث والتنقيب، والعناية بها وبمصادرها من مخطوطات ووثائق، وذلك لدراستها ونشرها، والبحث عليها في مظان الوثائق ومحفوظها، حتى يتعرف عليها الجيل الصاعد ويتعرف بذلك على مرجعيته الثقافية والحضارية خاصة ما تعلق بالفترة العثمانية وهذا يتمَّ إلا بقِيام لجانٍ مُتخصِّصة تتمتَّع بالقُدرة والنَّزاهة العلميَّة ونخص بالذكر ما يتعلق بالمصادر والمراجع المغمورة في المكتبات العامة والخاصة داخل الجزائر وخارجا بحاجة ماسة إلى إخراجها وإظهارها من جديد.

كانت هذه أهم النتائج والاقتراحات التي خلصت إليها من خلال دراستي لهذا الموضوع. ونسأل المولى أن يعفو عن الزلل، وييسر العسير ويهدينا إلى سواء السبيل...

مكتبة البحث

مكتبـــة البحـــث:

- **القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.**

أولا: المصادر والمراجع

1- ابتسام مرهون الصفار، الأمالي في الأدب الإسلامي، دار المناهج، عمان، د.ط، 2005م.

2- إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر، ط2، 1952م.

3- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة ومطبعة نهضة مصر، د.ط، د.ت.

4- ابن الزملكاني، التبيان في علم البيان- المطلع على إعجاز القرآن-، تح: أحمد مطلوب وخديجة الحدشي، مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1383هـ/1964م.

5- ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، من تقييدات ابن المفتي حول باشوات الجزائر وعلمائها، تح: فارس كعوان، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009م.

6- ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، تح: محمد حسن إسماعيل وأحمد رشدي شحاتة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ/2000م.

7- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج2، تح: عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي، دمشق، ط1، 1425هـ/2004م.

8- ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1981م.

9-ابن زاكور، نشر أزاهي البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر،2011م.

10- ابن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح: الشيخ المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013م.

11- ابن عمار الجزائري، أشعار مجهولة من الشعر العربي، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1992م.

12- ابن عمار الجزائري، أشعار جزائرية، تح: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1988م.

13- ابن عمار الجزائري، نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب، تح: محمد ابن أبي شنب، مطبعة فونتانة، الجزائر، 1902م.

14- ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تح: محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، د.ط، 1326هـ/1908م.

15- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، مج1، مج4، مج6.

16- ابن هشام، شرح قطر الندى وبل الصدى، ذوي القربى، ط5، 1432هـ.

17- أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، د.ط، 1324هـ- 1906م.

18- أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1983م.

19- أبو القاسم سعد الله، مجموع رحلات، تح: أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة ، 2011م.

20- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، دار البصائر، الجزائر، د.ط، 2007م.

21- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي – من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري، ج1، ج2، ج4، ج6، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1985م.

22- أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون – داعية السلفية-، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1406هـ/1986م.

23- أبو حامد محمد الفهري، مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن، تح: محمد حمزة بن علي الكتاني، منشورات رابطة أبي المحاسن، د.ط، د.ت.

24- أبو هلال العسكري، الصناعتين، to pdf /www.al- mostafa.com.

25- أبي الحسين إسحاق الكاتب، البرهان في وجوه البيان، تح: حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، القاهرة، د.ط، د.ت.

26- أحمد الهاشمي، القواعد الأساسية للغة العربية، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، د.ت.

27- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا 1492 – 1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، د.ت.

28- ــــــــــــ، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، د.ط، د.ت.

29– أحمد محمد عاشور، صفحات تاريخية خالدة من الكفاح الجزائري المسلح، منشورات المؤسسة العامة للثقافة، ليبيا، ط1، 2009م.

30– أحمد يوسف، السلالة الشعرية في الجزائر –علامات الخفوت وسيماء اليتم–، مكتبة الرثاء، الجزائر، د.ت، 2004م.

31– أنطوان الدحداح، معجم تصريف الأفعال العربية، مر: جورج متري، مكتبة لبنان، بيروت، د.ط، 1991م.

32– أيمن أمين عبد الغني، الكافي في شرح الأجرومية، مر: تمام حسان، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، د.ط، 2011م.

33– بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البيان –دراسة تحليلية لمسائل البيان–، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 1436هـ/2015م.

34– بشار قويدر وحساني مختار، فهرس مخطوطات ولاية أدرار، أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، الجزائر، د.ط، 1999م.

35– بشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، مر: عثمان بدري، دار ثالة، الجزائر، ط2، 2007م.

36– بوزيان الدراجي، أدباء وشعراء من تلمسان، ج1، دار الأمل للدراسات، الجزائر، ط منقحة.

37– جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1992م.

38- الجاحظ عمرو بحر، الحيوان، ج3، تح: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى الباي الحلبي وأولاده، مصر، د.ط، 1966م.

39- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1418ه/1998م.

40- جميل حمداوي، المقاربة النقدية الموضوعاتية، مؤسسة المثقف العربي، سيدني، ط1، 2015م.

41- جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج1، مؤسسة دار هلال، مصر، د.ط، د.ت.

42- الحسن الدليمي، أعلام الدين في صفات المسلمين، تح: آل البيت، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، ط2، 1414ه.

43- حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، د.ط، 1998م.

44- حسنى عبد الجليل يوسف، موسيقى الشعر العربي-دراسة فنية وعروضية-، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1989م.

45- حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1978م.

46- الحسيني، البنى الأسلوبية في النص الشعري، دار الحكمة، لندن، ط1، 2004م.

47- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تح: محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، د.ط، 2006م.

48– حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي – الأدب القديم –، دار الجيل، بيروت، ط1، 1986م.

49– خليل إبراهيم عطية، في البحث الصوتي عند العرب، منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد، د.ط، 1983م.

50– دلندة الأرقش وآخرون، المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، مركز النشر الجامعي ميديا كوم، تونس، د.ط، 2003م.

51– السيد خليفة، الكافي في النحو، ج1، قلم ابن خلدون، الإسكندرية، د.ط، د.ت.

52– شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي – عصر الدول و الإمارات –، ج 10، دار المعارف، القاهرة، ط1، د.ت.

53– ــــــــــــ، تاريخ الأدب العربي –العصر الجاهلي–، ج1، دار المعارف، القاهرة، ط11، د.ت.

54– صالح عطية، في التطبيقات الأسلوبية، مكتبة الآداب، القاهرة، 2004م.

55– صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1419هـ/ 1998م.

56– الطاهر أحمد مكي، مقدمة في الأدب الإسلامي المقارن، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط1، 1994م.

57– الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، المطبعة العربية، تونس، ط3، 1992م.

58– عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر – من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط2، 1400هـ- 1980م.

59– عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط2، 1385هـ/ 1965م.

60– عبد الرحمن الوجي، الإيقاع في الشعر العربي، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1989م.

61– عبد الرؤوف أبو السعد، مفهوم الشعر في ضوء نظريات النقد العربي، دار المعارف، القاهرة، ط1، د.ت.

62– عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ط3، د.ت.

63– عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، 1405هـ/ 1985م.

64– ــــــــــــ، علم العروض والقافية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1407هـ/1987م.

65– عبد العظيم علي قناوي، الوصف في الشعر العربي- الوصف في العصر الجاهلي-، ج1، مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1368هـ/ 1949م.

66– عبد القادر أبو شريفة وحسين لافي قزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر، عمان، ط04، 1428هـ/2008م.

67– عبد القادر محمد مابو، الوجيز في فقه اللغة العربية، تح: أحمد عبد الله فرهود، دار القلم العربي، سوريا، ط1، 1419هـ/1998م.

68– عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، دار المدني، جدة، د.ط، د.ت.

69– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: فايز الداية ومحمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، ط1، 1428هـ/2008م.

70– عبد الكريم الفكون، منشور الهداية– في كشف من ادعى العلم والولاية–، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1408هـ/1987م.

71– عبد المتعال الصعيدي، البلاغة العالية – علم المعاني–، تح: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 1411هـ/1991م.

72– عبد المنعم خفاجي وآخرون، الأسلوبية.. والبيان العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1412هـ/1992م.

73– عبد الهادي التازي، رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، ج1، تح: عباس محمود طاشكندي، مؤسسة لفرقان للتراث الإسلامي، الرياض، د.ط، 1426هـ/2005م.

74– عبد الهادي الفضلي، مختصر النحو، دار الشروق، جدة، ط07، 1400هـ/1980م.

75– عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي –عرض وتفسير ومقارنة–، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، 1992م.

76– علي خلاّصي، قصبة مدينة الجزائر، دار الحضارة، الجزائر، ط1، 2007م.

77– علي خنوق، تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، منشورات الأنيس، الجزائر، ط1، 2007م.

78– عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997م.

79– عمر فروخ، المنهاج في الأدب العربي وتاريخه، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1379هـ/ 1959م.

80– عمورة عمار، موجز في تاريخ الجزائر، دار ريحانة، الجزائر، ط1، 2002م.

81– غازي طليمات وعرفان الأشقر، الأدب الجاهلي –قضاياه. أغراضه. أعلامه. فنونه–، دار الإرشاد، حمص/سوريا، ط1، 1412هـ/1992م.

82– غانم قدوري الحمد، علم أصوات العربية، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1425هـ/2004م.

83– الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: عادل النويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979م.

84– فارس كعوان، بن شنب والمشروع الاستشراقي من خلال الإسهام في دائرة المعارف الإسلامية، سلسلة محاضرات الملتقى الدولي محمد بن شنب والاستشراق، منشورات مديرية الثقافة، المدية، 2015م.

85– فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها– علم البيان والبديع–، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، ط10، 2005م.

86– فهمي سعد وطلال مجذوب، تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1013هـ/ 1993م.

87– قدامة بن جعفر، نقد الشعر، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، ط1، 1302هـ.

88- محمد ابن يوسف السنوسي، المنهج السديد في شرح كفاية المريد، تح: مصطفى مرزوقي، دار الهدى، الجزائر، د.ط، د.ت.

89- محمد أبو راس الناصري، فتح الإله ومنّته في التحدث بفضل ربي ونعمته – حياة أبي راس الذاتية والعلمية-، تح: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، د.ت.

90- محمد العلمي، العروض والقافية- دراسة في التأسيس والاستدراك-، دار الثقافة، المغرب، ط1، 1404هـ/1983م.

91- محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج1، تح : محمد حجي وأحمد التوفيق، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1397هـ/1977م.

92- محمد بن صالح العثيمين، شرح الأجرومية، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1426هـ/ 2005م.

93- محمد زكريا عناني، شعر ابن مجبر الأندلسي، تح: محمد زكريا عناني، دار الثقافة، بيروت، ط1، 2000م.

94- محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1433هـ/2012م.

95- محمد عبد الغني حسن، المقري صاحب نفح الطيب، الدار القومية للطباعة والنشر، د.ت.

96- محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1994م.

97- محمد علي أبو العباس، الإعراب الميسر- دراسة في القواعد والمعاني والإعراب تجمع بين الأصالة والمعاصرة، دار الطلائع، القاهرة، د.ط، د.ت.

98- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، د.ط، 1997م.

99- محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: إحسان حقي، دار النفائس، لبنان، د.ط، د.ت.

100- محمود فاخوري، التجديد العروضي الغنائي في شعر الموشحات الأندلسية، مجلة التراث العربي، اتحاد كتاب العرب، دمشق، ع85، شوال 1423هـ/2002م.

101- محمود محمود السيد الدريني، اللام المفردة أقسامها ومعانيها في ضوء أساليب القرآن وكلام العرب، نسخة مطبوعة، ط1، 1996م.

102- مختار حبار، الشعر الصوفي القديم في الجزائر – إيقاعه الداخلي وجماليته -، منشورات مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر، وهران، ط2، 2010م.

103- ــــــــــــــ، الخطاب الأدبي القديم في الجزائر – دراسة بيبلوغرافيا -، منشورات مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر- دار الأديب، وهران، د.ط، 2007م.

104- مسعود مجاهد، تاريخ الجزائر، ج1، مطابع دار الأيتام الإسلامية، القدس، د ط، د ت.

105- مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ج1، مر: عبد المنعم خفاجة، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ط30، 1414هـ/1994م.

106- نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب- دراسة في النقد العربي الحديث، تحليل الخطاب الشعري والسردي-، ج1، دار هومة، الجزائر، د.ط، 2010م.

107– يحي الجبوري، الشعر الجاهلي قضاياه وفنونه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1407هـ/ 1986م.

108– يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1995م.

109– يوسف حسين بكار، بناء القصيدة في النقد العربي القديم – في ضوء النقد الحديث، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، د.ت.

ثانيا: المصادر والمراجع المترجمة:

1– أنريك أندرسون أمبرت، مناهج النقد الأدبي، تر: الطاهر أحمد مكي، كلية دار العلوم، القاهرة، طبعة خاصة، 1421هـ/2000م.

2–ـــــــــــــ، مناهج النقد الأدبي، تر: الطاهر احمد مكي، كلية دار العلوم، القاهرة، طبعة خاصة، 1421هـ/2000م.

3–جمال الدين بن الشيخ، الشعرية العربية، تر: مبارك حنون وآخرون، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1996م.

4–جو.هابنسترايت، رحلة العالم الألماني ج. أو.هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس، تر: ناصر الدين سعيد وني، دار الغرب الإسلامي، تونس، د.ط، 2013م.

5–خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، تر: محمد درّاج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1431هـ / 2010م.

6–عزيز سامح الترّ، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، (1409هـ/1989م.

7- وليم سبَنسَر، الجزائر في عهد رياس البحر، تر: عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، د.ط، 2006م.

8- يلماز أزوتونا، تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود سلمان، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، ط1، 1988م، مج1.

ثالثا: المجلات والدوريات:

1- أبو القاسم سعد الله ، أربع رسائل بين باشوات الجزائر وعلماء عنابة، مجلة الثقافة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ع 51، جوان 1979 م.

2- ـــــــــــــ، عبد الرزاق ابن حمادوش، ج2، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، سوريا، 1395هـ - 1975م، مج 50.

3- أرزقي شويتام، العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية خلال الفترة العثمانية، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر 2، ع13، 1433هـ- 2011م.

4- جعفر شهيدي، الشعر دوره في أخلاق المجتمع- رأي الشريعة فيه، مجلة الأصالة، مطبعة البعث، قسنطينة/الجزائر، ع27، د.ت.

5- شكري عياد، مفهوم الأسلوب بين التراث النقدي ومحاولات التجديد، مجلة فصول- مجلة النقد الأدبي، دار الفتى العربي، بيروت، ع01، أكتوبر1980م، مج1.

6- عبد الحق زريوح، أبو راس الناصري الجزائري ومؤلفاته، مجلة التراث العربي، إتحاد كتاب العرب، دمشق، ع98، 1426هـ-2005م.

7- عبد الكريم حسن، مصادر النقد الموضوعي، مجلة المعرفة، سوريا، 300-301، مارس 1987م.

8-ـــــــــــــ، مفاهيم النقد الموضوعي، مجلة المعرفة، سوريا، 304-305، ديسمبر 1987م.

9-عبده الراجحي، علم اللغة والنقد الأدبي –علم الأسلوب–، مجلة فصول–مجلة النقد الأدبي–، دار الفتى العربي، بيروت، ع02، 1401هـ/ 1981م، مج2.

10- عبيد بوداد، عرض كتاب جرد وإحصاء المخطوطات الجزائرية بالمغرب الأقصى، مجلة رفوف للعناية بالمخطوط والدراسات الإنسانية، مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب إفريقيا، جامعة أدرار/ الجزائر، ع 06، 2015م.

11- عمار بلقريشي، التكرار وقيمته الأسلوبية في شعر الأخضر فلوس، مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية، جامعة المسيلة، ع01، مارس2009م.

12- محمد بلوحي، الأسلوب بين التراث البلاغي العربي والأسلوبية الحداثية، مجلة التراث العربي، اتحاد كتاب العرب، بيروت، ع 95، 1425هـ/2004م.

13- محمد الدناي، تداخل النقدي والشعري وإشكالية الخطاب النقدي الصامت–القصيدة العباسية نموذجا–، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، ع05، 1991م.

14- مختار حبار، الحضور الصوفي في الجزائر على العهد العثماني، مجلة التراث العربي، سوريا، ع57، 1994م.

15- مسعود بن ساري، إشكالية الهوية في الأدب الجزائري القديم، مجلة مقاليد، المركز الجامعي بميلة/الجزائر، ع04، 2013م.

16- مؤيد محمود حمد المشهداني، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518-1830، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، جامعة تكريت، ع16، 1434هـ/ 2013م، مج5.

17- يحي حاج أمحمد، تعليمية التراث الأدبي الجزائري، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، غرداية- الجزائر، ع08، 2010م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة..... أ

مدخل : مظاهر الحياة العامة في الجزائر خلال العهد العثماني 1

تمهيد: مراحل الحكم العثماني في الجزائر..... 2

أولا: التنظيم الإداري في الجزائر في العهد العثماني..... 15

ثانيا: التنظيم السياسي للدولة الجزائرية في العهد العثماني..... 17

ثالثا: الجانب الاقتصادي والاجتماعي بالجزائر في العهد العثماني..... 20

رابعا: الحياة الدينية والثقافية والفنية..... 26

الفصل الأول: الشعر الجزائري في العهد العثماني / موضوعاته وخصائصه 38

أولا: الشعر الجزائري في الفترة العثمانية..... 39

1- الحركة الثقافية في الجزائر أثناء الحكم العثماني..... 39

2- بواعث الشعر الجزائري في الفترة العثمانية..... 41

ثانيا: موضوعات الشعر الجزائري في العهد العثماني..... 48

أ- الشعر الديني..... 48

ب- الشعر السياسي..... 57

ج-الشعر الاجتماعي..... 66

ثالثا: الخصائص الفنية للشعر الجزائري في الفترة العثمانية..... 75

1- خصائصه الفنية على ضوء الدراسات النقدية الحديثة..... **75**

2-الخصائص الفنية للشعر الجزائري في العهد العثماني..... **80**

الفصل الثاني: الواقع الشعري الجزائري في العهد العثماني 90

أولا – أعلامه..... 91

1-1 ابن علي..... **92**

1-2 محمد بن ميمون..... **104**

1-3 محمد القوجلي..... **108**

1-4 محمد ابن راس العين..... **112**

1-5 محمد بن الشاهد الجزائري..... **113**

1-6 أحمد المنجلاتي..... **116**

1-7 عبد الرزاق ابن حمادوش..... **121**

1-8 عبد الكريم الفكون..... **128**

1-9 أبو راس الناصر..... **135**

ثانيا – واقعه بين المخطوطات والتحقيق والتأريخ..... 143

ثالثا– دراسة كتاب أشعار جزائرية – لابن عمار الجزائري– تحقيق: أبو القاسم سعد الله. 160

3-1 التعريف بالديوان..... 160

3-2 عصر الديوان..... 167

3-3 الأهمية الأدبية والتاريخية للديوان..... 170

3-4 منهجية تحقيق المخطوط..... 172

الفصل الثالث: ابن عمار الجزائري/ دراسة موضوعاتية 175

أولا: التعريف بالشاعر ابن عمار الجزائري..... 176

1-1 اسمه ونسبه..... 177

1-2 تلامذته..... 179

1-3 رحلاته/ أسبابها..... 180

1-4 إشعاعه..... 183

1-5 أقوال بعض العلماء في ابن عمار الجزائري..... 188

ثانيا: أحمد ابن عمار /المواضيع الشعرية الذاتية..... 194

1- مفهوم الموضوعاتية..... 195

2- المواضيع الشعرية الذاتية لابن عمار..... 197

2-1 المدح..... 197

2-2 الوصف..... 213

2-3 الغزل..... 222

2-4 الهجاء..... 227

2-5 الفخر..... 228

2-6 من الموضوعات المستحدثة..... 230

ثالثا: الخصائص العامة لشعر ابن عمار الجزائري..... 235

3-1 الخصائص المعنوية..... 235

3-2 الخصائص اللفظية..... 236

3-3 الخصائص الفنية..... 236

أ- الأسلوب..... 237

ب- مظاهر التشكيل الموسيقي في شعر ابن عمار..... 237

3-4 الموشحات في شعر ابن عمار..... 244

الفصل الرابع: قصيدة وصف قصر ابن عبد اللطيف لابن عمار/ مقاربة أسلوبية 248

تمهيد..... 249

أولا- المنهج الأسلوبي/اتجاهاته ومحدداته..... 250

أ- المنهج الأسلوبي..... 250

1-مفهوم المنهج في النقد الأدبي..... 250

2-مفهوم الأسلوب..... 251

ب- اتجاهات الأسلوبية..... 254

1-الأسلوبية التعبيرية..... 254

2-الأسلوبية النفسية..... 255

3-الأسلوبية البنيوية..... 255

4-الأسلوبية الإحصائية..... 256

ج- مبادئ الأسلوبية..... 257

1-الاختيار.... 257

2-التركيب..... 258

3-الانزياح..... 260

التعريف بالقصيدة المدروسة..... 262

ثانيا- المستوى الصوتي والتركيبي..... 265

أ- المستوى الصوتي..... 265

ب-المستوى التركيبي..... 279

ثالثا- المستوى التصويري..... 292

1-التركيب المجازي بالتشبيه..... 293

2-التركيب المجازي بالاستعارة..... 299

3-التركيب المجازي بالكناية..... 303

رابعا– المستوى الإيقاعي..... **305**

1-الموسيقى الخارجية..... **305**

2-الموسيقى الداخلية..... **308**

خاتمة..... **315**

مكتبة البحث..... **321**

فهرس الموضوعات..... **337**